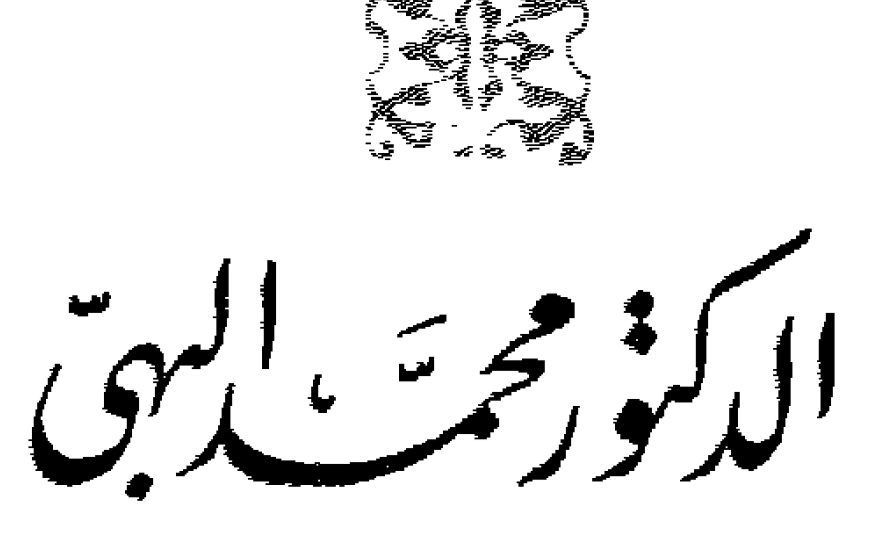


الدكتور محمد البهى

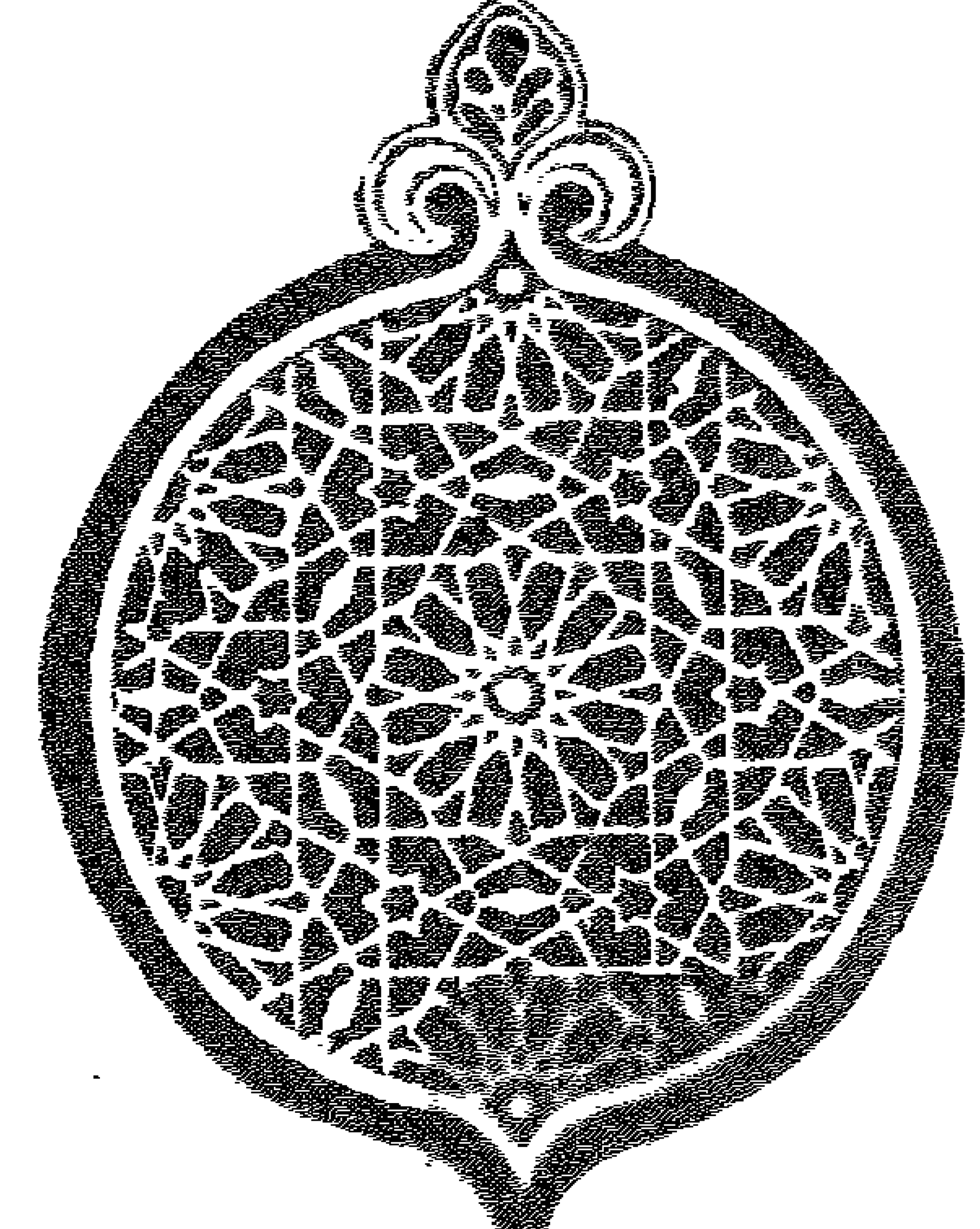


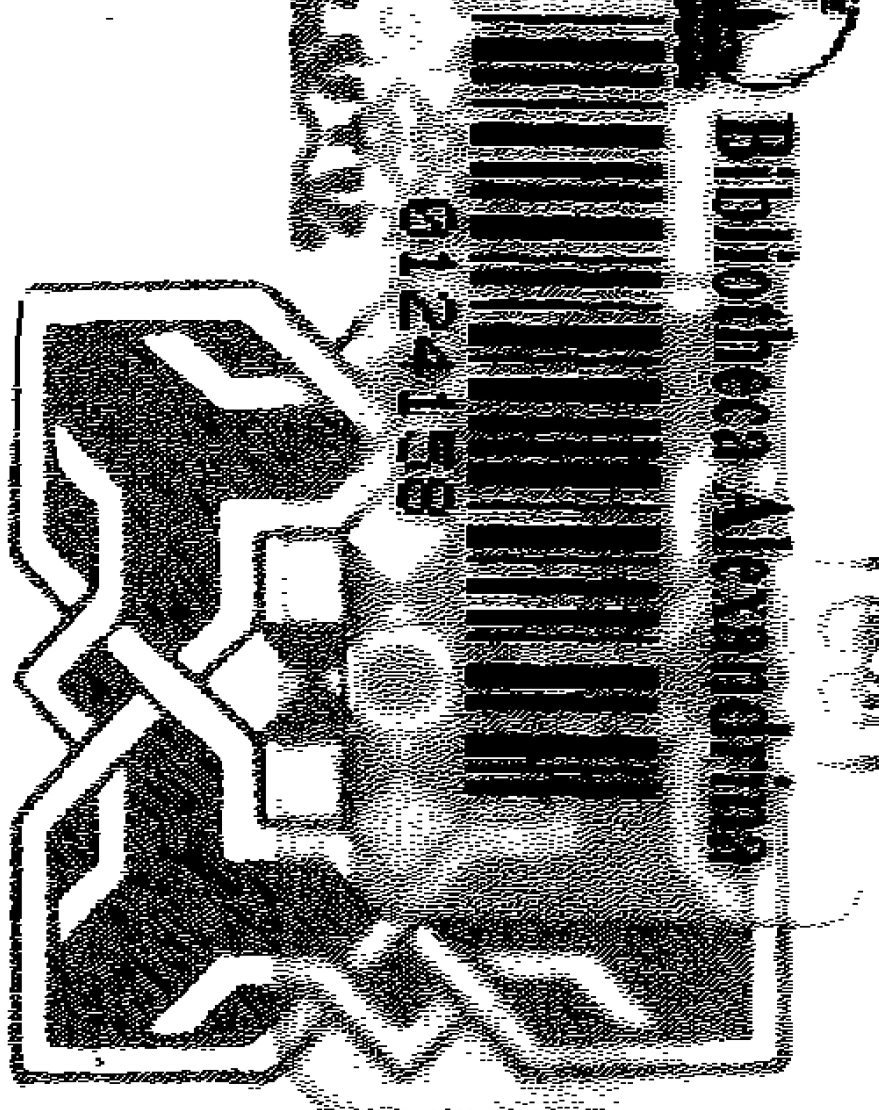
رأى الدين

بين السائل والمجيب

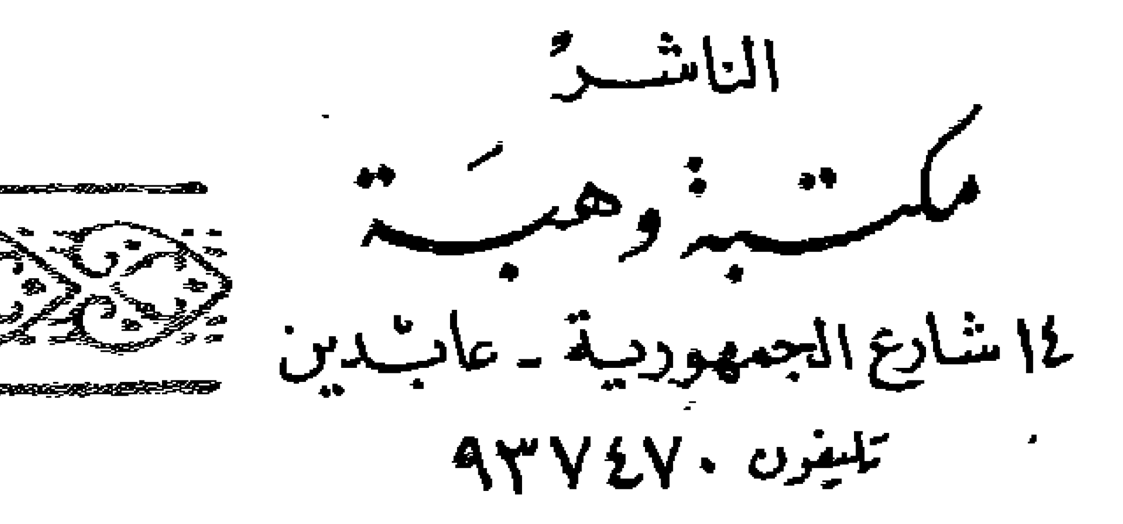
فى كل ما يهم المسلم المعاصر

الجزء الثالث











الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الدكتور محمد البهى

رأى الدين
بين السائل والمجيب

فى كل ما يهم المسلم المعاصر

الجزء الثالث

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

رمضان سنة ١٤٠٠ هـ ـ يوليـه سنة ١٩٨٠ م

دار غريب للطبـاعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى ـ القاهرة)
تليفون : ٢٢٠٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمة :

* هذا الجزء الثالث من كتاب : « رأى الدين بين السائل ـ والمجيب » ٠٠ يضم الجواب على مائة وسبعة عشر سؤالا فى دائرة الألوهية ـ والواجبات الدينية ، وفى الأسرة ، ومحيط التقاليد ، والعمل والمال ، ثم فى مشاكل الحضارة المعاصرة ٠

* والأسئلة هنا التى يطلب فيها رأى الدين ـ وخاصة فى الأسرة ، ومشاكل الحضارة المعاصرة ـ تزيد فى توضيح الاتجاه فى حياة المجتمع الاسلامى المعاصر فى مصر ، وهو اتجاه التأثر الشديد بتفكير الغرب ، وسلوكه ، وبعلاقات الجنسين بين الذكر والأنثى :

ففى بعض هذه الأسئلة يريد السائل أن يسأل :

* عن زواج المسلم بالمسيحية أو اليهودية ،
* وزواجه بالأجنبية مع اختلاف العادات والتقاليد ،
* وزواج المتعة ، والمواهبة ، وحدود الخطبة ،
* والجمع فى الزواج بين الأم وابنتها من رجل آخر ٠
* ونظرة الاسلام الى الزنا ، بعد تخفيف أمره فى المجتمع الغربى ٠

وهذه أسئلة تصور مدى « الاختلاط » ٠٠ ومدى أثر الاسلام فى الاحتفاظ بالأسرة وبالعلاقة السليمة بين الرجل والمرأة ٠

★★★

والبعض الآخر من هذه الأسئلة ويتناول :

* المرأة العاملة خارج المنزل ، ومشاكل هذا العمل فى العلاقة بين الزوجين حتى أن زوجا يرى فى ترقية زوجته لدرجة أعلى من درجته المالية ، اهانة له فضلا عن الاستقلال الاقتصادى الذى تستمتع به المرأة كزوجة وأم ، فى علاقات حرة بالأصدقاء والصديقات ٠

* والاغراءات المادية فى الملبس وخلافه التى تحمل المرأة على الانحراف فى السلوك ٠

* وحبوب منع الحمل والتعقيم الذى شاع أمره ، كوسيلة بين المتزوجات وغيرهن ٠

* وشيوع الصور الجنسية بين المراهقين والمراهقات ، فى الشارع ، وفى المدرسة على السواء ٠

وان دل ذلك على شيء فيدل على أن حرية الجنس أضبحت فوق أى نوع آخر من تلك الأنواع التى يسميها الانسان المعاصر : حريات ٠

ونوع ثالث من هذه الأسئلة يدور فى حدود الفلسفة السياسية :

* فما هى الصهيونية ؟ أدين ، أم مذهب سياسى ؟

* وما هى التقدمية الماركسية ؟ وتقدمية العلم والصناعة ؟

* وما هو الصراع الطبقى ؟

* ولماذا يكثر نشر كتب الالحاد ، والطعن فى الأديان ؟

* وما هو موقف الاسلام من المال ؟ أهو اشتراكى ؟ أم رأسمالى ، أم غير هذا وذاك ؟

ومثل هذه الأسئلة تعطى الباحث الاجتماعى للمجتمع المصرى المعاصر : أن القارىء المصرى أصبح لا يقيم اتجاها واحدا فى الفكر السياسى والاجتماعى ، أو على الأقل لا يقصر قراءته على هذا الاتجاه الواحد ، أو هو فى قراءته لها يواجه بعض المشاكل التى تختلف اختلافا جذريا مع مبادىء الاسلام ٠

☆ ☆ ☆

على أن نوعا أخيرا من هذه الأسئلة يعبر عن شجاعة للشباب تجاه آبائهم :

* فهذا الولد يريد أن يواجه أباه ويتحداه بسبب الاكثار من تعذيب والدته ٠

* وذاك ينتقد أباه لأنه يدمن شراب الخمر ويعيث فسادا فى الأسرة ،

* وثالث يراجع والده فى شئون الأسرة وتعليم اخوته ٠

ومثل هذه الشجاعة واعلان الصوت فى نقد الآباء ، لم يكن موجوداً من قبل الا فى حدود ضيقة ٠

★★★

والذى يتابع قراءة هذه الأسئلة يدرك مدى تطور المجتمع ، وسيخلص الى نتيجة واحدة وهى أن الشباب فى تمسكهم بالاسلام اليوم قل الى درجة كبيرة ٠ واصبح يقلد الغرب اكثر من ان يتبع تعـاليم الاســلام ٠ ولعل برامج الاذاعة والتليفزيون من أقوى العوامل التى تحمله على التحلل ، والاختلاط ، والخلط بين الاســلام من جانب وما يضــعه الآخرون من جانب آخــر ٠ والحمد لله وحده ٠

دكتور محمد البهى

مصر الجديدة في : ٢٩ من شعبان ١٣٩٩ هـ

٢٤ من يولية ١٩٧٩ م

الجزء الثالث

١ ـ فى دائرة الألوهية ـ والواجبات الدينية ٠

٢ ـ فى الأسرة ٠

٣ ـ فى محيط التقاليد ٠

٤ ـ فى محيط العمل ٠

٥ ـ فى مشاكل الحضارة المعاصرة ٠

الفصل الأول

فى دائرة الألوهية ــ والواجبات الدينية

١ ــ امرأة تخدع نفسها ·· وربها ·· :

امــرأة مات زوجهـــا الموظف ، وتعيش من معــاشه من ادارة المعاشات ، وقد وهبت نفسها لى ·· ولا تريد اعلان هذا حتى لا ينقطع المعاش ·· فما الرأى ؟·

● سؤال السائل ينطوى على امرين خطيرين بالنسبة للمجتمع :

الأمر الأول : تهرب السائل من المسئولية العلنية بالنســبة لامرأة يعاشرها معاشرة الأزواج ·

الأمر الثانى : تستر المرأة على معاشرتها لرجل وهبت نفسها له ــ كمـــا تدعى ــ ومخاطرتها بمســتقبل العــلاقة بينهما ، على غيــر مسئولية منه ··

والأمران معا فى سبيل احتفاظهما بنصيب المرأة فى معاشها من زوجها المتوفى وربما لو أن قانون المعاشات كان يبيح ــ وليس هناك مانع من أن يبيح ذلك لهدف اجتماعى وأخلاقى ــ للزوجة المتوفى عنها زوجها ، حصولها على حقها فى معاشه حتى بعد زواجها من آخر بعده ، لما أقر كثير من الناس هــذا الوضع الذى يطرحه السائل فى سؤاله الآن ، ولما باشره الا القليل الشاذ ·

وتهرب الرجل من مسئولية المعاشرة الجنسية لامرأة على هذا النحو ، بحجة الحفاظ على حصولها على حقها فى المعاش ، يدل على جبن فيه ، وعلى أنانية ، تجعل منه رجلا غير صالح لأن يتولى شأن امرأة ما · فالرجل المسئول هو الذى تحرص عليه المرأة وتضحى فى سبيله بما قد يعز عليها التنازل عنه فى حياتها · وهو كذلك الذى ينصح من يكــون فى مسئوليته باتبـــاع الخط المستقيم فى حل القضايا الأسرية ·

والمرأة هنــا مسئولة عن مشاركتها رجلهــا الذى يتخفى وراء جبنه : مخاطر هذه المعاشرة التى هى أدخل فى مجال الزنا ، ولكن مسئوليته هو عن هذه المخاطر أكبر بكثير · اذ العرف الذى تهب المرأة نفسها لرجل ، بناء على اتباعه ثم يعاشرها معاشرة الأزواج : ليس قرانا شرعيا بين رجل وامرأة · لأن القران الشرعى يقوم على ركنين اساسيين :

الركن الأول : الايجاب والقبول بين الرجل والمرأة ·

الركن الثانى : الشهر أو العلانية ·

واذا كان الوضع الذى تم بين السائل والمرأة التى وهبت نفسها له قــد استوفى الركن الأول ··· فان الركن الثانى فى القران لا يتوفر الا بشــهادة الشهود · وهذا ما لم يحصل · والفقه الاسلامى يضع أهمية كبيرة على الوليمة للعرس وقبول الدعوة لحضــورها لأن ذلك أمر رئيسى فى الاعــلام عن عقــد النكاح · مما يدل على أن المطلوب هو تعريف الآخرين بمسئولية الزوج ازاء أسرته الجديدة ·

واذا كان من كلمة تقال هنــا فانهــا تقال أخيرا للدولة التى شعارها : العلم والايمان ·· وهذه الكلمة : يجب أن يعدل نظام الارث فى المعاش حتى لا يضار الانسان أو لا يضطر الى حماية المفاسد ، فى سبيل الحفاظ على لقمة العيش ·

★★★

٢ ـ هل الصهيونية مذهب دينى :

هل الصهيونية مذهب دينى يلتمس التأييد له من كتاب الله السابق وهو التوراة ؟ وما موقف المؤمنين بالله مما جاء في القرآن ، من أصحاب هذا المذهب ؟

● الصهيونية : نزعة مادية ، لا انسانية ولا أخلاقية ، تقوم على حــل سفك الدماء وإخراج المؤمنين من ديارهم لايمانهم بالله ربهم ، فى سبيل انشاء ما يسمى بالوطن القومى فى فلسطين لمئات الألوف من اليهود الذين استوطنوا منذ مئات السنين بلادا أخرى وأصبحوا فى عداد أهلها ، وربما من أصحاب الكلمة بينهم · وقد شردوا من سكان فلسطين المؤمنين بربهم أعدادا ، ربمــا تتجاوز الآن أعدادا تفوق من دخلوا من اليهود ، كما مارسوا الاذلال للآخرين الذين لم يبرحوا ديارهم بعد ·

وهذا الاتجاه اللاانساني للصهيونية اذ يجمع اليهود فى فلسطين على حساب أرواح الآخرين وحيـاتهم وانسانيتهم يدعي أنه يقوم على الايمـان بالتوراة ككتاب لله : دعـاهم يوما ما الى الهجرة من مصر فرارا من احتقـار أهلها لهم . ومن تعذيب ملوكها لأبنائهم الى أرض الله المباركة . وهى أرض فلسطين ·

ولكن ·· هل هؤلاء الصهيونيون يؤمنون بدين الله حقا ؟ أم هم يكفرون به في سبيل الدنيا ؟ انهم لا يؤمنون برسالة الله · لأن رسالة الله فى أى كتاب نزل على رسول الله هى رسالة الانسانية في مستواها الفاضل · انهم يؤمنون فقط بالاعتداء · وبالظلم فى سبيل تحصيل منافعهم · كان ذلك من ماضيهم · وهو فى حاضرهم اليوم ·

هم يمارسون الظلم والاعتـداء كطبيعة من طبـائعهم التى لا تتخلف باختلاف الزمن · وقد مارسوا ذلك . بعضهم ضد بعض عندما لم يجـدوا أحدا غيرهم يمارسون عليـه العدوان بسفك الـدماء واخراجه من الديار · ويسجل القرآن الكريم عليهم هـذا الطبع فى قول الله تعالى : « واذ اخـذنا ميثاقكم (والخطاب لليهود) لا تسـفكون دماءكم ولا تخـرجون أنفسـكم من دياركم ، ثم أقررتم وأنتم تشهدون · ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم ، تظاهرون عليهم (أى تغـالبونهم) بالاثم والعـدوان (أى فى اجرام وفي غير رعاية الحرمات) » (١) ·· الى أن يقول : « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة (أى آثروا الدنيا وماديتها على ثـواب الآخرة) فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون (اليوم وغدا) » (٢) ··

وهكذا ·· حكم الله عليهم بالعذاب وبعدم النصر الى يوم البعث ، وان بدا أنهم انتصروا يوما ما . أو أنهم يتمتعون لحظة من اللحظات بما يسلكون الى تحصيله طريق الظلم والعدوان ·· فالهزيمة لاحقة حتما لنصرهم ·

وقد رسم القرآن الكريم للمؤمنين به وضع هؤلاء اليهود الماديين ليكون المؤمنون على علم فيما يتبعونه ازاءهم ، فى قول الله تعالى : « لن يضروكم الا أذى (وضرر الأذى هو ضرر التهديد بالعدوان · أى هو ضرر نفسى · ومعنى ذلك أن ضرر هؤلاء الماديين اليهـود بالنسبة للمؤمنين سـيظل بدون واقع) وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار (أى يفروا من ميدان القتال) ، ثم لا ينصرون · ضربت عليهم الذلة اين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس (أى الا اذا

---

(١) البقرة ٨٤ ·

(٢) البقرة : ٨٦ ·

عادوا للايمان بالله) وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ، ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (١) ٠٠ فجعل القرآن من طبائعهم : الجبن فى القتال ٠٠ وجعل من شأنهم انهم أهل ذلة . وجعل من قضاء الله عليهم : أنهم مغضوب عليهم من رحمة الله ، كما جعل أن سبب ذلك كله يعود الى ميلهم فى طبائعهم الى الاعتداء ، وارتكاب الجرائم المنكرة ٠

وفى ضوء تحديد هذا الوضع من كتاب الله يمكن للمؤمنين به أن يحددوا موقفهم منهم فى لقائهم فى ميدان القتال ، أو فى تعاملهم معهم وقت السلم ٠

***

٣ ـ زوجة يغويها الشيطان :

مواطن من احدى المحافظات يسأل عما عساه ان يعمله هو الآن مع « منكر » يتكرر على مرأى منه من وقت لآخر ، بعد ان نبه اليه تنبيها غير مباشر : من يخصهم الأمر ٠

فزوجة زميل له يعمل فى بلد آخر ، وهى تسكن مع ابنتها فى بلد السائل ويشاغلها كما يشاغل ابنتها التى تتجاوز السادسة عشرة من عمرها : شاب من غير ملتها على مرأى من السائل اثناء غياب الزوج فى العمل بما يعد « منكرا » وكان السائل يظن انه عندما ينبه الزوج الى ما تباشره زوجته وابنتها مع هذا الشاب الأجنبى عنهما ، ان الأمر سينتهى ، او يختفى على الأقل عن نظره ويشكر له تنبيهه اياه ٠ ولكن عاداه ٠٠ وتجنبه ٠

● والسائل عندما يسأل عما يجب عليه أن يعمله فى مواجهة هذا العبث المتكرر يسأل فى الواقع عن رأى الدين فى موقفه ٠ بعد أن نبه وحذر منه ٠

ان الزوجة راعية لبيت زوجها ومسئولة عنه وعن أولاده منها أو من

---

(١) آل عمران : ١١١ ، ١١٢ ٠

غيرها ٠٠ فحديث عبد الله بن عمر فى روايته عن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول :

« كلكم راع فمسئول عن رعيته ،

فالأمير الذى على الناس (وهو الحاكم) راع ، وهو مسئول عنهم ،

والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ٠

والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهى مسئولة عنهم ،

والعبد (وهو الخادم) راع على مال سيده وهو مسئول عنه ،

ألا : فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ٠٠٠

ومسئولية الزوجة مسئولية مضاعفة : مسئوليتها عن نفسها فى غيبة زوجها بأن تحفظ له عرضه وسمعته وغيبته ، كأنه موجود معها ٠٠ ومسئوليتها عن الأولاد : فى تنشئتهم ، وتربيتهم تربية سليمة ٠٠ ومسئوليتها عن المال : فى استقامة انفاقه ٠ فاذا هى عرضت سمعتها للقيل والقال بالاشتراك مثلا فى عبث مع شاب وعلى غير دينها ٠٠ واذا هى تغاضت عما يقترفه هذا الشاب أيضا مع ابنة زوجها فى غيبة أبيها ، فانها عندئذ تكون قد خانت الأمانة التى كلفت بها فى عموم قوله تعالى : « **ان الله يامركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها** » (١) ٠٠ والتى أداؤها ينطوى على مسئوليته عنها أمام الله تعالى ٠

ان السائل قد أدى واجبه فعلا بتنبيه الزوج والزوجة الى ما يقع من الزوجة والشاب الذى هو جار لها ٠ وما فعله هو بهذا التنبيه هو ما يستطيعه٠ ليس بقادر على أن يزيله كمنكر . بيده ، لأنه ليست له ولاية تنفيذية فى هذا الشأن ٠ ولذا حاول أن يزيله بالقول واللسان فلم ينجح من الأسف ــ فى ازالته ٠

ان التيار المادى فى الحياة المعاصرة يطغى فى عنف على القيم الانسانية الآن فى علاقة الانسان بأخيه الانسان ٠ فلا الزوجة تعرف حق الزوج عليها ، وان عرفته فقد لا تعيره اهتماما ٠ ولا الزوج يعرف حق زوجته عليه ، وان عرفه فقد لا يأبه به طالما تجاهله يحقق نفعا شخصيا له ٠٠ ولا الجار يعرف حق الجوار فضلا عن أن يرعاه ولا الأولاد يرعون حق آبائهم وأمهاتهم ، وان طلب منهم اداء هذا الحق ماطلوا فيه أو تهربوا عنه ٠

---

(١) النساء : ٥٨ ٠

ان « الأنانية » هى هدف كل فرد فى حياته اليوم · وان الاستمتاع بالمتع المادية هى الغاية التى يسعى اليها الانسان فى كل مكان ، ولو على حساب الروابط الطبيعية بين النــاس ·· ولو على حساب العــلاقة الزوجية ·· أو الأسرية ·· ولو على حساب ما يجب على كل فرد أداؤه للآخر ·

فالمرأة والرجل ، والولد ، يعنى اليوم فى الدرجة الأولى بالحصول على المتعة الشخصية فى أى جانب من جوانب حياته ، دون رعاية لما قد يترتب على الحصول على هذه المتعة من سوء السمعة ، أو الاساءة لمن هم فى علاقة غير وقتية معه ·

فلو عرف الشاب الجار هنا حق الزوج الغائب فى المحافظة على أسرته · وهو جار له لما تطلع الى اغراء زوجته وابنته بشبابه ، أو بماله ، ولو عرفت الزوجة أن متعة البدن ، أو البطن ، أو الزينة الخارجية لا تساوى شيئا بجانب متعة الوفاء لحرمة الزوج ، ولكرامة الانسانية التى يجب أن تكون لها سنة وطبيعة فى حياتها ·· لصدمت جارها الشاب بما يفهمه رداءة سلوكه ، وبما يخجله أمام ضميره ان تيقظ هذا الضمير يوما ما ·

يجب أيها السائل أن تعرف أن الزوج فى هذه المشكلة عاجز فى مواجهة زوجته · فهو مكدود فى عمله ، ومستغرق فى هموم يومه · ولكن هذا لا يعفيه من مراجعة زوجته فى هذا « المنكر » باسلوب هادىء لعلها تعود الى منطق الانسان الطبيعى وسلوكه فتحفظ عليه حرمته فى حضوره وغيبته على السواء ·

كما يجب أن تكون صادقا فيما تروى ، فحق الله قائم ضدك لو كان الأمر فى واقعه أن تتهم بريئا فى عرضه ، وتحاول تحطيم العلاقة بين الزوجين ، وأن تزيد عليهما مشقة الحياة ، فالله سبحانه هو المتطلع على باطن الأمور ، والله وحده هو الذى يهدى الى سواء السبيل ·

★ ★ ★

٤ ـ زواج الجن من الانس :

طالب باحدى المحافظات يسأل : هل يتزوج الجن من الانس ؟ وان كان يتم الزواج بينهما فما الدليل على ذلك ؟ وكيف يتم بين الزوجين عقد الزواج ؟ وهل يكون الأبناء جنا أم انسا ؟

● وردت فى القرآن الكريم أربعة مفاهيم يجب الايمان بها : مفهــوم الملك ·· ومفهوم الانس ·· ومفهوم الشيطان ·· ومفهوم الجن ··

والسؤال بعد ذلك : ألهذه المفاهيم الأربعة طبقا لما جاء فى القرآن حقائق خارجية متقابلة ؟ أى لكل مفهوم من هذه المفاهيم الأربعة حقيقة مستقلة عن الحقائق الأخرى ؟

نرى أن القرآن ورد فيه ، فى سورة الأنعام مثلا قول الله تعالى : « **وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا : شياطين الانس والجن ، يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا** » (١) ·· فجعل الشياطين مفهوما أعم من الانس والجن · أى يتناول الانس كما يتناول الجن ، وليست للشياطين حقيقة مستقلة عن حقيقة الانس ، وعن حقيقة الجن · فالشيطان اسم جنس عندئذ ، وهو مفهوم يندرج تحته الانس ، والجن معا ·

ورد فى القرآن أيضا فى سورة الصافات قول الله تعالى : « **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ، ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون** (أى لقد علمت الجنة أن المشركين لمسوقون الى جهنم)» (٢)· وقد جاءت هذه الآيةعقب ادعاء مشركى مكة وذكر هذا الادعاء فى الآيات فى السورة نفسها : أن الملائكة بنات الله ، فى قوله تعالى : « **فاستفتهم : ألربك البنات ولهم البنون ؟· أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ؟· ألا انهم من افكهم ليقولون · ولد الله وانهم لكاذبون** » (٣) ·· فاذا قالت الآية بعد هذا الادعاء : « **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا** » ·· فالمعنى أن المشركين بمكة فى ادعاءاتهم الباطلة جعلوا بين الله وبين الملائكة نسبا . على اعتبار أن الملائكة بنات الله · وعبر القرآن عن الملائكة هنا بالجنة · ويقول الزمخشرى فى تفسيره «الكشاف» ، عند ذكر هذه الآية : «وجعلوا بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة (نسبا) وهو زعمهم أنهم بناته · والمعنى جعلوا بين الله بما قالوا نسبة بين الله وبينهم وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة · فان قلت لم سمى الملائكة جنة ؟ قلت ، قالوا : الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد كان شرا كله فهو شيطان · ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك · فذكرهم فى هذا الموضع باسم جنسهم » (٤) ·

على أن آية الصافات هذه كررت لفظ « الجنة » فى قوله تعالى : « **ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون** » ·· على أن المراد بالجنة هنا : الملائكة · لأن الملائكة وحدها هى التى تقوم على جهنم كما تقوم على الجنة ، كما جاء فى

---

(١) الأنعام : ١١٢· (٢) الصافات : ١٥٨ ·

(٣) الصافات : ١٤٩ ـ ١٥٢ ·

(٤) الجزء الثانى : ص ٢٧٢ الطبعة الأولى المطبعة الشرفية ·

قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا : قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (١) ·· « وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا » (٢) ·· فالملائكة اذن هى التى تعلم حضور المشركين الى جهنم ، وقد سماها القرآن هنا جنة ·

فكلمة الجن ــ ومعناها المستخفى والمستتر ، وغير الظاهر وغير المشاهد بالرؤية ــ كما تطلق على الملائكة وهى موجودات خيرة تطلق على غيرها من الموجودات الخفية الشريرة · فهى اسم جنس تطلق على الملك وعلى غيره مما شأنه التخفى وعدم الظهور · وليست للجن اذن حقيقة مستقلة تقابل حقيقة الانس والملك معا ·

وهكذا : من الأربعة مفاهيم التى وردت فى القرآن والتى يجب الايمان بها ــ وهى مفاهيم : الشيطان ·· والجن ·· والانس ·· والملك ·· مفهومان عامان ، وهما مفهوما : الشيطان والجن · ومفهومان خاصان لهما حقيقتان مستقلتان ، وهما مفهوما :الانس والملك · وقد ذكر القرآن هاتين الحقيقتين فى سورة الأعراف على لسان ابليس كملك عصى ربه ، فى قول الله تعالى : « قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك ؟ قال : أنا خير منه ، خلقتنى من نار ، وخلقته من طين » (٣) ··

وعصيان ابليس كملك لله لا يخرجه عن طبيعته الملكية كعصيان الانسان لربه لا يخرجه عن طبيعته الانسية · وقد عصى آدم ربه ، هو وحواء ، باقترابهما من الشجرة وأكلهما من ثمارها ، وقد حرمها الله عليهما أصلا ، ومع ذلك لم يخرجا بهذا العصيان عن الطبيعة الانسية ·

فكلمة الجن تعبير عن الموجود الذى من شأنه أن لا يرى :خيرا ، أو شرا ، انسا أو ملكا على السواء ، وكلمة الشيطان تعبير عن مصدر الشر ، مستخفيا أو معهودا ، معروفا أو غير معروف ، جنا أو انسا على السواء ، وكلمة الانس تعبير عن الحقيقة الانسانية التى خلقت أصلا من طين : « الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين · ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين · ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » (٤) ·

---

(١) التحريم : ٦ ·
(٢) المدثر : ٣١ ·
(٣) الأعراف : ١٢ ·
(٤) السجدة : ٧ ــ ٩ ·

وكلمة الملك تعبير عن تلك الحقيقة الخالدة الخيرة ، التى لا تتميز بذكورة ولا أنوثة ، ولا بنسل أو عقم ، ولا بحياة أو موت ، فهى باقية فى طاعة الله ، وقد امتحنها الله فى طاعته بالسجود لآدم فسجدت جميعها الا فردا واحدا منها هو : ابليس أب الشر ، ومصدره الأصيل · وهى حقيقة لا ترى ولا تشاهد : « **قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا** » (١) ·

وهكذا : بين الانس والملك اختلاف فى الطبيعة ·

وهكذا : الجن قد يطلق على الانسان الشرير أو الخير غير المعروف والمعهود · كما يطلق على الملك · وعندئذ : هل يراد من زواج الانس بجنية ، زواج الانسان بانسانة لم تكشف عن هويتها بعد ؟

★★★

٥ – زواج المسلم بفتاة مسيحية :

شاب مسلم يريد أن يتزوج بفتـاة مسيحية ، على أستعداد لتعلن اسلامها رغم معارضة أهلها فى الزواج منه · وهو يقول إن أهلى كذلك لا يوافقون على الزواج منها لما يترتب عليه من مشاكل هم فى غنى عنها · فهل يقدم على الزواج مع ذلك أم يكف عنه ؟

● الاسلام لا يغلق الباب بين المؤمنين برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام من جانب ، وأهل الكتاب السابقين من اليهود والنصارى من جانب آخر · كما يغلقه بين المؤمنين والمشركين · وهم الجاهليون أو الماديون فى الحياة الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ·

فالاسلام أحل طعام أهل الكتاب للمؤمنين ، جاء ذلك فى قوله تعالى : « **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم** » (٢) ··

كما أحل طعام المؤمنين لأهل الكتاب فيما جاء فى قوله : « **وطعامكم حل لهم** » (٢) ·

والاسلام أباح زواج المؤمنين بالعفيفات من الذين أوتوا الكتاب من قبلنا أسوة بزواج هؤلاء المؤمنين بالعفيفات من المؤمنات ·

---

(١) الاسراء : ٩٥ ·   (٢) المائدة : ٥ ·

فقد جاء قول الله تعالى : « **والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، اذا آتيتموهن أجورهن** » (١) ٠٠ أى أحل لكم الزواج من العفيفات من المؤمنات والعفيفات من أهل الكتاب السابقات ، اذا دفعتم اليهن جميعا مهورهن ٠

بينما لم يبح زواج المؤمنين بالاسلام من المشركات ، اى الملحدات الكافرات بالله ورسوله الا اذا تحولن عن شركهن الى الايمان بالله وحده : « **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم** » (٢) ٠٠

والفرق : أن عداوة المشركين والمشركات للمؤمنين هى عداوه أصيلة ، والفجوة بين الطرفين فجوة كبيرة لا تضيق أبدا : « **أولئك يدعون الى النار ، والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه** » (٣) ٠٠ بينما أهل الكتاب يشتركون مع المؤمنين فى الايمان بالله واليوم الآخر وبالأخص النصارى فهم أقرب الفئات كلها مودة للمؤمنين : « **ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا : الذين قالوا : انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ٠ واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا آمنا ، فاكتبنا مع الشاهدين ٠ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ٠ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين** » (٤) ٠٠

والسائل فى سؤاله هنا ، كى يتزوج بفتاة مسيحية ، لا يتوقف حل الزواج منها على أن تعلن اسلامها : بل اعلان اسلامها كشرط للزواج لا يرضى عنه الله ، لأنها شبهة مكرهة عليه حينئذ ٠ والايمان بالله مقبول عنده جل جلاله ، اذا توفرت فيه المشيئة التامة ، وتوفر فيه الوعى الانسانى ، غير المشوب بشائبة الذهول ، وعدم القدرة على التركيز ٠

والمشكل ـ كما يراه السائل ـ فى عدم موافقة أهل الزوجة ، وفى رأيى أن الزواج يجب أن يكون طريقا للقربى وليس للخصومة ، وجلب النزاع ، أو اثارة القلق النفسى ٠

يجب على السائل أن يراجع نفسه قبل الاقدام على اتمام الزواج ٠ هل

---

(١) المائدة : ٥ ٠
(٢) البقرة : ٢٢١ ٠
(٣) البقرة : ٢٢١ ٠
(٤) المائدة : ٨٢ ـ ٨٥ ٠

يستطيع هو ومن يريد أن يتزوجها ، أن يعيشـا فى عزلة عن أهلهمـا ؟ وهل ستكون هى سعيدة بزواجها ، مع ذلك ؟

الزواج مسئولية أسرة ٠٠ ومسئولية الحفاظ على العلاقات الانسانية فيها ، وفى محيطها ٠٠ الزواج أمانة ولابد أن تكون الأمانة عند من يؤتمن عليها ٠

***

٦ ـ سب الدين ـ والحلف بالطلاق :

سائل يسال عن رجل شق جلبابه ، وسب الدين ، وحلف بالطلاق أن لا يحضر زواج ابنه ٠ فهل يحضر ؟ وهل يكفر عما بدر منه ؟

● ان الرجل الذى شق جلبـابه ، وسب دينه . وحلف بالطـلاق أن لا يحضر زواج ابنه ارتكب فى هذا كله ما لا يرضى الله والرسول ٠ فليس من بين المؤمنين من يلطم الخدود ، ويشق الجيوب ٠ فذلك من عادات الجاهليين ، التى ينكرها الاسلام ٠ فالمؤمن يجب أن يثق بالله ويعتمد عليه ، عنـدما تقـع الأحداث وتشتد الأزمات ٠ والثقة بالله تدفعه الى التحمل والصبر ، وتبعـده عن الانفعالات والحمق ٠

وليس من بين المؤمنين من يسب مسلما ، فضلا عن أن يسب دين الله ٠ فيروى عن الرسول صلى الله عليـه وسلم قوله : « سباب المسلم فسوق » ٠ وطبعا سب دين الله ادخل فى الفسق والخروج عن ملة الله ٠ فسب دين الله تحقير له واستهزاء وسخرية به ٠ ولا يجتمع فى انسان أن يكون مؤمنا بالله وبرسالته ، وفى الوقت نفسه يحتقر الايمان وما جاءت به الرسالة ٠

وليس من المقبول كذلك فى الاسلام أن يستخدم الطلاق يمينا للتهديد ٠٠ أو لخلافه ٠ نعم وان كان الحلف به لا يقع ، لأن شرط الطلاق الصحيح أن يكون منجزا أى حالا ، وأن لا يكون يمينا ٠ ولكن الحلف به يدل على أن من حلف به غير جاد وأنه يعبث بأمر خطير فى شئون الأسرة ، أولى به أن يصان عن مثل هذا العبث . وأن يوقف به عنـد الوضع الخاص به ، وهو التعبيـر عن الفرقة المقصودة بين الزوج وزوجته ٠

ومن الأسف أن مثل هذه العادات شائعة ٠ وشيوعها دليل على سوء التوجيه وأن هناك فراغا فى حياة الناس للتربية الدينية ٠ والغريب أن من يسب الدين خاصة يتصور أنه صاحب قوة ٠ ولذلك فى سبابه للدين كأنه يعلن

عدم مبالاته في الاعتداء على دين الله ، وعلى المؤمنين به جميعا ، وواقع أمره أنه جبان لا يستطيع أن يعلن تمرده على حاكم من البشر مهمـــا صغر ، في جرأته التي تصاحب تمرده على الله سبحانه وعلى حق المؤمنين برسالته ٠ وهو كذلك ضعيف يريد أن يبدو قويا ، وكاذب يريد أن يبدو صادقا ٠ وهو قبل هذا وذاك لا يؤتمن ٠ لأن من لم يخش الله وهو لا يراه ، لا يخشى الناس عندما يختفي عن أعينهم ٠

ان من يسب دين الله ليس أهلا لصاحبة الناس وثقتهم ٠٠ وليس اهلا لأن يكون رب أسرة ٠٠ وليس أمينا على عمل للآخرين ، ولا امينا على نفسه هو ٠

وان من يشق جلبابه ليس ضيق الصدر فحسب ، ولكنه لا يقوى عـلى مواجهة الأحداث ٠٠ ولا على تحمل المسئولية واداء امانتها ٠

وان من يحلف بالطلاق أن لا يحضر زواج ابنه لا يشرف ابنه أن يحضر زواجه وخيـر له أن لا يحضر ٠ وان كان الفقهـاء يرون أن الحلف بالطـلاق لا يقع ٠

متى يدرك المسلمون : أن لدين الله حرمة ، وأنه فضل من عند الله جاء به الرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامة لهداية الناس واستقامتهم ، وأنه اذا كان هناك من يمتن على الآخر فالله وحده صاحب المنـة وليس المؤمنون به : **« يمنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين » (١) ٠**

يروى عن الرسول عليه الصلاة والسلام قوله : « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء » ٠٠

★★★

٧ ــ هل الزواج قضاء وقدر ؟

طالب بالبكالوريوس باحـدى الكليات يسال : هـل يخضع زواج شاب بفتاة ما لقدر الله ؟ أم لارادة الانسان واختياره ؟

نرجو الاجابة مع تدعيم الراى من كتاب الله ٠

● أن علم الانسان بقدر الله فى أمر ما لا يتم الا بعد وقوع هذا الأمر ٠ فعلم

---

(١) الحجرات : ١٧ ٠

الله فى الأزل سابق على وقوعه ، وارادته كذلك سابقة على هذا الوقوع · وهو سبحانه يعلم كل ما يقع فى الكون منذ الأزل ، ويريده كذلك · وما يقع فى الكون يقع تباعا ، ولكن علم الله به شامل · على معنى أن علمه غير متجدد · هو علم ثابت ، وكامل ومحيط ·

والانسان قبل أن يصدر منه تصرف ما ، أو فعل ما ، لا يعلم ارادة الله فيه وهنا يكون تصرفه أو فعله خاضعا لارادته ومشيئته الخاصة · وهنا يقال اذا تم التصرف أو الفعل : ان ذاك التصرف أو هذا الفعل قد تم بمشيئة الانسان واختياره · وفى الوقت نفسه يقال كذلك : ان ما تم ووقع من الانسان مقدور لله ومراد له ، والا لما وقع · لأنه لا يقع فى الكون الا ما شاءه الله وأراده ·

ونفهم فى ضوء هذا التوضيح قول الله تعالى :

« وقل الحق من ربكم ،

فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر » (١) ·

فالآية تصور وظيفة الرسول عليه السلام بأنها وظيفة تبليغ فحسب ، وأن ما على الرسول أن يفعله هو أن يعرض على الناس ما جاء به الوحى · ولكن ليس من وظيفته حمل الناس على الايمان برسالته · وانما الايمان بها أو الكفر بها منوط بارادة الانسان ومشيئته : « **فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر** » ·· وايمان الانسان اذن وكفره خاضع لارادته ومشيئته ــ وهو صاحب حرية فى قبول دعوة الحق أو رفضها ــ وهنا كانت مسئولية الانسان أمام الله ، نحو الايمان ونحو الكفر ·· وهنا كان استحقاقه نعيم الجنة أو عذاب جهنم ·

ولكن مع مشيئة الانسان فى موقفه من الايمان والكفر ، هناك مشيئة لله تعالى أى ايمانه وفى كفره · ولكنها مشيئة سابقة ومجهولة للانسان حين ايمانه أو حين كفره ··· ومشيئة الله تعرف للانسان بعد وقوع الايمان أو الكفر منه · عندئذ فقط يعلم الانسان قدر الله وما أراده له · وعلى هذا نفهم قول الله تعالى :

« **وما تشاءون الا أن يشاء الله ، ان الله كان عليما حكيما** » (٢) ·· أى أن ما يريده الناس ويختارونه فى حياتهم من أفعال وتصرفات ، هو أيضا

---

(١) الكهف : ٢٩ ·   (٢) الانسان : ٣٠ ·

مراد الله ووفق مشيئته جل جلاله ٠٠ هو مقدور له ٠ ولكن الانسان فقط يجهل ارادة الله فى الشىء الـذى يريد أن يتخـذ منـه موقفا ، ولا يعلم بها الا حين يختار ويقرر ٠

والانسان فى اختياره وفى مشيئته يتأثر بعوامل عديدة : يتأثر بشهوته وهواه ٠٠ ويتأثر بمناخ البيئة التى يعيش فيها ٠٠ ويتأثر بتجاربه الســابقة ان كانت له تجارب ٠٠ ويتأثر قبل هذا كله بهداية الله فى كتابه ، ان كان قـد وفق للايمان به والعمل بمقتضى مبادئه ، وبما ينقل عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، قولا ، وعمــلا ٠

والسائل هنا ــ بناء على ما تقدم ــ له ارادة ومشيئة خاصة عند اختيار الفتاة التى يتزوجها ٠ وقدر الله لا يلزمه باتجاه معين فى اختياره ٠ لأن قـدر الله لا يعـرف له الا بعد وقوع الأمر المراد من الانسان ٠

واختياره للفتاة التى يريد أن يتزوجها قد يوفق فيه ، وقد لا يوفق ، تبعــا للعوامل التى يتأثر هو بها فى هذا الاختيار ٠ ولكن اذا ترك لهداية الله أن تأخذ مجراها فى هذا الاختيار فانه يجب أن يؤثر الفتاة صاحبة الدين : اذ ينقل عن الرســول صـلوات الله عليــه قـوله : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » (١) ٠ ومعنى ذلك أن الرجل يقبل على زواج المرأة وهو متأثر بأحد هذه العوامل : المال ٠٠ والحسب والنسب ٠٠ والجمال ٠٠ والصلاح ٠٠ والتدين ٠٠ فاذا كان لابد من التفضيل بين هـذه العوامل فليقدم الدين عـلى جميعها ٠ فاذا وجد مع الدين عامل آخر أو اكثر ٠٠ فذلك من فضل الله ٠ أى أن الحديث لا يمنع أن يكون مع الدين : مال ، أو جمال ، أو شرف ونسب ٠ ولكنه يرى أن التدين فى الزوج والزوجة هو مصدر سعادة الزوجين ٠

هل الزواج مكتوب فى السماء ٠٠ بمعنى انه قسمة ونصيب ؟ أم انــه مرهون بارادة الزوجين ؟ ٠٠

الحديث عن مشيئة الله ، ممثلة فى القضاء والقدر ، ومشيئة الانســان ممثلة فى حريته وارادته غير المقيدة : هو حديث عن مشكلة الصلة بين الله والانسان ، هل هى صلة تقوم على الجبر والالزام من جانب الله للانسان ، أم تقوم على الاختيار من الانسان فتكون له مشيئة فيما يعمل ويقدم عليه من أمر ؟

---

(١) التاج : جـ ٢ ص ٣١٤ ٠

وخلق الله للانسان روعى فيه أن يكون الانسان ذا مشيئة وارادة · لأنه لم يخلقه من مادة فقط ، هى الطين أولا . ثم الماء المهين ، وهى نطفة الذكر والأنثى ثانيا ، بل زوده بالسمع والبصر كمنفذ للادراك الحسى والعقلى معا · والادراك فى الانسان هو مصدر عقله ، وحكمته ، وارادته · فمرحلة العقل الأولى هى التفكير ··· ومرحلته الثانية هى الموازنة بين ما يجب أن يعمل وما يجب أن يترك ، وترجيح ما ينبغى أن يكون · بينما مرحلته الثالثة والأخيرة هى التصميم والعزم على تنفيذ ما ينبغى أن يكون · والتصميم أو العزم هو الارادة والمشيئة · وعندما يقول القرآن الكريم : « **انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج** (أى مختلطة من الذكورة والانوثة) **نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا · انا هديناه السبيل ، اما شاكرا ، واما كفورا** » (١) ·· فانه يصور خلقه ، وموقفه من الرسالة الالهية · وموقفه منها ــ كما تنطق الآية هنا ــ هو صاحب المشيئة : اما أن يكون شاكرا لله فيؤمن بها ، أو غير شاكر له فيكفر بها ·

فالانسان هنا مخلوق له مشيئة وارادة فيما أرسل الله اليه من هداية على لسان رسول من رسله · ويجيىء أمر الله للرسول عليه الصلاة والسلام فى سورة الكهف : « **وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ·· ومن شاء فليكفر** » (٢) ·· مؤكدا مشيئة الانسان فى الهداية والكفر ·

ومشيئة الله فى كونه ·· وفى خلقه ·· هى مشيئة عامة ، تمثلها قوانين ومبادىء تحكم الكون كله وتنظم وجود المخلوقات وتنسق بينها · فالله ، مثلا : أراد أن يكون الانسان من بين مخلوقاته ذا عقل وتفكير ، والانسان اذا استخدم عقله عندئذ يستخدمه على نمط ما خلق عليه · وقد خلق العقل على أن تكون الارادة احدى مراحل التفكير عن طريقه · فالارادة اذن التى يمارسها الانسان شاءها الله أولا فى خلقه للانسان وهى ثانيا جزء لا يتجزأ فى تكوين عقل الانسان ذاته · ولا تعارض اذن بين ارادة الله وارادة الانسان · فهناك ارادة كلية هى لله · وهناك فى مقابل تلك الارادة الكلية ارادة جزئية هى للانسان الفرد ·· وهذه من تلك ·

واذا تحدث القرآن فأسند فى بعض آياته الهداية الى الله كما جاء فى قوله : « **انك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء** » (٣) ·· فانه يريد بالذات أن يطمئن الرسول عليه السلام بأنه ليس من أهداف رسالته حمل الناس على الهداية ، بل عليه البلاغ فقط · وعلى كل حال طالما كانت مشيئة

---

(١) الانسان : ٢ ، ٣ ·
(٢) الكهف : ٢٩ ·
(٣) القصص : ٥٦ ·

الانسان الفرد جـزءا من مشـيئة الله الكلية فالنسـبة عنـدئذ الى الله نسـبة صـادقة ٠

وعلى هذا : ما يقع من زواج بين اثنين يقع أولا ـ أو ينبغى أن يقـع ـ بارادتهما واختيارهما ٠ وارادتهما معا من ارادة الله ٠ وهنا كانت مسئولية الانسان عما يقع منه من أخطاء ٠ وكان ثوابه على فعـل ما طابق هداية الله فى السلوك والاعتقاد ٠٠

* * *

٨ ـ الأحـلام المزعجـة :

طالب باحدى المدارس الاعدادية : ينسى كثيرا ٠٠ ويحلم أحلاما مزعجة ، مع أنه يقرأ آيات قرآنية قبل نومه ٠٠ فماذا يصنع ؟

● أن وظيفة القرآن الأولى هى هداية الناس الى الطريق المستقيم فى السلوك ٠٠٠ وهى تجنب الناس الانحـراف فيمـا يصـدر عنهم من معاملات ، وافعال ، ومواقف ٠٠ هى بشارة المؤمن الذى يعمل عملا صالحا بأن له أجره الحسن فى الآخرة . وانذار المعارض بأن له جزاءه فى جهنم من عذاب اليم :

« **ان هذا القـرآن يهـدى للتى هى أقـوم** (أى للطـريق التى هى أكثر استقامة واعتدالا) ، **ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجـرا كبيرا ٠ وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما** » (١) ٠٠٠

وليس من أهداف القرآن أن يتخذ وقاية من مرض عضوى ، أو علاجا من خلل فى الأجهزة العضوية للبدن ٠ نعم قد تحدث كتاب الله فوصف نفسه بأنه « شفاء » فى قوله تعالى : « **وننزل من القرآن ما هو شفاء** » (٢) ٠

ولكن شفاء القرآن هو شفاء النفوس من الحيرة والضلال ، والقـلق والاضطراب الناشئين عن عدم الهـداية الى الصراط السوى ٠٠ هو شـفاء الصدور من الأحقاد والبغض للآخرين : « **يا ايها الناس قد جاءتكم موعظـة من ربكم ، وشفاء لما فى الصدور** » (٣) ٠٠ بدليل أن الحديث يستطرد فيقـول فى سورة الاسراء : « **ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا** » (٤) ٠

---

(١) الاسراء : ٩ ، ١٠ ٠
(٢) الاسراء : ٨٢ ٠
(٣) يونس : ٥٧ ٠
(٤) الاسراء : ٨٢ ٠

فيصف القرآن نفسه كذلك : بأنه رحمة للمؤمنين بسبب هدايته اياهم الى الطريق الواضح المعالم فى استقامته ، وبأنه يزيد خسارة الظالمين ـ وهم المعارضون الكافرون ـ لأنه يسجل عليهم دعوة الرسول الى الحق ، ومعارضتهم اياها ، رغم أنها دعوة لصرفهم عن ظلم أنفسهم بالكفر والمعارضة واتباعهم لصوت العقل فى أنفسهم ، وصوت الحق فى كتاب الله ، حتى لا يمارسوا الطغيان فى الدنيا ، وينالوا العذاب فى الآخرة ·

فالقرآن بهدايته الى الطريق المستقيم ، والطريق التى هى أقوم ، يشفى النفوس المريضة بالضلال · ولكنه لا يشفى الأبدان من أمراض جسدية تصيبها · نعم اذا شفيت النفوس المريضة بالضلال فان شفاءها عن طريق اتباعها لهداية الله سيؤثر تأثيرا ايجابيا على أبدانها ، فى طاقتها على التحمل والصبر على المكاره وفى مواجهة الأزمات ·

والسائل اذ يعرض فى سؤاله هنا : أنه ينسى كثيرا ، وأنه يرى أحلاما مزعجة ربما يعود ما به الآن الى ضعف عام فى صحته ، أو الى مخاوف كانت تقص عليه فى حكايات فيما مضى فاختزنها لفترة ، ثم أخذت ترد الآن على خاطره تباعا ، والأجدر بمن يعنى بصحة هذا الطالب أن يعرضه على طبيب بشرى أو نفسى لمعالجته · ولا يتخلى عن عادته فى أن يقرأ القرآن كلما أتيحت له فرصة لقراءته · ففى قراءته اتصال بذات المولى جل جلاله ، واعتماد عليه فيما يعرض له من هموم الدنيا وأزماتها وشدائدها ولكن فقط يجب عليه أن يعتقد : أن شفاء القرآن بهدايته ، هو شفاء للامراض الاجتماعية بين الناس ، وشفاء لأمراضهم النفسية بسبب الأنانية وطغيان النفوس · واذن هناك مكان للطب البشرى لا يمنع الاسلام من ممارسته ولا من أخذ مشورته ·

★ ★ ★

٩ ـ تأديب المراهقين لحملهم على الصلاة :

سيدة تسأل : لها ولدان · سن أحدهما اثنتا عشر سنة وسن الآخر خمسة عشر عاما · وكلاهما لا يؤدى الصلاة · وقد حاولت نصحهما مرارا فلم توفق · فهل تضربهما حتى يؤديان الصلاة ؟

● مما يصعب على السيدة السائلة توجيهها لولديها ، وطلبها المواظبة على الصلاة منهما : ظروف واحداث مرت بالبلد ، جعلت من « التدين » يوما ما جريمة تطارد · فعزف كثير من الآباء عن مواصلة الجهد فى حمل أبنائهم على أداء العبادات ، وبالأخص : الصلاة ، والصوم · بالاضافة الى انتشار

الدعوة الى الالحاد والتشكيك فى القيم الاخلاقية والدينية ، فى تلك الفترة التى كان التضييق فيها على التدين قائما . فشغل ذلك الفراغ لدى الشباب ، ووجد من بينهم الكثيرين يتجهون الى التحلل من عادات المجتمع وتقاليده . بل ويسخرون منها .

فالبيئة فى المجتمع كاد أن يصبح غريبا عليها ممارسة الشباب لعبادة الصلاة فى المسجد ، والصوم فى شهر رمضان . والمدرسة كذلك بعد أن غيرت فى النصوص فى منهاج اللغة العربية ، وأغفلت كثيرا من الآيات والاحاديث النبوية ، وعوضتها بمقتطفات من مصادر أخرى ، أصبحت عنايتها بالتوجيه الدينى فى أدنى مستوى له .

والبيئة والمدرسة قد تكونان من العوامل المساعدة للأسرة فى توجيه أبنائها نحو أداء العبادة لله جل جلاله ، اذا حرصتا على المشاركة فى هذا التوجيه بقدر جاد .

أما اذا ابتعدتا عن هذا التوجيه لسبب أو لآخر ، فتكونا من العوامل المضادة لاتجاه الأسرة . وعندئذ يصعب على الأسرة أن تقوم فى نطاقها بالتوجيه الدينى بالنسبة لأبنائها .

ومع ذلك فاصرار الأسرة على توجيه أبنائها نحو أداء العبادة فى الاسلام ، قد يجد طريقه رغم ملاءمة البيئة والمدرسة لجو هذه العبادة . ويأتى هذا الاصرار من اقتناع الأسرة بأن أداء الصلاة ، والصوم من قبل الأبناء فى سن مبكرة ، هو السبيل الكفيل بصياغة الأولاد صياغة انسانية مهذبة . وباعدادهم للحياة وما قد يحدث فيها من أزمات ومشاق .

فالتعود على أداء الصلاة يرفع المصلى من الاستغراق فى الشهوات والأهواء ليتذكر الله خمس مرات فى اليوم ، وبذلك لا تخضع نفسه لشهوة ولا لاغراء بمتعة مادية فى هذه الحياة . فهو يعيش للحق ، ويجانب الحق ، ولا يخشى موجودا اطلاقا سوى الله وحده . واذا اتصل بالآخرين ، مادام يعيش للحق ويجانب الحق ، فانه يتصل بهم فى دائرة الحقوق والواجبات . يؤدى ما يجب ويأخذ ما يحق له .

والتعود على أداء الصوم يجعل من الصائم انسانا لا يهزه الحرمان عن طريق الشدائد والأزمات التى تواجهه . لأنه فى حياته قد مارس الحرمان مما تشتهيه النفس أو تهواه ، بارادته ومشيئته ، ولا يختلف حرمان الشدائد عن حرمان الارادة ، فى الاحتمال والصبر عليه .

ان الصلاة اذا كانت تحد من الاغراء بالدنيا ، فان الصوم ينيب التدلل والميوعة ، ويصقل النفس الانسانية ، ويعدها للاحتمال عند المكاره . وذلك ليس بشيء هين فى تربية الانسان ٠

ولشأن الصلاة فى حياة الناشئة يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى نداء موجه الى أولى الأمر : « مروا صبيانكم بالصلاة لسبع سنين . واضربوهم عليها لعشر » ٠٠ أما تكليف الشباب بها فعند بلوغ الحلم ٠ اى أن مسئولية الشباب عنها أمام الله تبتدىء من البلوغ ٠ بينما مسئولية الآباء فى توجيه أبنائهم نحو الصلاة فتكون منذ السابعة فى سنهم ٠ والمراد بأمر الصبيان ــ وكذلك البنات ــ بالصلاة فى سن السابعة توجيههم بأسلوب يشعر معه الأولاد بالرغبة المؤكدة من قبل آبائهم وأمهاتهم فى اداء الصلاة ٠ على أن تكون الآباء والامهات قدوة حسنة لهم فى الأداء ٠

ومعنى الضرب كجزاء على التخلف عنها فى سن العاشرة هو ترك الأولاد يفهمون : أن تخلفهم عنها فى هذه السن يسبب الغضب لآبائهم وأمهاتم وأنهم من أجل ذلك يوشكون ان يقعوا بضربهم ٠ فالعبادة لله يجب أن تؤدى فى رضى ومحبة ٠ والاكراه عليها لا يجدى سوى النفاق فيها ٠

* * *

١٠ ــ عدم الولاء لرقيق الدين :

أنا مسلم وأودى الفرائض ٠ فهل لى أن أصادق رقيق الدين ، ومن لا يؤدى فرائض ربه ؟ علما بأن الرسول يقول : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » ٠٠

● فى توجيه الاسلام للمؤمنين فى ارتباطاتهم مع الآخرين ، ممن ليسوا فى مستوى ايمانهم ، ينصح بثلاثة أمور ، حسبما درجة الارتباط :

أولا : ينصح المؤمنين بأن لا ينشئوا علاقة صداقة ــ وهى ما يسميها بعلاقة الولاء ــ مع الكافرين ، وهم الصرحاء فى كفرهم ، ويرى أن المؤمن الذى يقدم على علاقة الصداقة مع كافر هو بعيد كل البعد عن الله : عن دينه وعن مبادىء ذلك الدين فى تنظيم حياة المؤمنين كافراد وكمجتمع ٠ يقول تعالى : « **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء** » (١) ٠

---

(١) آل عمران : ٢٨ ٠

ثانيا : يجيز أو يرخص للمؤمنين بأن تكون لهم علاقة ارتباط مع الكافرين فى اطار الصداقة العامة ، اذا كانت ظروف الخشية منهم تضطرهم الى صداقتهم بأن يكون هؤلاء الكافرون فى موقع القوة والتربص ، بينما المؤمنون فى موقع الضعف ، سياسيا أو عسكريا : « **الا أن تتقوا منهم تقاة** (اى الا أن تكون الصداقة لوقاية انفسكم منهم · عندئذ يجوز لكم ايها المؤمنون أن تكون لكم بهم علاقة ولاء) » (١) ··

ثالثا : ان الاسلام لا يتصور أن يكون هناك مؤمنون بالله ، يجمعون بين ايمانهم به ومودتهم للمخالفين والمنحرفين عن هذا الايمان ، مهما كانت هناك من علاقات الدم والقرابة بين الطرفين : « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله** (أى خالف الله ورسوله فيما نقل عنهما من أوامر ونواهى) **ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم** » (٢)

ومعنى عدم تصور الاسلام لهذا نهيه عن أن يكون هناك تواد من جانب المؤمنين للمخالفين والمنحرفين · ورقيق الدين ومن لا يؤدى فرائض ربه يقع فى هذه الدائرة ·

والمؤمن اذن ليس لديه مانع من جانب الاسلام فى أن تكون له علاقة صداقة مع كافر عندما تكون هذه الصداقة الطريق للوقاية من شروره وعدوانه ·

وأصلا هو ممنوع من مد هذه الصداقة الى كافر ، دون اخوانه المؤمنين · كما هو ممنوع من مباشرة التواد مع مخالف منحرف عن دين الله ، مهما كانت هناك من روابط القرابة القريبة بينهما ·

وهذا التوجيه قصد به أن يكون المؤمن فى حيطة وحذر ، مما قد يدبر له من أعدائه · وأعداؤه فى واقع الأمر دائما هم الكافرون بما يؤمن به ، والمنحرفون عن دين الله واتباع تعاليمه · ولم يقصد به اطلاقا أن يعبىء المؤمن به بعداوة الآخرين أو بتدبير الانتقام منهم لكفرهم وانحرافهم ، لأنه يطلب منه أن يكون فى سلام معهم طالما يسالمونه : « **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** » (٣) ·

★ ★ ★

---

(١) آل عمران : ٢٨ ·
(٢) المجادلة : ٢٢ ·
(٣) الأنفال : ٦١ ·

١١ـ سجود الملائكة لآدم :

· **آنسة من احدى القرى تستفسر عن معنى قول الله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » (١) ٠**

● هذه الآية تفيد أن الله تعالى بعد أن خلق الملائكة اراد أن يختبرهم فى طاعته ، فأمرهم بلسجود لآدم : « **فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر ، وكان من الكافرين** » (١) ٠ وعلل ابليس عصيان ربه فى هذا بما جاء على لسانه فى قول الله تعالى : « **قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك ؟ قال : انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** » (٢) ٠٠ فتصور ابليس أن الانسان خلق فقط من مادة وهى الطين بينما هو كملك خلق من مادة هى النار ٠ والنار لخفتها وميلها الى الارتفاع والصعود أشرف فى نظره من الطين الذى ينجذب لثقله الى الأرض ٠ وفرق بين ما يرتفع ويسمو ، وبين ما يدنو من الأرض ويسقط عليها ٠ ونسى ابليس أن الانسان لم يكن مادة فقط ٠ وانما أضيف الى الخلق من طين : تصويره بالادراك والعقل ٠ كما جاء فى قول الله تعالى : « **ولقد خلقناكم ، ثم صورناكم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** » (٣) ٠ فتتحدث الآية هنا عن أمرين فى الانسان : الخلق ، ثم التصوير ويوضح هذا ، قوله سبحانه فى سورة الانسان : « **انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيرا** » (٤) ٠ فالمادة المختلطة من الذكورة والأنوثة فى أصل الانسان ـ بعد أن تحول الطين الى ماء مهين ـ اضيف اليها : اعداده بالسمع والبصر ٠ والاعداد بالسمع والبصر هو اعداد بمدخل العقل والادراك فيه ٠ وجاءت مراحل التحول كله فى خلق الانسان ، فى قوله تعالى : « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ٠ ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ٠ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم انشأناه خلقا آخر** (أى مزود بالعقل والادراك) **فتبارك الله أحسن الخالقين** » (٥) ٠٠

فالانسان بخلقه وتصويره كان مخلوقا مكرما عند الله ، وفضله على كثير ممن خلق : « **ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » (٦) ٠٠

---

(١) البقرة : ٣٤ ٠ — (٢) الأعراف : ١٢ ٠

(٣) الأعراف : ١١ ٠ — (٤) الانسان : ٢ ٠

(٥) المؤمنون : ١٢ ـ ١٤ ٠ — (٦) الاسراء : ٧٠ ٠

وخطأ ابليس اذن انه لم يدرك هذا الجانب فى آدم ، فعصر ربه وغوى عن هدايته . بامتناعه عن السجود ، عندما أمر هو والملائكة بالسجود لآدم ، وأصبح ابليس بهذا العصيان مصدرا للوسوسة والشر ، كما أبعد وطرد من الجنة الى هذه الأرض .

وكذلك بعد ما خلق آدم وحواء أراد الله اختبارهما أيضا فى طاعته : **« وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغدا حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه » (١) .**

وبمخالفة آدم وحواء ما امرهما به الله تعالى دخلا فى العصيان ، ونالا جزاءهما بالطرد من الجنة ، كما جوزى ابليس به : **« وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو** (وهم ابليس . وآدم . وحواء) **ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين » (٢) .**

وبنزول الثلاثة الى الأرض ــ وهم طرفان فى العداوة : ابليس طرف ، وآدم وحواء طرف آخر ــ وجد الشر والخير على هذه الأرض ، ووجد الصراع بينهما . ويستمر هذا الصراع الى حين . وهو يوم تقوم الساعة .
وبنو آدم ــ بعد آدم وحواء ــ دخلوا مجال الاختبار والابتلاء فى هذه الدنيا وعلى هذه الأرض . والانسان لأنه مخلوق مركب كانت مادته مصدر غرائزه وشهوته وهواه ، وكان عقله مصدر حكمته ، ولكن عندما اتضح فى اختبار آدم وحواء وهما فى الجنة : أن شهوتهما أو وسوسة الشيطان لهما كانت أقوى من صوت العقل والحكمة عندهما ــ ولذلك كان عصيانهما لربهما ــ شاء فضل الله أن يعين الناس على استخدام العقل والحكمة فى مواجهة الشهوة والهوى أو فى مواجهة غرائزه التى تمثل خلقه من المادة . وذلك برسالة الرسل الى الناس ومعهم كتاب الهداية : **« قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (٣) .**

واذا كان اختبار الملائكة فى طاعة الله تم من يوم أن سجدوا جميعا عدا ابليس . فان اختبار بنى آدم فى طاعته سبحانه مستمر ، مادامت الأرض هى الأرض والسموات هى السموات . ومع أن الانسان قد أعد بالعقل فان

---

(١) البقرة : ٣٥ ، ٣٦ .
(٢) البقـرة : ٣٦ .
(٣) البقرة : ٣٨ ، ٣٩ .

فضل الله عليه قد تعدى ذلك الى ارســال الرسل له . لتكون رســالتهم عونا لعقول البشر على وضوح الرؤية والتمييز بين الضلال والهداية ·

والصراع فى الانسان هو صراع بين مادته وغرائزه من جانب . وعقله وحكمته من جانب آخــر · أو هو صراع بين الشر والخير فيه · والسيد من الناس هو الذى يجعل من عقله ميزانا لما يهوى ويشتهى · والمؤمن [illegible] الذى يستعين بهداية الله فى كتــابه ليكون عقله ذلك الميــزان الذى يقيمه من نفسه ·

وما تقضى به حــكمة العقل هو ما تعطيه هــداية الله فى كتـــابه ··· والعكس بالعكس ·

★★★

١٢ ـ عدم التضييق على الكافرين فى أرزاقهم :

لماذا يعطى الاســلام الحــرية فى قبــول الايمان ؟ ولماذا لا يضيق على الرافضين للايمان فى أرزاقهم ؟

● يرى القرآن الكريم أن مهمة الرسول عليه السلام . هى فى اعلان الحق وتبليغه فقط · وليس من وظيفته حمل الناس على الايمان بما يبلغ به · يقــول تعـــالى : « **وقل الحق من ربكم ، فمن شـــاء فليؤمن ، ومن شـــاء فليكفر** » (١) ·

لأن الانسان اذا قبــل الايمان عن مشيئة واختيار ، كان ملتزما من قبــل نفسه بما آمن به · وعندئذ لا يحتاج الى رقابة خارجة عن ذاته فى تنفيذ مــا آمن به · وهكذا الانسان المؤمن له من ضميره ما يراقب عمله . بحيث يكون هذا العمل وفقا للايمان ·

ووجود رقابة ذاتية فى الانســان تدل على احتفاظه بكرامته البشرية . وهى تلك الكرامة التى تتمثل فى أن الفــرد لا يساق ولا يدفع من غيره · اذ عنــدما تنعــدم الرقابة الذاتية ، ويحتاج الفــرد الى دافع خارجى نحو عمل معين ، أو نحو موقف معين يكون ضعيف الارادة على الأقل · والارادة فى الانسان هى الخصيصة المميزة له لأنها تنشأ بعد ادراك وترجيح من عقــل الانسان نفسه ·

---

(١) الكهف : ٢٩ ·

كما يرى أن فى تضييق الرزق على المعارض ، حملا له غير مباشر على اعلان قبول الايمان ، أو يرى فيه على الأقل تهديدا لحريته وارادته التى يتميز بها الانسان • ويقول الله تعالى فى هذا الشأن : « **كلا نمد هؤلاء ، وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا** (أى على كافر أو مؤمن) • **انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا** » (١) •

وهكذا يحرص القرآن على مشيئة الانسان وحريته فى قبول الايمان ، وفى رفضه على السواء • لأن هذه المشيئة هى الخاصة المميزة لطبيعة الانسان عن طبيعة أخرى لها الحركة والنمو • ولو أدخل الاسلام عامل الاكراه كمبدأ فى حياة الانسان ـ وبالأخص فى معتقداته ـ لاختلفت هداية الله عن طبيعة الانسان • وهما أمران مخلوقان لله ومرادان له • والله سبحانه واحد فى الوهيته ، وهو كذلك واحد فى خلقه لهذا الوجود كله • ولذا يستحيل أن يكون هناك تناقض فيما خلق ، أو تعارض فيما يريد •

طبيعة انسانية تتميز بالارادة والاختيار •• وهداية الهية تبعد الاكراه عن أن يكون طريقا لها : أمران يمثلان ارادة الله فى كونه ولا راد لما يريد •

★★★

١٣ ـ عدم خضوع الاسلام للتطور :

هل يخضع الإسلام للتطور ؟

● الاسلام كدين وكمنهج للحياة الانسانية قائم على مبادىء عامة لا يخضع للتطور ، لأن هذه المبادىء من وحى الله وعلمه ، وعلم الله ثابت لا يتطور ، ولا يصير من وضع الى وضع آخر ، كما هو الشأن فى علم الانسان • فالانسان فقط ـ وليس الله ـ يتدرج علمه من حال الى حال ، فعلم الانسان بالأمس يختلف عن علمه اليوم وكذلك عن علمه بالغد ، وما يعتبره الانسان من علمه يقينا اليوم قد يصبح فى الغد القريب أو البعيد ظنا أو وهما •

واذا كان الله لا يخضع علمه للزمن والتجربة لأنه فوق الزمن والوجود المادى كله ، فعلمه علم كاشف • على معنى أنه مطلع على المستقبل ، كاطلاعه على الماضى والحاضر • وأنه لا يغيب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء •

---

(١) الاسراء : ٢٠ ، ٢١ •

وعلم الله فى رسالته الى الانسان يتفق وخصائص طبيعة هذا الانسان ، فدينه هو منهج وفق هذه الخصائص ، والانسان فى خصائصه لا يتغير اطلاقا · لأنه ثابت فى نوعيته ، ولا ينتقل الى نوع آخر مغاير له ، فطبيعة الانسان كما تشكلها حكمة العقل تشارك هذه الحكمة فيه : غرائز الحيوان · ومن أجل ذلك يتذبذب الانسان بين السمو نحو الحكمة ، وبين الدنو نحو مطالب الغريزة · ومطالبها شهوة وهوى ·

والاسلام لأنه من علم الله اذن لا يخضع الى تطور ، لأنه ليس فى حاجة الى تصفيته أو تنقيته من أخطاء وقعت فيه بفعل الهوى ، على نحو ما فى علم الانسان ·

انما الذى يتطور بالنسبة للاسلام هو ايمان المؤمن به ، فالمؤمن يعلن ايمانه بالاسلام · واعلان ايمانه به هو نقطة البداية · ثم يتطور ايمانه من هذه البداية على قدر تخلصه من رواسب الجاهلية الأولى ، وهى المادية وما يقوم عليها من عادات وتقاليد · وكلما صفى المؤمن حياته من هذه الرواسب كلما تقدم درجة أو درجات فى ايمانه · واذ يقول الله تعالى : « **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق** » (١) · يشير الى أن الوصف بالايمان لا يعنى الوصول الى الكمال فيه · والكمال فيه هو نهاية تطوره · وذلك لا يكون الا عندما يخشع قلبه لذكر الله وما نزل من الحق من آيات اذا تليت عليه أو اذا قرأها · وهى حالة خاصة ·

ومن أجل تطوير ايمان المؤمنين على عهد الرسول عليه السلام نزل الوحى عليه منجما فى ثلاث وعشرين سنة ، وجاء فى السورة قبل الأخيرة فى الوحى المدنى قوله تعالى : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى** (ببلوغ درجة عالية وبعيدة المدى فى الايمان) **ورضيت لكم الاسلام دينا** » (٢) ·

وهكذا : ايمان المؤمن يتطور ·· أما الاسلام نفسه : فهو فى علم الله ثابت لا يتغير ·

★ ★ ★

---

(١) الحديد : ١٦ ·

(٢) المائدة : ٣ ·

١٤ ــ تدخل الغريب فى شئون الأسرة يسىء اليه والى الأسرة :

مواطن باحدى الشركات يسأل : عن التوجيه السليم الذى يرضى الله ويرضى الأسرة التى اتصل بها لمساعدتها فأساء الزوج الفهم لعلاقته بها ، وأخذ يعذب زوجته وأخيرا تزوج عليها • والزوجة وأولادها فى حاجة الى مساعدة : أيترك الآن الأسرة مع حاجتها الى مساعدته ؟ أم يظل معها مع تعذيب الزوج لزوجته وأولاده ؟

● أن السائل أجنبى عن هذه الأسرة التى اندمج فيها ، وسبب اندماجه هذه المشكلة • هو ليس بقريب للزوجة ولا للزوج ، أى ليس بذى محرم لها • وطالما هو أجنبى عنها فلا يحل له التردد عليها وبالأخص فى غيبة الزوج ، كما لا يحل له أن يتقدم اليها بخدمات يسيىء الزوج فهمها ، وتكون محل شبهة له ولغيره من المجاورين للأسرة فى السكن •

وفى قول الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون » (١) •** ما يفيد حرمة الدخول فى منزل هذه الأسرةلأجنبى عنها ، فضلا عن حرمة التدخل فى شئونها ، طالما الزوج لم يأذن له • وعدم اذن الزوج قائم عندما يسىء فهم العلاقة بين هذا الأجنبى وأسرته ويضعها موضع الريبة •

واذن الزوجة لهذا الأجنبى بالدخول فى المنزل من وراء الزوج لا يرفع الحرمة اذ مطلوب من الزوجة أن لا تأذن بدخول المنزل لمن يكرهه زوجها ، كما جاء فى الحديث الشريف : **« ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون » (٢) •**

فدخول المنزل اذن لهذا الأجنبى حرام من غير اذن الزوج • وحديثه كذلك مع الزوجة ، واطلاعه على زينتها ــ وزينة المرأة هى بدنها ــ حرام • فالمطلوب من الزوجة أن لاتبدى جزءا من بدنها عدا الوجه والكفين الا لزوجها أو أحد محارمها ، كما جاء فى الآية الكريمة : **« ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن أو أبنائهن ، أو أبناء بعولتهن ، أو اخوانهن ، أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن ، أو ما**

---

(١) النور : ٢٧ •

(٢) التاج جـ ٢ ص ٢٤٨ •

ملكت أيمانهن ، أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » (١) ٠

يجوز أن يكون السائل صادقا فيما يقول : من أنه لا يستهدف من خدماته لهذه الأسرة الا مساعدتها ، وأنه لا يقصد اطلاقا أن يسىء بها الى العلاقة بين الزوج وزوجته ، وانما قدومه على هذه القرية ــ فى مكانها النائى ــ هيأ له الاتصال بهذه الأسرة بدافع الميل الاجتماعى فى الحياة وحده ٠ ولكن المبالغة فى الحدب عليها حولت نواياه الطيبة الى مقاصد سيئة فى تصور رب الأسرة ٠

والتوجيه السليم هو الكف وترك الأسرة وشأنها ، واتقاء الشبهات المريبة ، فضلا عن اتقاء أنواع الحرمة المختلفة : وهى حرمة الدخول بغير اذن الزوج ٠٠ وحرمة الحديث مع الزوجة ، والاطلاع على بعض زينتها من غير ذى محرم لها ، واثارة الفتنة بين الزوج وزوجته والبغضاء بين الأب وأولاده ٠

ان سبيل الخير اذا صار سبيلا لهدم الأسرة أو لاضعافها يصبح مصدر شر يجب تجنبه ٠

★★★

★ طالب باحدى الجامعات يسأل عن حكم الشرع :

(أ) فى التقاء فتى بفتاة لمرة واحدة ، فى غيبة أهلها ، لمعرفة رأيها فى الزواج ؟

(ب) وفى الحدود التى تسمح باللقاء بعد الخطبة ؟

(جـ) وفى مسئوليته عن ظهور العروس فى الفرح بزينتها التى حرم الله ، أمام الناس ؟

● هما مرحلتان فى حياة الرجل بالمرأة :

المرحلة الأولى : أن يكون الرجل أجنبيا عن المرأة ، والمرأة أجنبية عنه ٠ فى هذه المرحلة لا يجوز أن يخلو الرجل بالمرأة ، ولا أن تخلو المرأة بالرجل ، مهما كانت الغاية شريفة ونزيهة ، كمحاولة التعرف على رأيها فى الزواج ٠ وخلو الرجل بالمرأة معناه : أن لا يكون معهما محرم من أهلها ٠

---

(١) النور : ٣١ ٠

فاذا كان هناك محرم من أهلها جاز اجتماع الرجل مع المرأة لخطبتها ، وجاز النظر الى ما ليس محرما النظر اليه منها ، وهو الوجه والكفان ، وجاز الحديث معها ، ويجوز أن يتكرر هذا الاجتماع حتى يقف الرجل على ما يدعوه منها الى الزواج بها ، أو العدول عنه ، يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « لا يخلون رجل بامرأة الا مع ذى محرم » ..

والمرحلة الثانية : أن يصبح الرجل زوجا للمرأة ، وعندئذ يحل له منها ما كان محرما عليه من قبل ،

وبناء على ذلك التقاء الفتى بالفتاة فى غيبة عن أهلها لتعرف رأيها فى الزواج غير جائز شرعا ،

والحدود التى تسمح بالقاء بعد الخطبة هى تلك الحدود التى لا تجيز للرجل أن يجتمع بامرأة فى غير محرم معها ،

أما مسئولية الزوج عن ظهور العروس فى الفرح بزينتها التى حرم الله أمام الناس فهى مسئولية قائمة بالفعل ، فالمفروض أن الزوجة لزوجها وليست للآخرين غيره ... ومطلوب من المرأة على العموم أن لا تبدى زينتها لأجنبى عنها الا ما ظهر منها ، أى لا تبدى من بدنها الا ما تضطر اليه من كشف الوجه واليدين ، تيسيرا لحركتها وقضاء مصالحها : **« ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها »** (١) ، أما بالنسبة لزوجها فطبعا يحل لها أن تبدى زينتها له ، بل يطلب منها أن تعمل على ما يجذب زوجها نحوها ، بأن تبعد كل ما ينفره منها ، ولذا يستحب من الزوج اذا كان غائبا فى سفر وحضر : أن لا يدخل المنزل فجأة ، بل ينبغى له أن ينبه زوجته بعودته قبل دخوله ، حتى تتهيأ هى لاستقباله ، وهى فى وضع يقبل عليه ويسر منه ،

★★★

١٥ ــ عناية الاسلام بالفرد :

يسأل طالب بالمرحلة الاعدادية : عن مظاهر عناية الاسلام بالفرد من الناحيتين الجسمية .. والعقلية ؟

● طريق الاسلام فى توجيه الانسان هو طريق التوازن بين الجسم

---

(١) النور : ٣١ ،

والعقل : فلا هو يقر الرهبانية والامتناع عن الزواج كسبيل لمنع الزلل والخطأ ٠٠ ولا هو يقر ايضا : الصيام طويل الأجل ، كما كانت تدعو بعض الاتجاهات الدينية الشرقية القديمة ٠٠ لا يقر هذا وذلك لأنه يحرص على سلامة البدن من جهة . واستمرار النوع الانسانى من جهة أخرى ٠

وكذلك لا يقر الافراط فى المتعة المادية ، محافظة منه على أن تكون للعقل فعالية : « **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين** » (١) ٠ فهو يطلب الاستمتاع بمتع الحياة المادية ، ولكنه ينهى عن الاسراف فى الاستمتاع بها . حتى لا يضار العقل فى وظيفته . عن طريق الضرر الذى يصيب البدن ٠

وعناية الاسلام بالبدن اذن هى : فى حل الزواج والمعاشرة الجنسية ، وفى حل الطعام بما لم ينه عنه الله ٠ والله سبحانه لم ينه الا عن الميتة ، والدم المسفوح ولحم الخنزير : « **قل لا أجد فى ما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا ، أو لحم خنزير فانه رجس** » (٢) ٠

وعناية الاسلام بالعقل كما تكون بطلب الاعتدال فى الاستمتاع بمتع الحياة المادية تكون بالحرية التى يتيحها للانسان فى ممارسة العقل ٠ فالاسلام لا يكره الانسان على الايمان بالله أو البقاء على الكفر ٠ وانما يضع أمامه الحقائق غير مغلقة ٠

ووظيفة الرسول هى فقط : الكشف عن الحق وابلاغه للناس : « **وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** » (٣) ٠

والحرية التى يتيحها الاسلام للانسان فى ممارسة العقل كما تتحقق فى عدم اكراهه على الايمان . تتحقق أيضا بطلبه ابعاد مؤثرات البيئة من عادات وتقاليد عن التفكير حتى يتوفر الجو الصالح للفكر الحر والارادة الانسانية الحرة ٠ لذا يعيب الاسلام على الذين ينحرفون فى تفكيرهم ويكفرون بالله بسبب التقاليد والعادات المسيطرة على بيئتهم : « **واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** » (٤) ٠

---

(١) الأعراف : ٣١ ٠ — (٢) الأنعام : ١٤٥ ٠

(٣) الكهف : ٢٩ ٠ — (٤) المائدة : ١٠٤ ٠

والعبادة من صلاة ، وصـوم ، وزكاة : توفر الصـلاحية التى يطلبها البدن ليكون بعيدا عن الانحراف ، والتى يطلبها العقل ليكون صاحب تفكير سليم ٠

***

★ سيدة من احدى المحافظات تسأل :

أولا : عن حكم الفقه الاسلامى فى بعض الهدايا التى تقدمها هى لأختها أو لأولادها من مال الزوج بدون اذنه ، نظير بعض الهدايا التى تقدمها الأخت لها ولأولادها ٠

● والجواب على ذلك : انه لا يجوز للزوجة أن تأخذ من مال زوجهـا بغير علمه الا ما يخص نفقتها أو نفقة أولادها . اذا كان الزوج بخيلا ٠ لحديث عائشة رضى الله عنها : « ان هنـدا قالت يا رسـول الله : ان أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى الا ما أخذت منه وهو لا يعلم ٠ فقال : « خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » ٠٠

وثانيا : أن لها الآن أربعة أولاد ، وحالتها الصحية لا تسمح لها بالحمل ولا بالولادة وقد اجهضت نفسها خشية من الخطر عليها عند الولادة ٠٠ فما حكم هذا الاجهاض ؟

● والجواب : ان ما يكون حراما قد يصبح حلالا اذا توقفت عليه صحة الانسان وحياته . يقول أهل الخبرة من المؤمنين ٠ فالاسلام لم يجىء عنتـا للانسان وانما ليهديه الطريق المستقيم فى السلوك ، وليحافظ على بدنه من الفساد وعلى عقله من الضلال ٠

وثالثا : هل أداء فريضة الحج تسقط اثم الصلوات التى لم تؤد قبـل ادائه ؟

● والجواب : ان اسقاط الآثام والمعاصى يعود الى الله سبحانه وحده بالتوبة النصوح . وأن أداء فريضة من الفرائض لا يكون عوضا ولا بدلا عن فريضة أخرى ٠

***

١٦ ـ نزول القرآن فى ثلاث وعشرين سنة :

لماذا أنزل القرآن فى ثلاث وعشرين سنة ، ولم ينزل دفعة واحدة ؟

● طلب كفار مكة على وجه التحدى ، من رسول الله عليه الصلاة والسلام : أن ينزل القرآن عليه مرة واحدة · وادعوا أنه لو نزل دفعة واحدة لآمنوا برسالته · ويحكى القرآن ذلك فى قول الله تعالى فى سورة الفرقان :

« وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » ؟ (١) ·

وكان رد القرآن عليهم فى نفس الآية :

« **كذلك** ·· (أى أنزلناه على نحو ما أنزلناه عليه مجزأ) **لنثبت به فؤادك** (يقصد الرسول عليه السلام) **ورتلناه ترتيلا** (أى وجزأناه أجزاء فى النزول) » (٢) ·

فالرد يتضمن : أن الهدف من نزول الوحى على فترات طوال الثلاث والعشرين سنة هو تطمين الرسول عليه السلام على دعوته ، وعلى المؤمنين برسالته فى صدق ايمانهم بها · اذ دعوة الاسلام هى دعوة لتحويل الانسان المادى أو الأنانى ·· الى انسان يعى روابطه مع الآخرين على أساس من القيم العليا فى حياة الانسان ·· أى على أساس من الاخوة والتعاون والمشاركة الوجدانية فى السراء والضراء ، ومعاونة القوى للضعيف · والترابط على اساس هذه القيم وهو ما يسميه الله فى كتابه « **بحبل الله** » فى قوله تعالى : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » (٣) ·

وهذا التحول عملية نفسية تقف فى طريقها عقبات نفسية كثيرة وأخصها العادات والتقاليد المادية أو الجاهلية السابقة · لا يذللها الا : استمرار الدعوة والانتقال بنفوس المسلمين فى تدرج من وضع سيىء الى وضع أقل سوءا ، ثم الى وضع حسن فأحسن ، حتى يتم التحول · وهذا التحول اذن يحتاج الى زمن ، والى تدرج فى السير نحو هدف الرسالة ·

ونلاحظ هذا التدرج فى أسلوب القرآن فى الدعوة · اذ يبغض أولا فى عادات الماديين ، كما يبغض فى الربا فى قول الله تعالى : « **يمحق الله الربا** ،

---

(١) الفرقان : ٣٢ ·
(٢) الفرقان : ٣٢ ·
(٣) آل عمران : ١٠٣ ·

ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم » (١) ·· ثم ينهى عن اتباعها كما ينهى عن الربا بعد ذلك فى قوله : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » (٢) ثم يرغب فى العادات الانسانية القابلة ، كما يرغب فى الانفاق فى سبيل الله ، بمثل قوله تعالى : « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل (مطر) فآتت أكلها ضعفين ، فان لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير » (٣) · ثم أخيرا يأمر بالعادات المرغوب فيها · فهنا مثلا يبغض فى الربا ، ثم ينهى عنه ثم يرغب فى الانفاق فى أوجه الخير ، ثم يأمر بالزكاة · وبينما فرض الزكاة كان فى آخر سورة فى الوحى وهى سورة التوبة . أى فى السنة الثامنة من الهجرة ، كان التبغيض فى عادات الجاهلية فى سوء استغلال المال مبكرا فى سورة الفجر ، وهى السورة العاشرة فى الوحى المكى قبل الهجرة ، فى قوله تعالى : « وتأكلون التراث أكلا لما · وتحبون المال حبا جما » (٤) ·

فالتحول هنا فى الموقف من المال هو : من الحرص الشديد على المال فى جمعه والشح به ولو كان عن طريق أكل حقوق الآخرين الضعفاء كالنساء والاولاد فى ميراثهم ·· الى انفاق المال على الآخرين فى غير مقابل مادى من أحد ، سوى القربى لله · والتحول هنا هو اذن من الضد ·· الى الضد تماما · وهذا التحول النفسى يحتاج الى تؤدة ووقت ، كما يقع فى مراحل وتطور · ومن هنا كان الزمن الذى أخذه التحول للمؤمنين على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هو زمن الوحى كله ، وهو ثلاث وعشرون سنة ·

وكانت المراحل فى الانتقال بأحكامها المختلفة ، وهى مراحل عديدة ، اقتضت تكوين جيل مؤمن ·

وهكذا : كانت الحكمة من نزول القرآن مجزأ : أن ينزل الحكم وفقا للتطور النفسى فى الايمان فى نفوس المؤمنين ، حتى اكتمل هذا التحول النفسى لهم ، واكتمل الدين كله ، ويعبر عن ذلك قول الله تعالى فى سورة المائدة ــ وهى السورة التى نزلت قبل آخر سورة فى القرآن مباشرة ــ : « اليوم أكملت لكم دينكم (أى بنزول القرآن كله) وأتممت عليكم نعمتى (أى باتمام تحولكم

---

(١) البقرة : ٢٧٦ ·
(٢) البقرة : ٢٧٨ ·
(٣) البقرة : ٢٦٥ ·
(٤) الفجر : ١٩ ، ٢٠ ·

من وضعكم الجاهلى الى وضعكم الانسانى ، **ورضيت لكم الاسلام دينا** » (١) ٠

وقد ظل القرآن يخاطب المؤمنين من يوم اعلانهم للايمان الى ان انتهى الوحى بقوله : « **ان كنتم مؤمنين** » لا تشكيكا ولا تشككا فى ايمانهم ، وانما لدفعهم نحو التحول النهائى لرسالة الايمان : فى السلوك ، والاعتقاد ٠

★★★

١٧ ـ ابليس والشيطان :

نريد أن نعرف حقيقة ابليس ، هل هو من الجن كما فى سورة الكهف ؟ أم من الملائكة كما ذكرت سورة البقرة ؟ فما هو الصحيح ؟ ٠

● ابليس من الملائكة ، والجن معا :

● هو من الملائكة لقول الله تعالى فى سورة الاعراف : « **ولقد خلقناكم ، ثم صورناكم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين** » (٢) ٠

فقد أمرت الملائكة جميعا بالسجود لآدم ، وسجدوا جميعا عدا ابليس ٠٠ فابليس أمر بالسجود كواحد من الملائكة ، وهو كواحد منهم كذلك امتنع عن السجود ٠

ويؤكد ذلك قول الله تعالى ، بعد ذلك : « **قال ما منعك الا تسجد اذ أمرتك ؟** » (٣) ٠٠ فأمر الله لابليس بالسجود لآدم كان ضمن أمر الله للملائكة فى الآية السابقة ٠ ولم ترد فى القرآن آية اطلاقا تشير الى أمر الله لابليس بالسجود على انفراد وفى معزل عن الملائكة ٠

وعصيان ابليس أمر الله بالسجود لآدم لا يخرجه من عداد الملائكة ٠ كعصيان الكافر من الانسان ، وعدم ايمانه بالله لا يخرجه من عداد الانسان ٠ فالكافر انسان ولكنه عاصى ٠ كذلك ابليس ملك ولكنه عاصى ايضا ٠

● وهو من الجن أيضا ٠٠ لأن الجن كما ورد فى القرآن أريد به المستخفى ٠ أريد به أنه مقابل الانس ٠٠ والانس هو المعهود والمعروف ٠ وقد

---

(١) المائدة : ٣ ٠
(٢) الأعراف : ١١ ٠
(٣) الأعراف : ١٢ ٠

اطلق القرآن على الملائكة « جنة » لانهم لا يشاهدون فى قوله تعالى فى سورة الصافات : «وجعلوا بينهوبين الجنةنسبا ، ولقد علمتالجنةأنهم لمحضرون»(١) فكلمة الجنة فى الموضعين قصد بها الملائكة · لأن الآية تحكى ما كان يدعيه مشركو مكة من أن الملائكة من بنات الله · وقد جاء هذا الادعاء فى الآيات السابقة على هذه الآية فى سورة الصافات فى قول الله تعالى : « **فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ؟ أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ؟ · الا : انهم من أفكهم ليقولون · ولد الله وانهم لكاذبون · أصطفى البنات على البنين ؟** » (٢) · ثم من جهة أخرى : الملائكة وحدهم هم الذين يعلمون ورود الكافرين الى جنهم · لأنهم هم الحراس عليها ، على نحو ما تقول الآية : « **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ، وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد ، لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** » (٣) ·

فالنسب المدعى بين الله وبين الجنة آت من جعل الملائكة بنات الله فى زعم المشركين ·

ومعرفة الجنة بحضور المشركين الى جهنم ، يعود الى الملائكة لأنهم هم وحدهم الحراس عليها ·

والزمخشرى فى تفسيره « الكشاف » يفسر قول الله تعالى هنا : « **وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا** ·· » بقوله : (**وجعلوا**) بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة (**نسبا**) وهو زعمهم انهم بناته · والمعنى جعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبينهم ، واثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة · فان قلت : لم سمى الملائكة جنة ؟ قلت : قالوا : الجنس واحد · ولكن من خبث ومرد من الجن وكان شرا كله فهو شيطان · ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك · فذكرهم فى هذا الموضع باسم جنسهم » (٤) ·

فكلمة الجن اسم جنس ، وليس اسم علم · والانس اذا كان هو المعهود والمعروف فالجن هو المستخفى وغير المعهود · والملك مقابل للانس ، ولكنه ليس مقابلا للجن ·

***

---

(١) الصافات : ١٥٨ ·　　(٢) الصافات : ١٤٩ ـ ١٥٣ ·

(٣) التحريم : ٦ ·

(٤) ص ٢٧٢ جـ ٢ طبع المطبعة الشرقية ·

★ يسأل طالب باحدى المحافظات :

أولا : لماذا خلق ابليس من النار ، وكيف يعذب فى النار نفسها ؟

ثانيا : لماذا لم تبدأ سورة التوبة بـ : بسم الله الرحمن الرحيم ؟

● ابليس كان واحدا من الملائكة ، وعصا ربه · وعالم الملائكة هو عالم السماء وخلقت الملائكة من النار · لأن النار تميل الى الصعود والسمو ، ولا تنجذب الى الأرض : « **قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا** » (١) · ومعنى الآية أن الملائكة ـ لا يستطيعون أن يعيشوا على الأرض كما يعيش الانسان · ولذلك لم يرسل الله واحدا منهم الى البشر على الأرض يعيش معهم ، ويدعو الى رسالة الله · وخلق آدم من تراب لأنه من عالم الأرض · والتراب يميل الى الدنو وينجذب نحو الأرض : « **خلق الانسان من صلصال كالفخار · وخلق الجان من مارج من نار** » (٢) · والجان تطلق على الملك هنا · لأن معناه الموجود غير المعهود · وهكذا هناك عالم السماء . وعالم الأرض . وتسكن الملائكة السماء كما يسكن بنو الانسان الأرض ·· وهكذا : هناك عالم الغائب وهو عالم الملائكة وعالم الشاهد وهو عالم الانسان · وهكذا : الايمان بالملائكة كالايمان بالله واليوم الآخر يمثل جزءا أصيلا فى الاعتقاد الصحيح · على نحو ما يمثل الجزء الآخر فيه من عالم الشاهد الايمان بكتاب الله وأنبيائه : « **ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين** » (٣) ·

أما عذاب ابليس بنار جهنم ، مع أنه خلق من النار ، فلا يصور تناقضا · لأن فى قدرة الله أن يجعل من النار فى جهنم عذابا لمن خلق أصلا : من نار ، كابليس · كما كان فى قدرته سبحانه أن يخرج النار عن طبيعتها من كونها محرقة ويحولها الى أن تكون بردا وسلاما على ابراهيم : « **قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين · قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم · وارادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين** » (٤) ·

● أما عدم ابتداء سورة التوبة ببسم الله الرحمن الرحيم ، كبقية سور القرآن الكريم فيقول بعض المفسرين : ان سورة التوبة كانت انذارا للمشركين والمنافقين ، وهى آخر سورة نزلت فى الوحى المدنى ، ولا يناسب كونها انذارا أن تكون بدايتها : باسم الله ، لأن اسم الله معناه : أمان وسلام ·

---

(١) الاسراء : ٩٥ ·
(٢) الرحمن : ١٤ ، ١٥ ·
(٣) البقرة : ١٧٧ ·
(٤) الأنبياء : ٦٨ ـ ٧٠ ·

ويرى بعض المفسرين رأيا آخر · وهو : أن سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة ، نزلتا فى شأن القتال · ويقال كذلك : ان أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام اختلفوا · فقال بعضهم : الأنفال والتوبة سورة واحدة ، وقال بعضهم هما سورتان ، فتركت بينهما فرجة لقول من يقول سورتان ، وتركت : بسم الله الرحمن الرحيم لقولة من قال : هما سورة واحدة ·

والرأى : يجب التوقف عند حد ما ورد فى ترتيب كتاب الله وما جاء عليه ويهتم بفهم ما تضمنه من مبادىء وأحكام ، وبتطبيق هذه المبادىء والأحكام فى حياة المؤمن · فهو المنهج المستقيم للحياة البشرية على هذه الأرض ·· : **« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »** (١) ·

★ ★ ★

★ يسأل طالبان بأحد المراكز :

لماذا خلق الله ابليس ، بالرغم من أنه يعلم أنه سيخالفه ؟

● علم الله علم شامل ، من الأزل ·· الى الأبد ·· فوق الزمان ·· أى لا يخضع لتقسيم : الماضى ، والحاضر ، والمستقبل · فقبل خلق المخلوقات كان سبحانه يعلم وجودها ، وما تكون عليه ، وما تصير اليه ، ويعلم المطيع منها ، ويعلم العاصى ، ومع ما يعلمه من عصيانها خلقها لحكمة يعلمها ·

فقد خلق ابليس كأحد أفراد الملائكة ، وكان يعلم أنه سيكون وحده العاصى عندما تختبر الملائكة فى طاعة الله ، ليكشف للانسان عن مصدر الشر فى حياته ، وهو وسوسة ابليس أو الشيطان · فابليس الملك أخذ اسم الشيطان ، بعد أن امتنع وحده عن السجود لآدم · ثم حذر الله أبناء آدم من فتنته ، بعد أن نجح فى اغواء أبويهم فى الجنة : آدم وحواء ، فقال : **« يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان ، كما أخرج أبويكم من الجنة ، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون »** (٢) ·

وأصبح الشيطان قبيلاً ، أو مجموعة من غير الملائكة · قد يكون بعضها من الانس ، والبعض الآخر من الجن · كما جاء فى قول الله تعالى : « وكذلك

---

(١) الأنعام : ١٥٣ (٢) الأعراف : ٢٧ ·

جعلنا لكل نبى عدوا : شياطين الانس والجن ، يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه ، فذرهم وما يفترون » (١) ٠

فطالما أن ابليس هو مصدر الشر فى حياة الانسان فسيعصى الله حتما ، والا لما كان مصدر شر ، وقد خلقه الله مع علمه جل جلاله بأنه سيعصاه لابتلاء الانسان بشره ٠ وابتلاء الانسان لا يتم الا اذا كان هناك أمامه خير ، وهناك شر معا ٠ فاما أن يطيع الخير فى حياته ، واما أن يغريه الشر ويستهويه ويسير فى طريقه ٠ والذى ينجح من الناس فى الاختبار والابتلاء هو الذى يؤثر الخير ويعرض عن الشر ٠ فالانسان الذى يؤمن بالله وهدايته يكون قد اتجه الى الخير ونجح فى اختبار الله اياه ٠ والانسان الآخر الذى يكفر بالله وبرسالة رسوله يكون قد أخفق فى الاختبار والابتلاء ، أو قد اتبع الشيطان ، أو آثر الشر على الخير ٠

ولأن هوى النفس جزء منها ، ولأن شهوة الانسان ليست خارجة عن نطاق النفس الانسانية فالانسان الذى يتغلب هوى نفسه عليه ، والذى تسيطر شهوته على سلوكه تكون نفسه نفسا أمارة بالسوء ٠ ولا ينجى نفسه من غلبة الهوى والشهوة عليها اتباع رسالة الله : « **وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا من رحم ربى ، ان ربى غفور رحيم » (٢) ٠**

وهنا الناس صنفان : صنف يطغى بشهوته وهواه ، وصنف آخر يخشى ربه وينهى نفسه عن هواه : « **فأما من طغى ٠ وآثر الحياة الدنيا ٠ فان الجحيم هى المأوى ٠ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ٠ فان الجنة هى المأوى » (٣) ٠**

ولأن الشيطان واحد وهو ابليس ، ولكن له أتباع كثيرون من الانس والجن معا يأخذون اسم الشياطين كذلك ، أى اتباع ظاهرون وأتباع غير ظاهرين ، كان هوى النفس فى الانسان وكانت شهوته فى ذاته من أنصار ابليس ، تدفع الى الاغراء والفتنة ٠ والوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس اما أن يكون هوى النفس وشهوتها وعندئذ يكون مستورا لا يرى ، فهو من الجنة ، واما أن يكون معروفا خارجا عن الذات نفسها فيكون من الناس ٠ وهذا معنى قوله تعالى : « **من شر الوسواس الخناس ٠ الذى**

---

(١) الأنعام : ١١٢ ٠ (٢) يوسف : ٥٣ ٠
(٣) النازعات : ٣٧ ـ ٤١ ٠

يوسوس فى صدور الناس • من الجنة ، والناس (أى من هوى النفس أو من أناس آخرين • والطرفان من أنصار ابليس) » •• (١) •

واذا كان الوسواس الخناس فى صدور الناس قد يكون هوى النفس وشهوتها يكون من الجنة أى الموجودات التى لا يراها الناس ، فبجانبه فى ذات الانسان : ما يسمى بالعقل الحكمة • والانسان ذاته عندئذ يقع بين هواه وبين عقله • وبما أن الهوى يسوق الى الشر ، وأن العقل يسوق الى الخير ، فالانسان فى اختياره فى طاعة الله يقع فى الحقيقة بين شر الهوى وخير العقل فى نفسه •

ورسالة الله للانسان على الأرض تساعده على أن يتبع عقله دون هواه • تساعده على أن يتجنب الشر ويفعل الخير •• تساعده على أن يتغلب على الوسواس الخناس من الجنة ، والناس • وهنا كانت دعوة الاسلام دعوة الى العقل ، والخير معا • ومن أجل ذلك كانت زينة للانسان بعد أن تكون قد وقته من الأخطاء : « **يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ، ولباس التقوى ذلك خير** » (٢) •

★★★

★ ويسأل مواطن من احدى المحافظات :

كيف دخل ابليس الجنة بعد طرده منها ليوسوس لأبينا آدم ؟

● ابليس هو ذلك الملك الذى عصى ربه ، عندما أمر الملائكة جميعا بأن تسجد لآدم ، فسجدت الا هو فأبى • وكانت حجته أنه خلق من نار ، شأنها أن تسمو وترتفع و عيش فى السماء ، بينما آدم خلق من تراب ، من طبيعته أن يميل الى الدنو والخلود الى الأرض • ولذا كانت السماء مقر الملائكة ، بينما كانت الأرض سكنى لبنى آدم : « **ولقد خلقناكم ، ثم صورناكم ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين • قال ما منعك الا تسجد اذ أمرتك ، قال : أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين** » (٣) •

وقد طرد ابليس من الجنة بعدما عصى ربه : « **قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين** » (٤) •• بمعنى ن الجنة لم تعد

---

(١) الناس : ٤ ــ ٦ •
(٢) الأعراف : ٢٦ •
(٣) الأعراف : ١١ ــ ١٢ •
(٤) الأعراف : ١٣ •

مأواه • ولكن طالما كانت مهمته أن يوسوس للانسان من آدم الى أبنائه ، وطالما أرجأ الله عقابه على وسوسته وافساده الى يوم البعث : « **قال أنظرني الى يوم يبعثون • قال انك من المنظرين • قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم • ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين** » (١) •• طالما كان هذا وذاك ، فالطريق مفتوح أمامه الى كل انسان أينما كان ووسوسته لآدم وحواء وهما فى الجنة لا يعارض اذن أمر الله بطرده منها • فهو قرين الانسان وملازم له • ولذا بعد أن اعترف آدم وحواء باغواء ابليس لهما وهما فى الجنة جاء أمر الله بطرد الجميع منها ، وتكرر بذلك الأمر بطرد ابليس ، الأمر الذى يدل على أنه يوجد فى كل مكان يوجد فيه الانسان : « **قالا** (أى آدم وحواء) **ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين • قال : اهبطوا** (والأمر هنا لآدم وحواء وابليس) **بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين** » (٢) •

وقد أخذ ابليس بعد أن عصى ربه وأغوى آدم وحواء : اسم الشيطان • ولذا يحذر الله أبناء آدم ، بعده ، من غوايته بهذا الاسم : « **يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة** » (٣) •• والشيطان هنا هو ابليس وقد جعل الشيطان عامة مصدر الشر والفساد والعبث ، وأطلقت على مصادر الشر العديدة اسم الشياطين •

والشياطين ليسوا أبناء ابليس • وانما هم قبيله وأعوانه : « **انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون** » (٤) •• اذ المعروف أن الملائكة لا تنسل ، وابليس واحد منهم خرج من جماعتهم بعصيانه الله ولكنه لم يخرج عن طبيعته كملك ، كالانسان اذا كفر فانه لا يخرج بكفره عن طبيعته البشرية • ومن أعوان الشيطان ــ وهو ابليس ــ هوى النفس وشهوتها • والهوى والشهوة أمران ملازمان للانسان • والوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة وهو هوى النفس أو شهوتها • وبما أن هوى النفس وشهوتها أمران لا يراهما الانسان كانا من الجنة ، أى من الأمور التى لا ترى وتشاهد •

والنفس الأمارة بالسوء هى نفس الانسان التى تقع تحت تأثير شهوتها وهواها فلا تصدر الا عن شر وأذى •

---

(١) الأعراف : ١٤ ــ ١٧ •
(٢) الأعراف : ٢٣ ، ٢٤ •
(٣) الأعراف : ٢٧ •
(٤) الأعراف : ٢٧ •

ومن هنا يمكن فهم هـذا الحديث المروى عن عـائشة رضى الله عنهـا قالت : « خرج النبى من عندى فغرت عليه · فجاء فرأى ما أصنع · فقال : مالك يا عائشة ؟ أغرت ؟ قلت ومـالى لا يغار مثلى على مثلك ؟ فقال : قد جـاءك شيطـانك ؟ قلت : يارسول الله أو معى شيطان ؟ قـال : نعم · قلت ومع كـل انسان ؟ قال : نعم · قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : نعم · ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم » فنفسه عليه السـلام نفس زكية · خضـعت فى طـاعة الله ورسالته ·

★★★

★ ويسأل طالب باحدى الكليات :

ــ لماذا أعطى الله سبحانه وتعـالى ابليس اللعين هذه القدرة على اغواء أكبر عدد من البشر ، بالرغم من رفضه السجود لسيدنا آدم ؟

ــ ويسأل عن تربية البنات فى هذا الزمن ، وكيفية ترغيبهن فى حب الاسلام وتعاليمه وهل ذلك الأمر يتعلق بالوالدين فقط ، أم ان الأخ لهؤلاء البنات له دور فى ذلك ؟ هل القدوة الحسنة تكفى ؟ وما موقف الانسان من الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » (١) ·

● حكمة الله اقتضت بعد طرد ابليس من الجنة لعدم طـاعة الله فيمـا طلبه منه مـن السجود لآدم ، وبعد طرد آدم وحواء منهـا كذلك لعصيانهمـا بالاقتـراب من الشجرة المحـرمة فيهـا ، ونزول الثلاثة الى الأرض : أن تكون الاقـامة على الارض للانسـان من نسل آدم وحواء ، لاختبار أجيـاله العديدة الى يوم البعث ، فى طاعة الله ·

واختبار الانسان لا يتم الا اذا كان هناك مصدر لاغوائه عن الصراط السوى وفى الوقت نفسه مصدر آخر لارشاده وهدايته الى الطريق المستقيم فى السلوك · والعقـل لدى الانسان هو الذى يفصـل فى حياة الانسان بين غوايته وهدايته · ومن هنا كانت مسئولية الانسان ·

ومن أجل ذلك كان ابليس مصدر الغواية ، وكان الرسول ــ أى رسول ــ مصدر الهداية · وقد حذر القرآن من غواية الشيطان ، كما حث على اتبـاع

---

(١) التحريم : ٦ ·

رسالة الرسول · فقال فى شأن الأولى : « **يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون** » (١)·
·· وقال فى الثانية : « **يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى** (وهى رسالة الله) **فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون · والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** » (٢) ·

واذا كان ابليس فردا واحدا لأنه وحده هو الذى شق عصا الطاعة ، فله أعوان كثيرون · وهؤلاء الأعوان تسميهم الآية هنا : قبيل الشيطان · وهم شياطين كذلك ، أى مصادر شر فى حياة الانسان · ومن بين مصادر الشر فى حياة الانسان نفس الانسان الأمارة بالسوء · وهىالتى تدفعه الى اتباع غواية الهوى والشهوة فيه ، والاسلام يعتبر مقاومة الهوى والشهوة فى النفس الانسانية : جهادا أكبر كما جاء فى الحديث الشريف : « رجعنا من الجهاد الأصغر (وهو الحرب فى الميدان) الى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس ·· والمقصود جهاد هواها وشهوتها ·

● وأما تربية البنات وتوجيهها حسب التعاليم الاسلامية فدور الوالدين والأخوة أو بعبارة أخرى ــ دور الأسرة ــ له أهمية كبيرة ، لأنه كما يقال : عوامل التربية والتوجيه ثلاثة :

ــــ الأسرة ،

ــــ والمدرسة ،

ــــ والبيئة ·

بحيث يجب أن يكون هناك تنسيق بين العوامل الثلاثة · أى يجب أن يكون هناك اتفاق على الخطوط العامة للتوجيه ، فلا يكون الشارع وما يدور فيه مثلا ـ وهو جزء من البيئة ـ مختلفا فى الآداب العامة وفى سلوك الناس بعضهم مع بعض عن جو الأسرة فى المنزل ، ولا جو المدرسة كذلك ·

والقدوة الحسنة سواء فى المنزل أو المدرسة لها تأثير كبير على حسن التوجيه والتربية ·

---

(١) الأعراف : ٢٧ ·
(٢) الأعراف : ٣٥ ، ٣٦

والمسئولية الأولى تقع على الأسرة · فاذا كانت تؤدى العبادات الثلاث: الصلاة . والصوم ، والزكاة . فان أداءها كفيل بخلق الجو الاسلامى الذى ينشأ فيه الولد نشأة اسلامية ·

ولكن هل هذه العبادات الثلاث تشغل جزء من حياة الأسرة المعاصرة اليوم ؟· أكثر ما يشغل حياة الأسرة المعاصرة اليوم هو الحديث عن الأزياء ، وأفلام السينما ونجومها ، وقصص الحياة فيها ·

والمدرسة تأتى مرتبتها فى المسئولية . بعد الأسرة · والمفروض أن تكون المدرسة والمدرس من الأمثلة فى القدوة الحسنة : فى أداء الواجب ·· واحترام النظام وخلق روح التضحية والصبر فى سبيل المصلحة العامة · وهى مصلحة التوجيه السليم للشباب · ولكن ما أكثر ما يشغل حياة المدرسة والمدرس . مما هو بعيد عن التدريس والتوجيه ، وله أثر عميق عليهما ·

والبيئة وما يجرى فيها تعبير عما فى المنزل والمدرسة · وفى الوقت نفسه صاحبة رد فعل كبير على النفوس الناشئة ، سلبا أو ايجابا ·

وموقف المؤمنين من انذار الله بالعقاب للمخالف لهدايته فى الآية الكريمة : « **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** » (١) ·· هو موقفهم من كل انذار تأتى به آية من آيات الله فى كتابه. وهو وجوب اتباع رسالة الله · لأنها الأمان والسبيل الى رضا الله ·

★★★

★ ويسأل سائل ·· قائلا :

أصابنى داء ولم أجد له دواء : يجلس معى الشيطان فيقول لى : أليس الله بقادر على أن يجعل الكافر مسلما ؟ وبذلك لا يكون هناك خلاف ، وتكون الدنيا كلها مسلمة ؟

● ليس الانسان فى حاجة الى أن يجلس معه شيطان حتى يرد هذا السؤال بخاطره . وهو : ألم يكن فى قدرة الله تعالى أن يجعل الناس جميعا مسلمين ؟ اذ أنه سؤال مطروح · وقد ذكره القرآن نفسه فى قول الله تعالى :

---

(١) التحريم : ٦ ·

« ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحـدة » (١) ٠٠ ثم ذكـر الجواب بقوله : **« ولا يزالون مختلفين »** (٢) ٠٠ أى لايزال النـاس فيمـا بينهم مختلفين فى الكفر والايمان الى يوم القيامة ٠

وسبب بقاء الكفر والايمان معا بين الناس الى يوم البعث ، هو أن الدنيا دار اختبار وابتلاء ، منذ نزل اليها آدم وحواء حتى اليوم الآخـر ٠ فخلقت الدنيا للكشف عن اتجاهات الناس فى الحياة فيها ٠ وخلقها جاء عقب عصيان آدم وحواء فى الجنة باقترابهما من الشجرة التى طلب الله منهما أن لا يقتربا منها ، ثم عقب عصيان ابليس كذلك من الملائكة بعدم سجوده لآدم ، امتثالا لله سبحانه وتعالى ٠

والوضع كان قبل طرد ابليس ، وآدم وحواء ، من الجنة بسبب عصيانهم جميعا هو :

أولا : عندما سأل الله ابليس عن امتناعه : **« قال ما منعك الا تسـجد اذ أمرتك ؟ قال : أنا خير منه : خلقتنى من نار وخلقته من طين »** (٣)٠٠ طرده من الجنة : **« قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين »** (٤) ٠٠ عندئذ طلب ابليس من الله سبحانهوتعالى أن يرجئه فى الدنيا ليمارس نشـاطه الشـيطانى حتى يوم البعث ، واستجاب الله لما طلبه : **« قال انظرنى الى يوم يبعثون ٠ قال : انك من المنظرين »** (٥) ٠

ومعنى ارجاء الله ابليس يمارس نشاطه الى يوم الـدين : أن الشر موجود فىهذه الدنيا منذ نشأت ، وأنه باق الى اليوم الموعود ٠ والكفر بين الناس صورة من صور الشر التى تعرض لهم ٠ ومعنى بقاء الكفر استحالة تحول الناس جميعا الى مؤمنين ٠

ثانيا : عندما عصى آدم وحواء ربهما طردهما كذلك من الجنة ونزلا منها الى أرض الدنيا وأصبحت بينهما وبين ابليس عداوة فيها الى يوم البعث: **« قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين ٠ قال : فيها تحيون ، وفيها تموتون ، ومنها تخرجون »** (٦)٠ ابليس يوسوس بالشر ، وأكثر بنى آدم يستجيب له ٠

---

(١) هود : ١١٨ ٠
(٢) هود : ١١٨ ٠
(٣) الأعراف : ١٢ ٠
(٤) الأعراف : ١٣ ٠
(٥) الأعراف : ١٤ ، ١٥ ٠
(٦) الأعراف : ٢٤ ، ٢٥ ٠

ثالثا : لكي يكون الانسان على بينة من الضلال والهداية ٠٠ والكفر والايمان ولكي لا تكون له حجة على الله في معرفة الشر والخير كانت رسالة الرسول من وقت لآخر تعرض للحق ، والخير ، والهداية ٠ ثم الناس بعد ذلك أحرار في ممارسة الشر ، أو سلوك طريق الخير : **« يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا** (والمراد باللباس الذي يواري النقص في الانسان هو رسالة الرسول ، وهي في الوقت نفسه زينة الانسان لو اتبع هدايتها ، لأن اتباعها يبعد عن الانحراف ٠ وعندئذ يبدو الانسان وكأنه في زينة) **ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون »** (١) : **« قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٠ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون »** (٢) ٠

فرسالة الرسول اذا كانت ترشد الى الخير والايمان ، فعمل الشيطان ووسته توصل الى الشر والكفر . والشيطان باق الى يوم القيامة ، ورسالة الله باقية كذلك الى يوم القيامة ٠ والناس وهم بنو آدم وضعوا في هذه الدنيا لكشف من يهتدي منهم ومن يكفر ، كما اختبر أبوهم آدم وأمهم حواء من قبل ٠ ومتع الحياة الدنيا هي مادة الاختبار ٠ فمن طغى أو ظلم عن طريقها كان من الاشرار الكافرين ٠ ومن استخدمها في أوجه الخير كان من الأخيار المؤمنين ٠

ويستحيل اذن أن لا يكون كفر في هذه الدنيا ، والا لو تحول الناس جميعا الى مؤمنين فيها ، أو الى كافرين فيها لانتهت مهمة الحياة الدنيا بالنسبة للانسان ٠ لأنها لا تكون دار اختبار حينئذ ٠ فالايمان والكفر باقيان ما بقيت السموات والأرض الى يوم الدين ، وبين الشر والخير صراع ٠ ونفس الانسان اذا انطوت على شهوة الغريزة فانها تنطوي على حكمة العقل كذلك ٠ وبين الغريزة والعقل هو ما بين الشر والخير : **« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ، ومهيمنا عليه ،**

فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ،

---

(١) الأعراف : ٢٦ ٠ (٢) البقرة : ٣٨ ، ٣٩ ٠

ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم في ما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات . الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » (١) ٠

* * *

★ تسأل احدى الآنسات :

(أ) هل يقبل الله التوبة عن جريمة منكرة ، رغم أن العودة الى ضلال الشيطان يتكرر ؟

(ب) ما هو الطريق الذى يعصم الانسان من الخطأ نهائيا ، ومن تضليل الشيطان ؟

(ج) هل زيارة بيوت الله مثل سيدنا الحسين والسيدة زينب حرام ؟

(د) هل الزواج من رجل مسيحى يريد أن يسلم حرام ؟ وما هى الاجراءات الضرورية لضمان جعل هذا الزواج حلالا ؟

● الله يقبل التوبة عن جريمة من الجرائم كجريمة السرقة . أو الزنا . أو القتل بمعنى لا يعذب عليها فى الآخرة ، وان كان يقام الحد على مرتكبها فى الدنيا ، بشرط أن يلتزم التائب بالاستقامة فى سلوكه . وعدم العودة الى مباشرة الجريمة ذاتها ٠٠ أو مثلها ، فالله يقول فى كتابه الكريم : « **فمن تاب من بعد ظلمه** (أى من بعد ظلم نفسه وغيره بمباشرة الجريمة ٠ لأن الجريمة لها طرفان : المباشر للجريمة ومن وقعت عليه ، أو قامت بالاشتراك معه) **وأصلح** (أى سوى أمر نفسه فاستقام ولم يعد الى ارتكاب الجريمة) **فان الله يتوب عليه** » (٢) ٠٠ فقبول التوبة اذن بمعنى عدم عقاب الله عليها فى الآخرة ــ وهذا لا ينفى اقامة الحد عليها اذا كانت من جرائم الحدود ــ مشروط بالاقلاع عن الذنب وعدم العودة اليه مرة أخرى ٠

ومن سؤال السائلة يبدو : أن الجريمة تتكرر ، وأن المباشر للجريمة لا يستطيع دفع اغراء الشيطان ٠ فهو ضعيف أمامه ٠ والتوبة التى يعلن عنها هنا هى ترديد القول بالتوبة الى الله ، عقب مباشرة الجريمة فى كل مرة ٠ وترديد القول بالتوبة لا يفيد شيئا ، طالما لم يصحب القول كف بالفعل عن مباشرة الجريمة ٠ فالقول دائما يجب أن يكون تعبيرا عن مضمون واقعى فى حياة الانسان ٠ ومضمون التوبة هو الكف عن ارتكاب ما يحرمه الله ٠

---

(١) المائدة : ٤٨ ٠ (٢) المائدة : ٣٩ ٠

ومرتكب الجريمة هنا فى سؤال السائل يجوز أنه قد نشأ فى بيئة ريفية لها تقاليدها وعاداتها وتمسكها بالدين ، ولكن يقع الآن تحت تأثير الاتجاه الحاضر فى الاختلاط وعدم أخذ الانسان نفسه فيه بقيود تحد من حريته • ولذا عندما يعلن التوبة يكون قد عاد اليه وعى صلته بالله ، وعندما يكرر ذات الجريمة يكون قد انساق ثانية ونسى نفسه فى اتجاه الاختلاط •

وهكذا المرتكب للجريمة فى هذا السؤال بما له من هذا الوضع المتردد بين الاحجام والاقدام يمكن له فى يسر أن يستند الى أثر التقاليد وأثر الخشية من الله فى نفسه ويكف عن ارتكاب الجريمة نهائيا وبالأخص أنها جريمة شائنة ، وقد تكون لها نتائج شنيعة تسىء الى مستقبله فى العلاقات مع الآخرين معه فى بيئته ، كما تسىء الى صحته قبل آدميته ، فالخشية من الله التى تذكره بالتوبة يمكن أن يقف عندها قليلا كل يوم وبالأخص عند الصلاة • فاذا لم يكن يصلى فيجب أن يتخذ الصلاة مدخلا الى الكف عن الخطأ نهائيا ، ومن تضليل الشيطان كما يقول • فاذا أصبحت الصلاة أمرا لا يترك ضاق نطاق اغواء الشيطان وتضليله •

أما اذا لم يكن للخشية من الله أثر فى نفس مرتكب الجريمة ــ وهذا غير مفروض الآن كما يوحى السؤال ــ فمن الصعب رجوعه عن ارتكاب الجريمة التى يدفع اليها تضليل الشيطان ، الا عن طريق صدمة عنيفة : صدمة مرض قاس ، أو أزمة تمسه ، وتمس أسرته تدفعه الى مراجعة سلوكه ووقوفه فى وضوح على خطأه ، وتعرفه بالله القادر •

● أما زيارة أضرحة الأولياء فالأصل عدم القصد اليها • لأنه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يقول : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدى هذا » •• (وهو مسجد الرسول بالمدينة) » •• ومعنى هذا : أن الانتقال والقصد فيه لا يكون الا لواحد من هذه المساجد الثلاثة ، لأن رسالة الاسلام كما جاء فى القرآن الكريم ارتبطت بها • فقد ارتبط الوحى المكى أو مقاومة المادية والشرك بالمسجد الحرام بمكة •• وارتبط الوحى المدنى أو بناء المجتمع الاسلامى بيثرب بمسجد الرسول عليه السلام •• وارتبط الوحى بتصحيح الرسالات السماوية بالمسجد الأقصى واسراء الرسول عليه السلام اليه وامامته فيه للرسل السابقين •

● وأخيرا : اذا أسلم الرجل للزواج من امرأة مسلمة فليس اسلامه صحيحا • لأنه لم يسلم عن اقتناع ، وانما تحت ضغط الرغبة فى الزواج من مسلمة • وزواجه بالمسلمة عندئذ أمام الله غير ناجز وغير واقع موقع الصحة • أما أمام القضاء وأمام الرسميات فهو زواج مسلم من مسلمة •

وليست هناك اجراءات ضرورية لضمان جعل هذا الزواج حلالا ، سوى أن يكون اعتناق الزوج الاسلام عن حرية ومشيئة منه . وعن اقتناع ذاتى ·

واذا كانت صاحبة السؤال قد تورطت فى مشكلة لم تشأ التصريح بها فحلها الآن يكمن فى الرجوع الى ذاتها والاحتفاظ بالبقاء على انتسابها الى اسرتها المسلمة المحافظة ، وليس هذا الحل فى زيارة الاولياء كما تشاء ، ولا فى اعلان الاسلام من الرجل المسيحى ·· ولا فى قيمة التوبة التى يذهب بها الشيطان الرجيم فى تضليله عندما يدفع الى تكرار الجريمة ·

★★★

١٨ ــ اسرائيل بين تفضيل الله ــ وغضبه :

كيف توفق فى القرآن الكريم بين قول الله تعالى فى سورة البقرة فى شأن اليهود : « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين » (١) ·· وقوله فى شأنهم أيضا فى السورة ذاتها : « وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون » (٢) ؟ ··

● ان ما جاء فى القرآن فى تفضيل بنى اسرائيل انما هو بتفضيل موسى بالرسالة واصطفائه لها بينهم · على نحو ما جاء فى قول الله تعالى : **« قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين · وكتبنا له فى الألواح من كل شىء ، موعظة وتفصيلا لكل شىء ، فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ، سأوريكم دار الفاسقين » (٣) ··** وقد اختير موسى اذ ذاك بالرسالة ليتيح له وللبشرية فرصة الرؤية لنتائج الدعوة الى هذه الرسالة فى قوم استضعفوا واستذلوا لحاكم كان يفرق بينهم وبين من عداهم فى المعاملة : **« ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا : يستضعف طائفة منهم يذبح أبنائهم ويستحيى نساءهم ، انه كان من المفسدين » (٤) ··** واستهدفت هذه الرسالة انقاذ هؤلاء المستضعفين مما هم فيه من ذلة ان هم آمنوا ولم يكفروا بها : **« ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ، ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين » (٥) ·**

---

(١) البقرة : ٤٧ ·
(٢) البقرة : ٦١ ·
(٣) الأعراف : ١٤٤ ، ١٤٥ ·
(٤) القصص : ٤ ·
(٥) القصص : ٥ ·

فتفضيل اليهود انما هو باختيار الله لموسى رسولا منهم ٠ ولم يفضلوا بسبب عرق أو عنصرية ٠٠ أو بسبب تمييز بشرى فى خصائص الانسانية على غيرهم ٠ وانما اختيروا ليكونوا موضع ابتلاء من الله بسبب ظروفهم التى عاشوها قرونا ٠ والمنطق البشرى ربما يندفع الى استنتاج : أن اليهود سينجحون فى اختبار الله لهم ، لأنهم كانوا أذلاء لدى حاكم طاغ ، وقد حررهم الله برسالة موسى من قبضته ، ثم تلتها نعم كثيرة عليهم منه سبحانه : من الانجاء من الغرق فى البحر عند هربهم من فرعون وملائه ٠٠ الى توفير مياه الآبار فى محل اقامتهم ، بعدد عشائرهم : لريهم وسقى مراعيهم ودوابهم ، حتى يتجنبوا أسباب الاختلاف فيما بينهم فى حياتهم ٠

ولكنهم رغم الهدف الذى استهدفته رسالة موسى وهو تحريرهم واشعارهم بكرامة الانسان ٠٠ ورغم نعم الله العديدة عليهم : آثروا البقاء تحت تأثير الوثنية المادية : فأنكروا الله ، وباشروا الطغيان عندما يمكن لهم عن طريق القوة المادية فقتلوا الأنبياء بغير حق ، واعتدوا على غيرهم ، وربما على بعضهم بعضا ٠ ثم عندما تذهب القوة المادية ويحسون بالضعف ينزلون على درجة الذلة والمسكنة ٠

ويشير القرآن الى ما مارسوه من طغيان فى تاريخ البشرية عند التمكن بقوله : « **وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب : لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا** ٠ (أى لتطغوا طغيانا واضحا) ٠ **فاذا جاء وعد أولاهما** (أى موعد المرة الأولى منهما) **بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا** (ويشير بذلك الى ما فعله بختنصر والبابليون من هدم هيكل سليمان) » (١) ٠ الى أن يقول : « **فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد** (ويقصد بالمسجد مكان العبادة وهو هيكل سليمان) **كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا** (٠٠ أى وليهلكوا ما استولوا عليه ٠ ويشير فى المرة الثانية الى ما صنعه الرومان من تخريب للاماكن وتشتيت لليهود بعد ذلك فى جميع أنحاء العالم) » (٢) ٠

وعلى أثر هذا الطغيان كان قضاء الله على اليهود بالذلة والمسكنة وغضب الله الى يوم البعث ٠ وعبر الله عن قضائه هذا فى قوله : « **وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** » (٣) ٠

---

(١) الاسراء : ٤ ، ٥ ٠ (٢) الاسراء : ٧ ٠

(٣) البقرة : ٦١ ٠

ويقوله كذلك : « **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا** » (١) ·

وهكذا : تحدوا رسالة الله بينهم ، وعادوا الى طبيعتهم من قبول الذلة والمسكنة عند الضعف · وكأن رسالة موسى لعزتهم واستقامتهم عاشت على هامش حياتهم ·

★★★

١٩ ـ هل تطلق كلمة مولانا على غير الله ؟

رجـل يسأل :

(أ) أليس يعتبر كلمة : « مولانا » على ذات أخرى غير ذات الله جل جلاله : شركا ؟

(ب) لى أم ، واخوة لا يريدون منى أن أقف بجانب الحق · فاذا أصررت دعت على أمى بأن يصيبنى الله بالمرض · وقد أصبت الآن بالمرض ·

فهل تلك الاصابة قضاء وقدرا ؟ أم نتيجة لاستجابة الله لدعائها ؟

● كلمة « مولى » وردت فى القرآن الكريم بمعنى « ناصر » وهى كما تطلق على الله فى مثل قوله تعالى : « **واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير** » (٢) ·· تطلق على غيره أيضا :

فتطلق على النار فى قوله تعالى : « **فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ، مأواكم النار ، هى مولاكم ، وبئس المصير** » (٣) ·

وتطلق أيضا على الوثن وما يعبد من غير الله ،كما جاء فى قوله تعالى : « **يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ، ذلك هو الضلال البعيد · يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه · لبئس المولى ولبئس العشير** » (٤) ·

---

(١) مريم : ٥٩ ·
(٢) الحج : ٧٨ ·
(٣) الحديد : ١٥ ·
(٤) الحج : ١٢ ، ١٣ ·

وتطلق على جبريل وصالح المؤمنين المخلصين ، حسبما يقول سبحانه : **« ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ، وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ، والملائكة بعد ذلك ظهير » (١)** ٠

وتطلق على السيد بالنسبة لعبده : **« وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء ، وهو كل على مولاه ، أينما يوجهه لا يأت بخير » (٢)** ٠

فكلمة « مولى » اذن ــ كما رأينا ــ ليست صفة من صفات الله جل جلاله يقصد اطلاقها عليه وحده ٠ ولذا لو أطلقت على غيره سبحانه لا يعد هذا شركا ٠

● وغريب أن تصر الأم على أن لا يقف ابنها بجانب الحق : اذ المشاهد ــ وهو الطبيعى ــ العكس : انها قد تسر كثيرا اذا ثبت أن هناك حق قائم ، وأن ولدها يسانده . وغريب كذلك أن يجمع الأخوة على معارضة أخ لهم فى مناصرته للحق ٠٠ غريب أن لا يقف واحد منهم ولو مرة واحدة معه بجانب الحق المدعى ٠

ولذا قد يكون الحق الذى يؤيده السائل ويشكو من معارضة أمه واخوته له فيه ليس حقا فى واقعه ٠ وانما هو تصور عنده بعيد عن الحق ٠ تحول فى تقديره هو الى ما يسميه حقا ، وأصر عليه ٠

● والمرض الذىأصيب به ــ ولم يحدده السائل فى سؤاله ــ يجوز أن يكون متصلا بسوء التقدير ، وسوء التوهم ، وسوء التخيل ٠ فهو مرض نفسى أو عقلى ٠٠ وليس لدعاء الوالدة دخل فيه ٠ وانما يعود الى الظروف التى نشأ فيها أو الى الوضع الأخير الى الله ، والى قضائه وقدره ٠

والوالدة مهما غضبت فلا تتغير نفسها من ابنها الى حد أن تتمنى مرضه ٠٠ وبالخصوص اذا كان مرضا نفسيا أو عقليا ٠ لأنه من الأمراض التى يطول أمرها ٠

وما ورد فى القرآن من قول الله تعالى : **« وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » (٣)** ٠٠ يعنى به سبحانه أن من يتجه اليه وحده بعبادته ، فالله يغفر له

---

(١) التحريم : ٤ ٠ (٢) النحل : ٧٦ ٠
(٣) غافر : ٦٠ ٠

أخطاءه الماضية قبل الايمان ، ويثيبه بثواب المؤمنين - فالدعاء هو عبادة الله وحده • والاستجابة هو الغفران والثواب • بدليل قوله تعالى بعد ذلك فى الآية ذاتها : « **ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين** (أى صاغرين) » (١) •• فالمستكبر عن عبادة الله هو الذى يكفر به ، ويعرض عن رسالته •

ويجب على المؤمن بأنه : أن ينحى فى حياته كل تصور يجعل لانسان ما أو لموجود ما بفعله أو بدعائه ، تأثيرا على حياته فى صحته أو مرضه ، فى غناه أو فى جاهه ، أو فى ضرره أو منفعته • فقد كان القرآن حريصا على الحرص من أول الأمر على أن يبطل الكهـــانة ، وتدخل الكهان فى حيـــاة أتباعهم ، كما كان شائعا على عهد ما قبل رسالة المصطفى عليه السلام • فقد كان الكهان يتدخلون بالحل والحرمة فى أموال أتباعهم التى تتمثل انذاك فى الثروة الحيوانية والمحاصيل الزراعية ، رغبة فى الحصول على منفعة شخصية منها : « **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعـــام نصيبا فقالوا : هـــذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله ، وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ، ساء ما يحكمون** » (٢) •• فجاء تكذيب الله فيما طلبه من الرســـول عليه الســـلام ، أن يعلنه لهم على رؤوس الأشهاد : « **قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا ، فان شهدوا فلا تشهد معهم ، ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنـــا ، والـــذين لا يؤمنون بالآخـــرة ، وهم بربهم يعدلون** » (٣) ••

* * *

٢٠ــ موقف المؤمن من ازالة المنكر :

طالب بالثانوية العـــامة يسأل عن تفســـير قول الرســـول عليه الصلاة والسلام : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه •• وهذا أضعف الايمان » •

وهو يسأل هذا السؤال بعد أن رأى منكرا فى علاقة شائنة تتكرر ثلاث مرات •• ونصح فلم يجد نصحه •

● الحديث الشريف يعبر عن ثلاث مراحـــل •• أو ثلاث خطـــوات فى كيفية مقاومة المنكر ، وهو الأمر الذى يترتب عليه ضرر للمجتمع ، وبالأخص

---

(١) غافر : ٦٠ •
(٢) الأنعام : ١٣٦ •
(٣) الأنعام : ١٥٠ •

الجرائم الاجتماعية التي لها حدود مقررة ٠٠ وهى الزنا ، وسرقة المال ، وقتل النفس بغير حق ٠

والناس تختلف فى تغيير المنكر حسب قدراتهم ٠ فأصحاب الوظائف العامة الذين يباشرون المصلحة العامة يستطيعون بأيديهم ازالة المنكر ، أو تغييره ٠ فان هم تراخوا فى ذلك وكتبوا بازالته ، بدل التنفيذ بالفعل . كانوا مقصرين أمام الله فى حق أمتهم ومجتمعهم ٠ فهؤلاء يتعين عليهم مباشرة التنفيذ بدون ابطاء ، ويؤثمون ان هم انتقلوا الى المرحلة الثانية أو الخطوة الثانية فى الحديث هنا عن الجريمة ٠

ومن الناس من لا يستطيع ازالة المنكر وتغييره بسلطة وظيفته ٠ وانما يستطيع أن يكتب بقلمه ٠ فينبه الى خطر المنكر وآثاره الضارة ٠ كما يستطيع أن يعبر بلسانه فى الندوات والمساجد عن هذا الخطر ، ومآله من آثار ضارة ، فان لم يقم صاحب القلم أو صاحب اللسان بواجبه فى توضيح أثر المنكر والمطالبة بازالته واكتفى بانكاره قلبيا له ، يكون قد قصر فى أداء واجبه ٠

ومن الناس من لا يستطيع التنفيذ فى الغاء المنكر ، وازالته بيده ٠٠ كما لا يستطيع توضيح آثاره الضارة بقلمه أو بلسانه ، فليس له الا أن ينكره بقلبه ٠ على معنى أن يكف عن معاشرة صاحب المنكر ، وعن مصادقته ومعاونته ، وأن يدير له ظهره كلما اقبل عليه ٠

وهكذا يمكن للناس جميعا أن يتعاونوا فى ازالة المنكر وتغيير الوضع فى المجتمع اذ هم جميعا ما بين منفذ للسلطة ومؤتمن عليها ٠٠ أو صاحب قلم وبيان ٠٠ أو صاحب قلب عامر بالايمان بالله ٠

والتكاتف على هذا النحو هو الطريق الايجابى فى مكافحة الجريمة فى المجتمع والوالدان فى ازالة المنكر : لهما دور أساسى لا يقل عن صاحب السلطة التنفيذية ٠ والصحافة فى تغيير المنكر لها أهميتها ضد الجريمة كأصحاب الدعوة الى دين الله فى خطبهم ووعظهم لوجه الله سبحانه ، وكلهم راع وكلهم مسئول عما تجب عليهم رعايته ٠

وما يشير اليه السائل فى آخر سؤاله بانه يستنكر بلسانه منكرا رآه قد تكرر ثلاث مرات ، فنصح الطرفين بالكف عن مباشرة الجريمة وهددهما فلم يجد نصحه ولا تهديده ، يكون قد سلك ما يجب عليه فى ازالة المنكر ٠ لأنه لا يملك تنفيذ وقف الجريمة ٠ فالمرحلة التى يقع فيها نشاطه فى مكافحة المنكر حسبما جاء فى الحديث الشريف هى مرحلة الاستنكار باللسان أو بالقلم ٠

ولكنه لم يستنفذ بعد كل ما يمكن أن يكون فى هذه المرحلة من نشاط · يمكن أن يشترك مع صديق له يكون قد شاهد الجريمة معه كما شاهدها هو : فى تقديم النصح معا لمن أغواهما الشيطان مرارا على ارتكاب المنكر · فان الاشتراك فى تقديم النصح حينئذ سينطوى على انذار يخيفهما ·· فان لم يكفا بعد ذلك عليهما أن يبلغا أسرتيهما ·

أما أن يباشر السائل معهما طريق المقاتلة فليس ذلك مما ينصح به الحديث هنا · فنحن جميعا نعيش فى مجتمع تقوم فيه سلطة تنفيذية وأخرى تشريعية · وندعو الله أن يوفقنا لتنفيذ حدود الله ضد جرائم المجتمع التى اذا شاعت قضت عليه تماما ·

وحدود الله بالنسبة للزنا ، وسرقة المال ، وقتل النفس التى حرم الله قتلها هى حدود على أساس أن هذه الجرائم ضد المجتمع وليست ضد أفراده فقط · فالزنا سبب فى عدة جرائم : فى اختلاط الأنساب ·· وهتك الأعراض·· وكثير من الأمراض القاتلة وكاللهب فى الانتشار ، والسرقة اعتداء على منفعة المال · ومنفعة المال — ولو فى ملكية خاصة — هى لصاحب المال ولصاحب الحاجة معا فى المجتمع الاسلامى · ومن أجل ذلك يقتل مانعو الزكاة · وقتل النفس التى حرم الله قتلها هو اعتداء على المجتمع نفسه : بمن قتل ، وبتهديد من بقى على قيد الحياة ·

وللطابع الاجتماعى لهذه الجرائم يقول الله عند تنفيذ حد الزنا : **« وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين »** (١) ·

ويقول فى شأن القتل : **« من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا »** (٢) ·

ثم أن الاسلام — فى شأن المال — يبيح الحجر على أموال السفهاء باعتبار أن هذه الأموال فى الواقع : أموال الأمة كلها : **« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ، وارزقوهم فيها واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفا »** (٣) · فنسب الأموال الخاصة بالسفهاء الى المؤمنين جميعا فقال : **« أموالكم »** وأكد ذلك بأن جعلها مصدرا لمعاش المؤمنين جميعا فقال : **« التى جعل الله لكم قياما »** ·

★ ★ ★

---

(١) النور : ٢ ·
(٢) المائدة : ٣٢ ·
(٣) النساء : ٥ ·

٢١ـ التوبة وكيف تتم :

ويسال آخر من احدى المحافظات :

كيف يتوب عن جريمة ارتكبها مع امرأة متزوجة ، وطلقت بسببها من زوجها ؟

(أ) هل يصلى صلاة التوبة ؟

(ب) هل يصوم مكفرا عن الذنب ؟

(جـ) هل يتصدق ؟ وكم يجب أن يتصدق به من المال ؟

● ان السائل لم يرتكب فى واقع الأمر جريمة الزنا وحدها · وانما ارتكب معها جريمتين أخريين :

أولاهما : اغراء امرأة محصنة · والمرأة المحصنة هى المتزوجة · وايقاعها فى الاغراء يضاعف العذاب للطرفين ·

وثانيهما : هدم كيان أسرة قامت على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بطلاق الزوجة من زوجها ·

وأمام ارادة الله فى غفرانه لمن يشاء لا تقف عقبة ما ، فهو القائل : « **ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما** » (١) ·· فالشرك بالله وحده هو الجريمة التى لا يغفرها الا تحول المشرك بالله الى الاسلام · أما ما عدا ذلك فسبحانه يقبل التوبة عنه·

والتوبة ليست صلاة خاصة تؤدى ·· ولا صوما معينا يكفر به المذنب عن ذنبه ·· ولا صدقة بمال يخرجه فاعل الجريمة عوضا عن جرمه كما يشير السائل فى سؤاله ·· وانما هى تحول الى الله واصرار على عدم مباشرة الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وندم على ما مضى من الذنوب · بحيث يكون وضع الندم والاصرار على عدم مباشرة المنكر حالة تلازم التائب مستقبلا فى سلوكه وتصرفاته ·

ليست التوبة أمرا مؤقتا ينتهى بالكف عن الجريمة ، ويتجدد كلما تجددت الجريمة · وانما هى انتهاء من حال خاصة لا تعود اليه النفس أبدا ـ وهو

---

(١) النساء : ٤٨ ·

حال مخالفة الله فيما أمر أو نهى ـ والانتقال الى حال آخر مستمر ، وهو حال البقاء فى طاعة الله والخشية منه · والذين يظنون أن التوبة « ممحاة » يمحون بها الخطأ كلما وقع يسيئون الى الاسلام ذاته · فالاسـلام لا يعرف صكوك الغفران ·· وانما يعرف شيئا واحدا فقط هو أن المسلم هو من سلم النـاس من أذاه ·· وسلم هو من شر نفسه ، والأذى كما يكون أذى ماديا يكون أذى معنويا كذلك · وقد جاء فى وصف عباد الله قوله تعالى : « **والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق آثاما · يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا · الا من تاب وآمن ، وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما · ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا** » (١) ·

فجعل مغفرة الله للانسان الذى آمن به مرهونة بالعزم الأكيد منه على عدم الرجوع الى مباشرة المنكر والفواحش : « **فانه يتوب الى الله متابا** » ·· وفى الوقت نفسه ربطها بالعمل الصالح ، وهو كل ما يتصل بخير الانسـان وخير جماعته : « **ومن تاب وعمل صـالحا** » ·· على أن يكون أداؤه بصـفة مستمرة لا انقطاع فيها ·

والتوبة بهذا المعنى سبيل الى الاصلاح ، يوصل الى استقامة النفوس فى مسلكها وتفكيرها ، وما تعزم عليه من عمل ، أو تتذوقه بوجدانها ·

والسائل بما ذكره فى سـؤاله يعطى الأمارة الواضحة على رغبتـه الأكيدة فى العودة الى الله · ولذا يرجى منه الخير ·· والله سبحانه يؤازر من يلجأ اليه ويعيش فى طاعته ·

★ ★ ★

٢٢ـ الطواف حول قبور الأولياء :

ويسأل مواطن من احـدى المحافظات : هل الطواف حول قبور الأنبيـاء والأولياء ، وتقبيل قبورهم ، والتلمس بهم مكروه أم حرام ؟

● يذكر القرآن الكريم أن الطواف المباح ، والمأمور به وحده فى الوقت نفسه هو الطواف حول الكعبة ، كشعيرة من شعائر الحج · فيقول الله تعالى : « **وليطوفوا بالبيت العتيق** » (٢) ·· وكـان الطواف حول الكعبة من شعائر

---

(١) الفرقان : ٦٨ ـ ٧١ ·   (٢) الحج : ٢٩ ·

الحج لأنه يذكر بابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى اعادة بناء أول بيت وضع للناس · ورسالتهما كانت الدعوة الى التوحيد وطرح الشرك · وجزء رئيسى فى رسالة المصطفى عليه الصلاة والسلام : أن يدعو الى الوحدة فى الألوهية والى نبذ الوثنية وعبادة غير الله تعالى ، متأسيا بابراهيم عليه السلام : **« ثم أوحينا اليك : أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين »** (١) ·

فاذا كان المصطفى عليه السلام من نسل ابراهيم واسماعيل فان رسالته فى التوحيد هى رسالتهما · والدعوة الى التوحيد اذن هى الوقوف بالعبادة والاحترام ، والخشوع والطاعة ، لله وحده · فليس هناك موجود فى الدعوة الى التوحيد يشارك الله فى العبودية والخلق والفعل وتدبير أمر العباد ، ولو كان هذا الموجود نبيا ·· أو وليا · وهذا عيسى عليه السلام ينفى لربه أن تكون دعوة الرسالة الالهية التى أرسل بها غير دعوة التوحيد : **« ما قلت لهم الا ما أمرتنى به : أن اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد »** (٢) ·

والرسالة الالهية عامة ــ وليست رسالة الرسول محمد عليه السلام وحدها ــ تهتم بدعوة التوحيد لتخليص الانسان من رق الشرك بالله ، وافساح الطريق أمامه نحو العمل الجاد والسعى للخير · فعندما يعتقد الانسان : أن الله واحد ·· وأن الخالق والفاعل فى الكون واحد ·· وأن المدبر وصاحب الأمر واحد ·· وأن الذى يحيى ويميت واحد ·· لا يعبد انسانا حاكما أو صاحب قوة ونفوذ ، ولا حجرا ، ولا شجرا ، ولا ماء ولا نارا ولا مادة اطلاقا ، يسير فى حياته فى انطلاق لا يقيد حركته منجم ، أو كاهن أو ساحر ، أو عراف ، أو دجال ، ولا يستخير الجن ، والرمل ، والودع ، ولا يهتدى الا بما فى كتاب الله من عقيدة وشريعة ومنهج للحياة ·

لا ينبغى أن يعظم حى أو ميت الى درجة العبادة ، ولا ينبغى أن يعتقد فى حى أو ميت أنه صاحب فعالية وتأثير ، دون الله ·· لا ينبغى أن يضيف الانسان الى شعائر الله ما لم يرد فى كتاب الله · وقد ورد فى كتاب الله : أن الطواف هو حول الكعبة وحدها وليس حول القبور والقباب · وقد ورد فى كتاب الله أن الرسول مبلغ عن ربه ، وأنه القدوة الحسنة للمؤمنين بالله : **« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب »** (٣) ·· وقد ورد فى كتاب الله أن المؤمنين **« الذين يقيمون الصلاة**

---

(١) النحل : ١٢٣ ·
(٢) المائدة : ١١٧ ·
(٣) الحشر : ٧ ·

ويؤتون الزكاة وهم راكعون » (١) ٠٠ « ومن يتـول الله ، ورسوله ، والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » (٢) ٠٠ ولكن الشيء الذى لم يرد فى كتـاب الله هو ان يسوى الانسان بالله مهما بلغت درجة سمو الانسان وترفعه عن الدنايا وتمسكه بدين الله ٠

المتمسـك بديـن الله مثـل طيب لغيره . ولكنـه انســان فى مستوى الانسانية ٠٠ لا يصعد الى الألوهية ٠٠ ومعنى أن يصعد الانسان الى الألوهية أن يكون ذا قدسية وذا جلال ، وذا فاعلية . وذا عصمة عن الخطأ ٠

ولكى يحدد رسول الله ما يجب أن يزار ويقصد من المؤمن فى حيـاته يقول « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ومسجدى هذا » والقصد الى هذه المساجد من المؤمن هو القصد الى تذكر ما نيط بكـل منها من رسالة فقد ارتبط بالمسجد الحرام : تذكر مواجهـة الشرك والمادية ، وارتبط بالمسجد الأقصى تذكر : أن من رسالة القرآن تصحيح اخطاء زعمـاء الرسالات السابقين : وارتبط بمسجـد يثرب : تذكر بنـاء المجتمع الاسـلامى واتمـام تحـول المسلمين من الجـاهلية أو المـادية الى الانسانية أو الروحية ٠

★ ★ ★

٢٣ ــ عدم الاقبال على الدين :

يقول سائل : أجد دائما فى قلبى ضيقا وقسوة من جهة الدين والايمان ٠٠ ما هى الوسائل التى تجعـل حب الايمان يتـزين فى قلبى . وينشرح به صدرى ؟٠

● ان موقف السائل من الـدين ، وهو موقف صـاحب القلب الـذى يضيق به ، وصاحب القسوة فى الحديث عنه ، هو موقف صريح ، ويشاركه فيه غيره كثيرون اليوم . وبالأخص من الشباب ذكورا واناثا ٠

وهذا الموقف تسهم فيه عدة عوامل

العامل الأول : ان الدين تحـديد للسلوك والاعتقـاد ٠ ومن يقـع تحت الاغراء فى المحيط الذى يعيش فيه بالمؤثرات المادية وهى كثيرة ، يضيق بهـذا التحديد ويجنح الى الانطلاق ، بل والى الفوضى أحيانا ٠

---

(١) المائدة : ٥٥ ٠ (٢) المائدة ٥٦ ٠

العامل الثاني : ان الدين تقويم · أى قد يطلب التغيير لكثير من العادات التى اعتادها الانسان · قد يطلب من الانسان أن يتجنب عادات سيئة تعـود بالضرر على الشخص وعلى غيره ، وينشىء لديه عادات أخرى حسنة تكون لخيره وخير الآخرين معه فى مجتمعه · والانسان اذا كان ضعيف الشخصية قلما يترك العادات التى اعتادها ، ولو كانت تنطوى على ضرر مباشر أو غير مباشر ·

العامل الثالث : ان كثيرا من الذين يضيقون بالدين ذرعا يسيئون فهم مبادئه ، اما لوجود قـدوة سيئة لهم فى الـــدين فى محيطهم ، واما لحديث مغرض عنه ، أو عرض مشوه له ، دون أن يكلفوا انفسهم مشقة البحث فى مراجعة كتاب الله ·

أما الوسائل التى تجعل قلب الانسان يعمر بالايمان بالله ، فبغض النظر عن ذلك أمره يعود لله سبحانه ، كما جاء فى قوله : « **فمن يرد الله أن يهـديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنمـا يصعد فى السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون · وهـذا صراط ربك مستقيما ، قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون** » (١) ·· بغض النظـر عن هذا السبب الهام فان الانسان نفسه لكى ينشرح صدره للايمان يجب :

أولا : أن يحزم أمر نفسه ، ويتخلى عن مصادر التأثير التى تبعـده عن الدين ، شأنه فى ذلك شأن شارب الخمر اذا أراد تركها فانه يمتنع فورا عن شربها ، كما يمتنع عن الاتصال بالأصدقاء والزملاء الذين لهم تأثير عليـه · وكون الانسان يحزم الأمر يحتاج الى قوة الارادة · اذ هذه وحدها هى التى تنقله من البعد عن الدين الى ممارسة التدين ·

ثانيا : أن يعتقد اعتقاداً جازما بأن اتباع الدين هو لمصلحة المتدين وليس لمصلحة أحد سواه على معنى أن اتباع الانسان للدين يقيه كثيرا من الشرور والمفاسد التى تحمل عليها النفس الأمارة بالسوء · وهى تلك النفس التى يسود عليها الهوى وتتحكم فيها الشهوة · وعلى معنى أن اتباع العبادات التى جاء بها الدين تخلق من المتدين انسانا قويا لا يهـاب القتال والكفاح فى سبيل القيم العليا ، ولا يخشى الارهـاب والتعذيب فى سبيل الحيـاة الكريمة ، ولا يتواكل ويتراخى فى السعى فى دنياه وفى الطريق الى آخرته ·

---

(١) الأنعام : ١٢٥ ، ١٢٦ ·

ثالثا : كمدخل الى الايمان بالله يحسن أن يستمع من تصده نفسه عن الاستماع الى كتاب الله فى تلاوة المصحف المرتل ، وأن يتأمل ما جاء فيه · وبالتأكيد سيجد أن ما جاء فى كتاب الله هو للمصلحة العامة وخير الأفراد والبشرية جميعا ، وأن اتباع ما جاء فيه ان لم يعنه على الربح المادى فسيعينه على ربح الكرامة الانسانية والضمير الانسانى والسلوك المهذب ، والاعتقاد الصحيح فى الحياة وما يجب أن يكون عليه المجتمع · أى سيعينه على أن يفهم مستوى الانسان المتميز فى خلقه ، والذى سخرت له هذه الأرض وما عليها من قبل الله جل جلاله ·

★ ★ ★

٢٤ ــ الصلاة ــ وكيف تكون الاستعانة بها كبيرة :

كيف تكون مباشرة الصلاة كبيرة فى قوله تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين » (١) ؟

● القرآن الكريم يتجه بهذا الطلب الى زعماء بنى اسرائيل من الأحبار · فقد كان موقفهم من القرآن الكريم موقف الكافر به والمعارض له ، حرصا على زعامتهم فى قومهم · فقد كانت هذه الزعامة ــ وهى زعامة دينية ــ تدر عليهم أموالا ، وجاها · ولو يؤمنوا برسالة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام لأصبحوا من آحاد المؤمنين ، بعد أن كانوا من الزعماء والوجهاء فى قومهم · وقد طلب اليهم جل جلاله من قبل فى هذه الآية : أن يؤمنوا بما جاء به القرآن مصدقا لما معهم : « **وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ، ولا تكونوا أول كافر به ، ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا** (وهو ما يفيدونه من بقائهم زعماء فى قومهم) **واياى فاتقون** » (٢) ·· كما نهاهم عن خلط الحق فى رسالة الله كما جاء بها القرآن بباطل ما يروجونه ضدها ، ابقاء على زعامتهم : « **ولا تلبسوا الحق بالباطل ، وتكتموا الحق ، وأنتم تعلمون** » (٣) ·· ثم طلب اليهم أن يمارسوا الايمان بالقرآن عمليا فى أن يكونوا مع المؤمنين به فى اقامتهم للصلاة وايتائهم للزكاة : « **واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، واركعوا مع الراكعين** » (٤) ·· وأنبهم على أنهم يدعون أتباعهم كزعماء دينيين الى السلوك مسلك الخيرين ، وهم أنفسهم لا يسلكون نفس المسلك بايمانهم بالقرآن : « **اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ، افلا تعقلون** » (٥) ··

---

(١) البقرة : ٤٥ ·
(٢) البقرة : ٤١ ·
(٣) البقرة : ٤٢ ·
(٤) البقرة : ٤٣ ·
(٥) البقرة : ٤٤ ·

ولكى يدلهم القرآن على وسيلة نافذة فى تحولهم من وضعهم القائم ، وهو وضع المستكبر بسبب الزعامة . ووضع المخادع المروج للباطل فى صورة الحق . ووضع المنافق الذى ينصح غيره بما لا يتبعه هو . الى وضع المطيع لله وحده . والمتبع لدينه وهو الدين السوى . والمنهج المستقيم فى الحيـــاة ، امرهم بأن يستعينوا بالصبر وبالصلاة : « **واستعينوا بالصبر والصلاة** » .. فالصلاة هى عنوان الطاعة لله وحده وبالصبر على ادائها يتجاوزون المشقة النفسية التى سيشعرون بها عندما ينتقلون من الزعامة الى آحاد بين المؤمنين. ثم اعلن أن هذا التحول من الكفر الى الايمان ليس بالأمر اليسير على أصحاب الرياسة والزعامة فى أقوامهم . فعبر عن هذا التحول بالصلاة : « **وانهـــا لكبيرة** » لانها شعار الايمان وعنوانه . ثم استثنى من مشقة التحول عن طريق الصلاة : اولئكم الضعفاء . او المستضعفين فى مجتمعاتهم لأصحاب الرياسة فيها ، فقال : « **الا على الخاشعين** (أى الا على أولئكم الضعفاء التابعين الذين ليست لهم مصلحة فى البقاء على الكفر ، والدنيا لم تنل من نفوسهم) » . ولذا لا ينكرون الآخرة انكارا قويا . كما يصنع الكبراء فيهم . بل هم قريبون من الايمان بها : « الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ، وانهم اليه راجعون » (١) .

● فالصلاة التى ذكرت فى الآية هى بمثابة الشعار للايمان . والآية تريد أن تقول : انه يصعب على الماديين — وبالأخص الزعماء فيهم — أن يتحولوا الى الايمان . اذ فى تحولهم مشقة كبيرة على نفوسهم . وبنــو اسرائيل — وبالأخص الزعماء فيهم — قد طغى عليهم اتجاه المادية . واذن انتقالهم الى الايمان بالقيم الانسانية . فيه كبير عنت ومشقة لهم .

★ ★ ★

★ **الصلاة فيها فرض . وفيها سنة . لماذا لم تفرض كلها كعبادة لله ؟**

● كل العبادات فيها فرض . وسنة : الصلاة فيها فرض وهو الصلوات الخمس وسنة وهى النوافل . والصيام فيه فرض وهو صوم رمضان ، وسنة وهو صوم أيام فيما عداه على طول السنة . والزكاة فيها فرض . وهو النسب المحددة من المال كل عام . وسنة وهو الانفاق فيما عدا هذه النسب فى سبيل الله . وأداء الحج فرض لمن استطاع اليه ســبيلا . واداء العمرة ســنة لمن استطاع ذلك أيضا .

---

(١) البقرة : ٤٦ .

وتشريع العبادة بين فرض وسنة من قبل الله هو لضمان أداء الواجب كقربى الى الله . وللحرص فى الوقت نفسه على بقاء مشيئة الانسان فيما يؤديه وراء الواجب • فالاسلام لا يريد أن يفرض على الانسان أمرا ما • انما يدعه يلتزم عن طريق ايمانه ما يجب عليه ان يؤديه •• وهذا هو الفرض • وحقيقة الفرض اذن ليس مدفوعا اليه المؤمن تحت حمل أو اكراه خارجى عن ذاته • وانما هو أمر نفسى داخلى • وبذلك لا يختلف الفرض عن السنة فى العبادات ، الا من حيث المواظبة على الأداء أو غير المواظبة عليه • فالفرض ما واظب على أدائه المؤمن فى العبادات • والسنة ما لم يواظب على أدائه منها •

والاسلام هو الذى يحدد ما يجب وما لم يجب •• يحدد المقدار أو المرات التى يجب أن يلتزم بها المؤمن أو لا يلتزم بها • وهو اذ يحدد يرعى مصلحة الفرد كما يرعى مصلحة الجماعة والانسان بايمانه يرعى من ذاته هذا المقدار أو تلك المرات حسبما شرعت له من الله سبحانه أو جاءت سنة الرسول عليه السلام بتفصيلها •

ففى العبادات يرى أن أداء المؤمن للصلوات الخمس كل يوم وأداء صوم رمضان كل سنة •• وأداء الزكاة حسبما جاء تفصيلها فى السنة كل عام ، هو أدنى المستوى الضرورى لتحويل الانسان من وضع أنانى تغلب فيه الشهوة والهوى ، الى وضع يشارك فيه الآخرين سراءهم وضراءهم • أى أنه يرى فى المواظبة على اداء العبادات على النحو الضرورى ما يكفل للمؤدى : أن يكون واحدا من المؤمنين برسالته بعد أن كان من الجاهليين أو الماديين • أو الوثنيين ، أو الفرديين الأنانيين •

فالعبادة كسبيل الى التحول الفعلى الى الايمان بالله وحده يمكن أن يكون أداؤها على النحو الضرورى ـ وهو المحدد بالواجب أو الفريضة ـ ذا ثمرة ايجابية فى حياة الانسان الذى أعلن ايمانه •

فاذا أراد هذا المؤمن أن يقى نفسه نكسة ، أو أراد أن يتأكد تحوله بالفعل الى مؤمن بالله وبرسوله ـ ان أحب فلله ، وان كره فلله ـ تصبح النوافل فى العبادات عنده ، فى مستوى الفروض والواجبات • لأن هذه النوافل تسهم فى ذات الهدف كما تسهم الفروض والواجبات • ومن أجل الاختلاف فى مستويات الايمان كان هناك مؤمن قوى •• وآخر مؤمن ضعيف • فالقوى هو ما وصل الى مستوى التضحية بنفسه وما له فى سبيل ايمانه ،

بعد أن تحول بالفعل من أنانى الى سيد على نفسه وشهوته وذلك أدنى المستويات فى الايمان ٠

* * *

٢٥ ــ ظهور المسيخ الدجال :

وتسأل مهندسة باحدى المحافظات عن :

أولا : ظهور المسيخ الدجال ٠٠

ثانيا : عن وصية وصلت اليها وفيها أسماء الله الحسنى ٠ وتطلب هذه الوصية الى كل من تصل اليه أن يكتب منها ثلاثين نسخة بدون توقيع ويرسلها الى معارفه فى مدة ثلاثين يوما ٠ ومن فعل ذلك جاءه الخير ٠ ومن اهمله حلت به النكبة وتنقل السائلة هذه الوصية عن خادم للحرم النبوى الشريف ، يرويها عن الرسول عليه السلام فى حديث له معه فى المنام ٠

● ان ظهور المسيخ الدجال يرتبط ــ فيما يحكى ــ بسيادة الفساد والعبث على الأرض فى المجتمع البشرى ٠ كما أن ظهور المهدى المنتظر ــ كما يحكى أيضا ــ يرتبط بالاصلاح واشاعة الاستقرار والقيم الانسانية فيه ٠

ومعنى ذلك أنه اذا انتشر الفساد وتحلل من القيم الأخلاقية ، وانتشر سفك الدماء وانتهاك الحرمات بين الناس ، فذلك أمارة ظهور المسيخ الدجال ٠ ويصور المسيخ الدجال على أنه رجل يعمل على الفوضى والعبث ويدعو اليها ، ويظهر من المشرق ٠ واذا عادت القيم الاخلاقية بين الناس وعاد الأمر والاستقرار فى علاقات الناس بعضهم ببعض ، وروعيت الحرمات وساد العدل ، فذلك أمارة ظهور المهدى ٠ ويصور المهدى كذلك على أنه رجل أو نبى من أنبياء الله يدعو الى الحق ٠ وظهور كل منهما يعتبر من أشراط الساعة ٠

ويبدو أن المسيخ الدجال رمز لبلوغ تطور المادية أقصى نهايتها ، وكذلك المهدى رمز لحلول « الروحية » الانسانية محل المادية فى المجتمعات الانسانية ، وبدلا منها ٠ اذ هذه المجتمعات يدور أمرها بين هذين الوضعين : وضع المجتمع المادى ، ووضع المجتمع الانسانى أو الروحى ٠ فاذا وصلت المادية فى مجتمع بشرى الى طغيانها فسادت فيه الفوضى وانتهاك الحرمات ، والعبث ، والسعى الى القوة المادية والعصبية واغفال العلاقات بين الاخوة وأفراد الأسرة الواحدة ، عندئذ ينتظر سقوط هذه المادية بحرب لا تبقى ولا تذر ، أو بكوارث لا تدع أثرا لعمران على أرض هذا المجتمع ٠ كما ينتظر أن يحل محلها ما يسمى بالروحية الانسانية ، وهى العنوان للوضع الآخر للمجتمع البشرى

الذى تروج فيه القيم الانسانية وتتواجد جنبا الى جنب فيه ، مع السعى نحو تحقيق الاستمتاع بمتع هذه الحياة ، ولكن فى غير اسراف أو طغيان • ويقود هذه الروحية صاحب دعوة الى الحق والاصلاح •

واذا جعل المسيخ الدجال والمهدى المنتظر من أمارات الساعة ، فان انتقال المجتمع البشرى من وضع الى وضع : من وضع مادى الى وضع انسانى •• أو العكس يعد امرا طبيعيا • أى يعد من شئون تطوره • فالمجتمع اما أن يسقط الى أدنى أو يسمو الى أعلا • وسقوطه الى أدنى هو خلوده الى الأرض وارتباطه بالماديات وحدها ، وسموه الى أعلا هو تفهمه للروابط الانسانية وعيشته فيها : « **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين • ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** » (١) •

ثانيا : ان ما تذكره السائلة من وصية لخادم الحرم النبوى الشريف يمكن أن يقال فى شأنها : ان نشر أسماء الله الحسنى بين الناس أمر مرغوب فيه ويثاب عليه الانسان • ولكن لا يصل أمر من يهمل هذه الوصية الى حد نزول النكبات به • اذ من يهملها لم يظلم أحدا ولم يسقط فرضا مما كلف به المؤمن بالله • وليس مما كلف به المؤمن أن يكتب ثلاثين نسخة من هذه الوصية بدون توقيع ويوزعها على معارفه • وأولى عند الله أن يكون قدوة حسنة فى سلوكه وأعماله •

★★★

---

(١) الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦ •

الفصل الثـــانى

فى الأسرة

٢٦ ـ ماساة أسرة بسبب حماقة الأب :

يذكر مواطن من القاهرة :

أولا : أن شابا يبلغ من العمر ٢٠ عاما عقد قرانه على فتاة فى الثامنة عشرة وكانت يتيمة تعيش مع أمها وزوج هذه الأم ٠

ثانيا : أنها من سوء معاملة زوج أمها لها انتقلت الى أقارب عريسها ٠ أى الى منزل أبيه وأمه ٠ وأقامت عندهم سنة كـاملة ٠ ولم يعرف : هل دخل بها زوجها الشاب فى هذه الفترة أم لا ؟

ثالثا : أن مفاجأة قد تمت : طلقت الفتاة من الشاب ، وهى تدعى أنها لم تزل بكرا ، طلق والد العريس أمه التى كانت زوجته حتى الآن ٠٠ يسعى الى الزواج بحليلة ابنه من صلبه ٠٠ أى يسعى الى الزواج بالفتاة التى طلقت من زوجها الشـاب وهو ابنه ٠٠ ولم يعقد قرانه عليهـا حتى الآن ٠

ويسأل هذا الأخ المسلم : ما رأى الاسلام ؟

● ان والد الشاب وهو رب الأسرة يسىء الآن الى ثلاثة أشخاص :

● يسىء الى ابنه الذى يبلغ العشرين من عمره ، وكان قد عقد قرانه على الفتاة التى طلقت منه الآن ٠ واساءته الى ولده هذا : انه حمله حمـلا مباشرا أو غير مباشر على تطليق الفتاة ٠ فغرر الأب بالفتاة : بالهدايا وبكل ما تحب أن تحصل عليه فى حياتهـا حتى مـالت اليه ، وتدللت عليه ٠ واذا كانت الفتاة الشابة تميل الى فتى شباب مثلها بحكم بريق الشباب وخداعه ، فانه ترغب فى قرارة نفســها فى الرجـل الذى هو أكثر تجربة ، وأقــوى على حمايتها ووقايتها من الأخطار ، وأقدر على الانفاق عليها وتلبية رغباتهـا ٠ والأب هنا يمثل دور الرجـل المجرب ، القادر على الحماية والوقـاية والـذى يستطيع أكثر من ابنه على الانفـاق عليها وتدليلها ٠ فالفتـاة هنا ارتبطت نفسيـا بوالد العريس ، واطمـأنت اليه ووجدت فيه المظلة التى تقيهـا مـن

العواصف والأزمات ، ولم يعد الشـاب الذى عقد قرانه عليها مصدر اغـراء لها ، ولم يعد هو ينجذب اليهـا · وهذا الوضع ليس خاصا بهذه الفتـاة أو بهذا الشـاب · وانما يكاد يكون ظاهرة عـامة عندما تترك الفتـاة الصغيرة شابا فى مثل سنها لتتزوج بمن هو أكبر منها سـنا · وربما يكون سنه عـلى الضعف من سنها لأنها تريد : الحماية ·· والمال ·· وحنان الأبوة ·· وتجربة الرجولة ·· وهذه الفتاة كانت يتيمة وعاشت مع زوج أمها الذى كان يقسو عليها ، حتى هجرت أمها وهجرته معها لتعيش بين أغراب أقرباء ·

● ويسىء رب الأسرة هذا الى أم الشاب ، وهى زوجته · اذ يطلقها بدون مبرر سوى أنه يريد أن يتزوج حليلة ابنه من صلبه ، وهى أصـغر من زوجته وأكثر شبابا وحيوية ودلعا منها · ويهدم بتطليق زوجتـه وأم ولده : أسرة كانت قائمة ·· ولا شك أنها أيضا كانت سعيدة بقرب زفاف الفتاة الى ابنيهما الشاب · وما هى الآن نظرة الشاب الى أبيه ؟ وما هى نظرة أمه الى زوجها السابق ؟ ان هذه ، وتلك : نظرة الحاقد ·· نظرة المتربص لمصائبه ·· نظرة الراغب فى العمل على هدمه ·

● والشخص الثالث الذى يسىء اليه رب هذه الأسرة الذى يخلو ضميره من الخشية من الله هو الفتاة الشابة نفسها · لأنها سترى نفسها محرمة عليه· لأنها كانت حليلة ابنه من صلبه بعقد الزواج السابق · وان لم يدخل بها · فآية النساء التى جاءت تحرم الزواج من نساء معينات ، وهى قوله تعالى : « **حرمت عليكم أمهاتكم** » (١) تذكر من بين المحرمات : زواج الآباء بزوجات الأبناء من الأصلاب وان لم يدخل بهن ، عندما تقول : « **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم** » (١) · أى محرم عليكم أيها الآباء الزواج بزوجات أبنائكم الذين من أصلابكم ، وليسوا عن طريق ادعاء بنوتهم · ولا تقاس حلائل الأبناء على الربائب اللاتى فى حجور أزواج أمهاتهن ، فانه يجوز للأزواج ان لم يكونوا قد دخلوا بأمهات الربائب ، أن يتزوجوا الربائب أنفسهن : « **وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن** » (١) ·· أى محرم عليكم أيهـا الأزواج أن تتـزوجوا الربائب اذا كنتم دخلتم بأمهـاتهن بالفعل : « **فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** » (١) ·· وفى حالة عدم الدخول بأمهاتهن يجوز لكم أيها الأزواج أن تتزوجوا الربائب اللاتى فى حجوركم ·

● وليست اساءة رب الأسرة الى الفتاة الشابة : أنها تحرم عليه الآن أن يتزوجها فقط ·· وانما فعلا قد أساء الى سمعتها قبل هذا التحريم · وما

---

(١) النساء : ٢٣ ·

الادعاء بأنها لم تزل بكرا الا غطاء على اشاعة سوء نالت منها ، في علاقتها بوالد زوجها السابق ·· وهكذا : تخسر بسبب هذا الوالد : مستقبلها كزوجة وأم أولاد لأسرة تبحث عن الشرف والأمانة ·

١ ـ ماذا أفاد الوالد الآن من هذه المأساة ؟

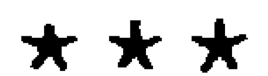
٢ ـ ما مقدار جريمته بالنسبة الى زوجته ، وابنه ، وزوجة ابنه السابقة ؟

٣ ـ ما هى اساءته الى سمعته والى ضميره ـ ان كان له ضمير ـ عندما يراجع عناصر هذه المأساة ؟

٤ ـ بما يقيم الآن فى الحى الذى يسكنه بين المعارف والأصدقاء والزملاء ؟· أيقيم بأن مستواه الانسانى انحط الى مستوى الحيوان ؟ أيقيم بأن دناءة النفس ساقته الى الوقوع فى كارثة انسانية لا يخرج منها طول حياته ؟

٥ ـ أيثق به أحد الآن ؟ أيحترمه انسان الآن ؟ بماذا يواجه ابنه وقد أتعسه بتطليق عروسه وأمه معا ؟ وبخراب الأسرة كلها ؟

● اللهم اهد مثل هؤلاء الرجال : الطريق السوى ، وجنبهم طغيان الهوى والشهوة ، وقدهم بحكمتك وبقرآنك الى ما فيه خيرهم ، وخير أسرهم ومجتمعهم ·



٢٧ ـ خرافة العرافين :

ويسأل آخر من القاهرة :

هل يطلق زوجته الحالية بعد ست سنوات من زواجها : أم يحتفظ بها ويتزوج بأخرى تشاركها الحيـاة الزوجية ؟ لأن زوجته الحالية تلح عليه فى عرض امره على العرافين والدجالين كى يعيش الأولاد الذين تنجبهم منه بعد أن انجبت ثلاثة توفوا جميعا فى الشهر العاشر من حياتهم ؟

● ان الطلاق ـ فى رأى الدين ـ لم يكن حلاً لابعاد الخرافة عن الزوجة · وانما كان ولم يزل الحل الضرورى لسوء العشرة فى الحياة الزوجية وتضرر الزوج أو الزوجة أو هما معا بالاستمرار فى هذه الحياة لعدم التوافق أو عدم الانسجام بين الاثنين ·

والرخصة فى الاســلام بالزوجة الثانيــة كذلك ليست عقوبة للزوجة الاولى ·· أو ·· السابقة عليها ، وانما لضرورة يراها الزوج حماية لدينه أو لأسرته الحاضرة · ولذا فالعدل بين الزوجات فى حال التعدد أساس لابد منه لاستمرار الترخيص فى الجمع بينهن : « **فان خفتم ألاتعدلوا فواحدة** » (١) ·· ومعنى ذلك أن الزوج مسئول أمام الله ــ قبل أن يكون مسئولا أمام القضاء أو أمام نفسه ــ عن عدم وقوع ظلم على احداهن كزوجة : لها ما للأخــريات وعليها ما عليهن ·

● وانما سبيل ابعاد الخرافة وعدم وقوع أى انسان تحت تأثيرها ، هو الاقناع · ففى هذا الوضع الذى يعيش فيه السائل مع زوجته يمكن اقناعها بما يقرره دين الله من الايمان بوحدته سبحانه فى الألوهية · اذ الايمان بوحــدة الله فى الألوهية يمنع التصديق بما يقوله العرافون ، والدجالون ، والسحرة ، والمشعوذون ، وأمثالهم ، فالفعل فى الكون عندئذ هو لله وحده وليس لموجود آخر عداه مهما اعتقد فيه الناس · وما يقع للانسان فى حياته هو باذن الله وحده لا شريك له ·

ولا ينسجم اطلاقا أن نشهد : « أنه لا اله الا الله » ثم نستسلم لضــلال الدجالين فى أية صورة من صور الدجل · لأن معنى الاستسلام لدجل هؤلاء هو أن نعتقد أن لهم فى حياة الناس شأنا ما ، ايجابا أو سلبا ·

● بالاضافة الى ذلك ، كسبيل من سبل الاقناع : أن وفاة الأولاد الثلاثة فى الشهر العاشر لكل منهم ، كما يتحــدث الســائل ، يجوز أن يكون لعامل وراثى أو لسوء رعايتهم الصحية فى اتباع التغذية والنظام الخاص بالأطفال فى السنة الأولى من حياتهم ·

● واذا تحدثنا عن الاقناع فذلك أبعد ما يكون عن المشاحنة والخصومة فى الجدل والتهديد بالطلاق أو بزواج امرأة أخرى عليها ، عند الحديث معها فى الموضوع · وانما طريق الاقناع هو كسب ثقة الطرف الآخر قبل الدخــول فى توضيح الأمر ، ثم الاسترسال فى هدوء فى مراحل التوضيح · وتكون بداية هذه المراحل بالمسلمات التى لا تنكر من الطرفين ولنا فى طريق القرآن خير شاهد · فمثلا تبتدىء سورة الليل بقول الله تعالى : « **والليل اذا يغشى ، والنهار اذا تجلى ، وما خلق الذكر والأنثى** » (٢) ·· فتذكر التقابل بين الليل

---

(١) النساء : ٣ ·

(٢) الليل : ١ ــ ٣ ·

عندما يظلم والنهار عندما يتكشف ويتضح والتقابل كذلك بين الذكورة والأنوثة فى خلق الانسان وهذا التقابل لا يشك فيه مجادل أو محاور ومن اى طرف · فهو من المسلمات قطعا · هذه مرحلة فى الاقناع ثم تأتى بعدها : « ان سعيكم لشتى · فأما من أعطى واتقى · وصدق بالحسنى · فسنيسره لليسرى · وأما من بخل واستغنى · وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى » (١) ·
وهى مرحلة ما يجب أن يصدق به الطرف الآخر ويقتنع به . اعتمادا على ما ذكر من المسلمات السابقة · فكون الناس صنفين : محسن وشحيح ·· وكون مصير المحسن هو اليسر فى الحياة ·· ومصير الشحيح هو العسر فيها لا يختلف فى الوضوح لأى انسان عن تقابل الليل فى ظلامه . للنهار فى ظهوره ، والذكورة للانوثة فى بنى الانسان ·

والمسلم للتقابل السابق ·· يسلم حتما فى التقابل الثانى ·· والحجة عندئذ قائمة فى غير خصومة أو مقاتلة ·

★★★

٢٨ ــ عمل المرأة وأجرها ــ والخلاف بينها وبين زوجها :

تسأل سيدة متزوجة الأسئلة الآتية :

اولا : ما هو حكم الدين فى العلاقة بين الزوجين اذا كانت الزوجة تعمل خارج المنزل وتتقاضى مرتبا قد يكون أعلى من مرتب الزوج ، وتصرف على البيت اكثر مما يصرف وتتعب فى العمل خارج المنزل وفى العمل بالمنزل وفى تربية الطفل اكثر منه ثم تمنع من ابداء الرأى ولو كان حقا ، وتضرب ضربا قد يكون مبرحا لابدائها الرأى ويدعوى ان ذلك هو ما تريده الآية الكريمة : « الرجال قوامون على النساء » (٢) ·· علما بان الزوجة لاتستطيع ترك العمل لأن مرتب الزوج وحده لا يكفى ؟ ·

ثانيا : ما حكم الدين فى الرجل الذى هو زوج ولا يحترم كبير السن ولو كان والده او والد زوجته ، ويأخذ من الناس اكثر مما يعطيهم ، والذى يتهور كثيرا ويسب الدين وان كان يستغفر الله بعد ذلك ، ويصلى ويصوم ؟

ثالثا : ما حكم الدين فى أنى بعد كل خناقة أو مشادة أو اذا كنت متعبة من العمل اترك الحجرة التى بها زوجى وانتقل الى حجرة أخرى فيأتى زوجى ويصفنى بأنى جثة هامدة ؟

● بالنسبة لحكم الاسلام فى العلاقة بين الزوجين : أنه يرسى هذه

---

(١) الليل : ٤ ــ ٩ ·

(٢) النساء : ٣٤ ·

العلاقة على التوازن بينهما · فكتـاب الله يقول فى ذلك : « **ولهن مثل الـذى عليهن بالمعـروف ، وللرجال عليهن درجـة** » (١) ·· فللزوجات حقـوق على الأزواج وعليهن واجبـات لهم ، وللأزواج حقوق على الزوجات وعليهم حقوق لهن · ومن أخص ما يجب على الازواج : ·· نفقـات السكنى والمعيشة فى الحياة الزوجية · وليس على الزوجة شىء فى ذلك مهما كان ثراؤها أو مهما كان أجرها على العمل · ومن أخص ما يجب على الزوجات : الاعداد والتهيئة للحياة الزوجية فى المنزل · وبعض المذاهب الفقهية كالشافعى : يرى أنه على الزوج اخدام زوجته اذا كانت مثلها ممن تخدم ·

ودرجة ·· الرجال التى لهم على الزوجات وذكـرتها الآية هنـا هى الدرجة من الفضـل التى يجب أن تتوفر لديهم ، بعـد المماثلة فى الحقوق والواجبات · على معنى : أنه يجب أن يتميز الرجال فى معاملتهم لزوجاتهم بفضل لا يدخل فى الموازنة بين الفريقين وبالأخص عند الطـلاق ، لأنهم أقدر وأولى بأن تكون لهم عندئذ مروءة وانسانية · فمثلا عند طـلاق الزوجة غير المدخول بها للزوج أصـلا استرداد نصف المهـر · ولكن الأليق به كرجل أن يتنـازل عن هـذا النصف لزوجته المطلقة كذلك · وقد جاء فى قوله تعالى : « **وان طلقتموهن من قبل أن تمسـوهن وقد فرضتم لهن فريضـة فنصف مـا فرضتم الا أن يعفون أو يعفوا الذى بيـده عقـدة النكاح ، وان تعفوا أقـرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم** » (٢) ·· والفضل هنا هو فى تنازل الأزواج عن نصف المهر المحدد وليس فى تنازل أولياء الزوجات عنه ·

وعدم سماح الزوج لزوجته فى ابداء الرأى فى حياتهما الزوجية وفى توجيه الأولاد وتربيتهم ، أمر يخالف عموم ما جاء به قول الله تعالى فى وصف المؤمنين : « **والذين استجابوا لربهم ، وأقاموا الصـلاة ، وأمرهم شـورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون** » (٣) فجعلت الآية هنا : الشـورى فى وضـع الايمان بالله ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والشورى أعم من أن تكون بين الحاكم والمحكومين ، أو بين أفراد الأسرة الواحدة وبالأخص بين الزوج وزوجته ، أو بين الجار وجاره ، أو بين مجتمع من المؤمنين ومجتمع آخر ·· ثم هناك الحديث الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما جاء فيه : « والرجل راع على أهل بيته وهو مسـئول عن رعيته ، والمـرأة راعية على أهل بيت زوجهـا وولـده وهى مسـئولة عنهم » (٤) ·· فكيف تكون مسئولة عن بيت الزوجية وولد الزوج ·· ولا يسمع رأيها فيما هى مسئولة عنه ؟ ··

---

(١) البقرة : ٢٢٨ · (٢) البقرة : ٢٣٧ ·
(٣) الشورى : ٢٨ · (٤) كتاب التاج ص ٤٩ جـ ٣ ·

وبخصوص ضرب الزوجة ـ والضرب لا يكون الا لتأديب يتصل باستقرار الحياة الزوجية ـ سئل الرسول عليه السلام من احد الصحابة رضوان الله عليهم ، وهو معاوية القشيرى ، : ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : تطعمها اذا طعمت ، وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح (أى لا تقل قبيحا) ولا تهجر الا فى البيت (أى اذا هجرتها للتاديب فلا يكون هجرها بتركها وحدها فى البيت) (١) ٠٠ واذن الضرب ليس للاساءة ولا للتشويه ٠٠ وانما هو تعبير عن عدم الرضا عن تصرف أو أمر ما ، منها ٠

● **والسؤال الثانى** : وهو حكم الاسلام فى الزوج الذى لا يحترم كبير السن ، ولو كان أباه ، ويتهور ويسب الدين ، وان كان يصوم ويصلى ويستغفر الله ، فانى أدعو الله له فى أن يصرف عنه السوء ، ويبعد عنه شيطان الهوى ، ويمكنه من أن تكون صلاته وصيامه لله تعالى ، وأن تكون توبته توبة نصوحا لا يعود بعدها أبدا الى اتباع غواية الشيطان ٠

● وأخيرا ما تباشره الزوجة من ترك الحجرة التى بها الزوج الى حجرة أخرى عند المشادة بينهما أو عند تعبها من العمل يكاد يكون الرأى الراجح ، اختصارا للمشادة والنزاع ٠

وبخصوص ما يقوله الزوج لزوجته عندما يراها متعبة : أنه متزوج من جثة هامدة ٠٠ هذا القول هو تنبيه لها ولمثيلاتها من الزوجات العاملات ٠ اذ يجب أن لا يكون عمل المرأة خارج المنزل سببا فى اهدار حقوق الزوج عليها ، أو فى أن تفقد هى خاصتها كزوجة وكامرأة ٠ فعمل المرأة خارج المنزل يجب أن لا يؤدى الى نزاع الزوجين والى عدم استقرار حياتهما ٠ فهدف الزوجية هو السكنى والاطمئنان والمودة والرحمة : « **ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة** » (٢) ٠٠ فاذا أدى العمل خارج المنزل الى الخلاف بين الزوجين أو الى فقد الزوجة أنوثتها ، أو الى فقد أمومتها فى توجيه أولادها وتربيتهم فيجب أن تنقطع عن العمل وتتفرغ لرسالتها كامرأة ٠ والنظرة الى المال وحده فى اسعاد الانسان نظرة ضيقة

---

(١) التاج ص ٥٠ ج ٢ ٠ (٢) الروم : ٢١ ٠

وخاطئة فى كثير من الأحيان · فسعادة الحياة الزوجية تشع من الروح أكثر مما تصدر عن المادة ·

* * *

٢٩ ـ حقوق الزوجة التى لم يدخل بها زوجها :

يسأل مواطن بالقوات المسلحة عن حكم الشرع فى طلاق زوجة لم يدخل بها : أحلال أم حرام ؟ بعد ان أوضح أن خلافا فى أسرتى الزوجين يحول دون أن يحقق الزواج هدفه من السكنى والمودة والرحمة ·

وهل من حق الزوجة الحصول على مؤخر الصداق ·· ونفقة المتعة ·· وهى نفقة عام ؟

● الطلاق فى الاسلام جعل أصلا لحل مشكلة التضرر فى المعاشرة الزوجية ، سواء أكان هذا التضرر من جانب الزوجين معا . أو من جانب أحدهما · ولذا فهو أمر مشروع : **« وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما » (١) ··**

والسائل فى شرحه الأسباب التى من أجلها عزم على طلاق زوجته غير المدخول بها ، لا يترقب اطلاقا أن يكون هناك وفاق بينه وبين زوجته · لأن أسباب الخصومة قائمة الآن فعلا بين أسرتيهما · وهى خصومة لا تتيح الفرصة لعشرة انسانية كريمة ·

والزوجة غير المدخول بها اذا طلقت تستحق نصف المهر كله المقدم منه والمؤخر · الا اذا تنازل الزوج عن حقه فى النصف الآخر . أو تنازل ولى أمرها عنه فيصبح المهر كله لمن كان التنازل لصالحه · ويقول كتاب الله فى ذلك :

« وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ، وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ، الا أن يعفون أو يعفوا الذى بيده عقدة النكاح » (٢) ·

---

(١) النساء : ١٣٠ · (٢) البقرة ٢٣٧ ·

والمطلقة غير المدخول بها ليست لها عدة · ولذا ليس لها أجر سكن · وليست لها كذلك نفقة على سبيل الوجوب · وبعض المفسرين لقوله تعالى : « وللمطلقات متاع بالمعروف ، حقا على المتقين » (١) · يرى انه تستحب النفقة لكل مطلقة سواء أكان مدخولا بها أم لا ، لعموم اللفظ فى الآية الكريمة ·

★ ★ ★

★ وتقول احدى الآنسات من الاسكندرية :

انها فتاة مسلمة تؤدى واجبها نحو الله · وانها فقدت اباها منذ الصغر وتكفلت بها والدتها حتى التعليم الجامعى · وهى مدينة لوالدتها بالشكر · ولكن تحس منذ وقت طويل بأن امها لا تعطف عليها ، بل تحاول أن تشوه سمعتها ، وأن تحول دون أن يتقدم لخطبتها احد ·· وتسأل :

هل من حقها أن تتزوج ، رغم معارضة امها لزواجها ؟

● من الوجهة الفقهية ، ومن جهة صلاحية عقد الزوجية على البنت البكر ، لا شأن للأم ولا تتوقف صحة العقد على موافقتها · فالمرأة لا تزوج المرأة · وانما ولى المرأة فى الزواج هو الأب وان علا ·· والابن وان نزل ·

والسائلة يتيمة فيؤخذ رأيها فى زواج نفسها للحديث الشريف : « تستأمر اليتيمة فى نفسها · فان سكتت فهو اذنها ، وان أبت فلا جواز عليها » ··

ومذهب الحنفية لا يشترط الولى مطلقا · بل لها أن توكل فى عقد زواجها غيره ولها أن تزوج نفسها بنفسها للحديث المروى : « الثيب أحق بنفسها من وليها ··· والبكر تستأمر ·· واذنها سكوتها » ··

وعلى اية حال لا تدخل الأم فى عقد الزواج على بنتها ··

● ولكن من الوجهة الأسرية والنفسية ينبغى على السائلة أن تعالج سوء العلاقة مع والدتها · اذ معالجة ذلك ليست مستعصية عليها · فالأم مهما قست على ابنتها ومهما اظهرت عدم المودة لها ، فهى فى قرارة نفسها ترجو لها الخير وتسعى الى سعادتها ، بالمشاركة فى اختيار الزوج الصالح لها ·

---

(١) البقـرة : ٢٤١ ·

ان عاطفة الأمومة أو الأبوة أقوى بكثير من عاطفة البنوة نحو الوالدين • والطريق الى كسب عاطفة الوالدين هو تجنب الغلظة فى معاملتهما ، والعناد والتشدد فى الحديث معهما ، والاعتذار عن الخطأ ان وقع فى العلاقة معهما •

والسائلة فى كتابها تعترف بفضل أمها عليها منذ الصغر حيث كانت تسعى عن طريق الحياكة فى سبيل لقمة العيش •• الى أن أصبحت مدرسة تأخذ راتباً على عملها واذا لم تنجح السائلة فى اعادة العلاقة الطيبة مع أمها فانه من المشكوك فيه : أن تصبح زوجة صالحة يسعد بها زوجها وتسعد هى بزواجها منه •

★ ★ ★

٣٠ ـ زواج المسلم بالكتابية وآثاره على الأسرة :

مواطن باحدى المحافظات ـ يروى مشكلته كالآتى : ـ

هو مسلم تزوج بكتابية ، وأنجب منها طفلان فى سن الحضانة معا • وتحت تأثير أهل الزوجة عليها أكره على تطليقها بعد أربع سنوات من زواج سعيد لم يكدره الا تعصب أسرتها • وهما يعيشان الآن منفصلين : هو بمحافظته وحده لظروف عمله وهى بمحافظة أخرى مع طفليها •

ويذكر : أن ارتباطهما النفسى معا باق على أشده ، وأن أيا منهما لا يستطيع الحياة بدون الآخر ، ويريا أن الحل هو أن تشهر اسلامها • وقد كانت على وشك أن تسلم ويسأل :

هل يؤمل أن تشهر اسلامها ، وتصبح زوجة له مرة أخرى ، بعد أن أصبحت أم ولديه ؟

● يقول الله تعالى :

« وقالت طائفة من أهل الكتاب :

آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار ،

واكفروا آخره ، لعلهم يرجعون •

ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم » (١) •

---

(١) آل عمران : ٧٢ ، ٧٣ •

فيأمر الله فى الآية الثانية المؤمنين : ان يطمئنوا فقط فى تصديق ما يقال لهم ، الى المتبعين دينهم · فهم وحدهم الذين يصدقونهم فى القول ، ويجنبونهم الخداع عن طريقه · ويقاس على الاطمئنان اليهم كذلك فى المعاملة ، والعمل ، والحكم ، والخبرة ، والمشورة · واسس القرآن هنا امره بذلك على ما كشفه من خداع المؤمنين ممن ليسوا على دينهم · اذ اوصوا بعضهم بعضا بالعمل على صرف المؤمنين بالقرآن عن قرآنهم فيعلنوا ايمانهم به فى وقت ثم يعودوا فى وقت قريب لاحق فيكفروا به ، ليدللوا بذلك على ان القرآن لا يستحق ان يتبعه الناس · فاهل العلم ـ وهم اهل الكتاب هنا ـ كشفوا عن ضعفه بعد ان آمنوا به ، فارتدوا عنه على اثر ان اتضحت لهم حقيقته · هكذا يكون اسلوبهم فى خداع المؤمنين ، وفى صرفهم عن الايمان بكتاب الله ··

ولم يزل هذا الأسلوب النفسى فى الخداع يستخدم فى وسائل الاعلام ، وفى أسلوب تحويل المؤمنين عن ايمانهم ·

● والزواج نوع من المعاملة لأنه عقد كبقية العقود التى تقوم على التكافؤ وعلى وجوب الأداء · ولكنه اكثر خطرا من عقود عديدة · لأنه عقد تقوم عليه أسرة وتنشأ عنه أولاد · فعقد الزواج غير المتكافىء ، كعقد زواج المسلم ، بمن هى من اهل كتاب ، قد يكون خطرا على نشأة الأولاد وتربيتهم ، رغم أن أولاد المسلم من غير المسلمة يعتبرون من المسلمين شرعا · ولكن المسألة ليست مسألة انتماء الأولاد الى الاسلام · انما هى مسألة الروح الاسلامية التى وراء تنشئتهم وتربيتهم · وكثيرا من الشبان المسلمين الذين تزوجوا بأوروبيات وعاشوا معهن فى مجتمعاتهم الاسلامية المعاصرة ، خسروا أولادهم ذكورا واناثا على السواء : اما لاهمال تربيتهم تربية اسلامية ، وقد يكون ذلك عن قصد ، واما بسبب تعميدهم سرا وزياراتهم المستمرة فى خفاء الى الكنيسة ·

والسائل لم يداخله شك فى مستقبل أولاده من الوجهة الاسلامية ، فهو مطمئن الى والدتهم من هذا الجانب ، ولا يدخل فى اعتباره « تعصب » اسرتها الذى يكرره فى سؤاله ، واثره فى انفصالها عنه ، وان هذا التعصب قد يؤدى الى ابعاد طفليه عن الاسلام كلية ، وبالأخص انه لم يعد يعرف شيئا عن الجو الذى يعيشان فيه ·

ونحن نرى فى مشكلة هذا السائل ان يطلب حضانة ولديه ، والقانون يعطيه الحق فى ذلك · ولا ضير عليه فى أن يتزوج مرة اخرى ، فقد يوفقه الله الى من ترضى به زوجا ، وفى الوقت نفسه تعطف على ولديه فى حضانتها لهما · وحضانتها لولديه هى خير سبيل للحفاظ على اسرته كاسرة مسلمة ·

« ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم » .. هى المرشد للانسان المسلم فى حياته متى يطمئن ؟ .. ومن يأتمن ويصدق ؟ .. ومن يعاشر ويسكن لعشرته .

* * *

٣١ ـ خداع الزوجة لزوجها :

يذكر مواطن : أنه عندما عقد قرانه على زوجته الحالية كان يعتقد انها بكر . ولكن انكشف الوضع له فيمـا بعد . وعندئذ اتفقا معـا على أن يبقى سرا بينهما على شرط أن تعود الى الله وتصلى .

فلما انجبت له أطفالا ، ورأت تعلقه بأولاده أخذت تسلك المسلك السابق على زواجه بها ، وبالتالى لم تعد تصلى ، كما يقول .

فاضطره ذلك الى أن يسترسل فى الوقوف على ماضيها . وهنا فوجىء بأنها كانت متزوجة من قبل بوثيقة شرعية ، وانها طلقت من زوجها ولم يثبت هذا الطلاق فى السجل الرسمى ، والمأذون الذى حضر الطلاق توفى . ويسأل الآن :

(أ) ما هو وضع أولاده الآن ؟ أهم أولاده شرعا ؟

(ب) وهل يطلقها ، علما بأنه لو طلقها لسأله اقاربه عن أسباب الطلاق وهى أمر سرى حتى الآن ؟

● ان المشكلة فى جوهرها غير هذا ، وذاك . ان المشكلة : كيف يربى أولاده مع وجود أمهم فى عصمته ، أو مع وجودهـا عند طلاقهـا منه ؟ هى زوجة عابثة وقعت تحت تأثير ما يسمى « بتحرير المرأة » . فهى تصدق مـا يقال ، وما يكتب فى كثير من الأحيان عن أن الاتجـاه الجديد للمرأة : أن لا تحفل بقيم انتهت وتغيرت ، وأن لا تأخذ بمقاييس الماضى فيما يسمى « العفة » مثلا . فلم تعد « البكارة » والمحافظة عليها قبل الزواج أمرا جديرا بالاهتمام . ولم تعد الخيانة الزوجية « مع صديق » سببا من الأسباب التى تخرج المرأة العصرية عن أن تكون جديرة بالاحترام .

ويوم أن ندمت هذه الزوجة وبكت أمام زوجها على فعلتها قبل الدخول بها عندما اكتشف انها ثيب ، كانت تسترضيه فقط للسكوت عنهـا والتسـتر عليها فى هذا الوقت الحرج بالنسبة لها مؤقتا . ولم يكن بكاؤها ولا ندمها : أمارة على توبة صادقة تكون بعدها زوجة وفية وأما صالحة لأولاده . وصلاتها كانت للخداع . حتى ظنت أنها بانجابها الأولاد ثم بتعـلق زوجهـا بأولاده

وارتباطه بهم نفسيا : أنها أصبحت متمكنة منـه · وهى اذن ليست بحاجة الى صلاة ، وليست كذلك فى حاجة الى رضاه عن مسلكها · فانطلقت كما كانت ، فى ضـلال التوجيه المسموم الذى يدعو الى التحرر من القيود التى تقف فى سبيل الرغبة · ورغبات النفس هو هواها وشهواتها ·

● ان الأولاد هم أولاده شرعا · لأنها أنجبتهم معه فى فراشه · والولد للفراش كمـا يقـال · فهم ولدوا فى ظل عقـد زواج صحيح ، رغم أن طلاقها من زوجها السابق لم يسجل فى وثيقة رسمية · اذ العبرة بوقوع الطلاق · وقد طلقت فعلا بشهادة شهود وتوفى المأذون قبل تسجيله ·

والسائل يرى الحرج فى مشكلته : انه لو طلقها الآن كعـلاج ، وكوسيلة للتخلص من سلوكها وعبثها لاضطر الى الافصاح عن أسباب الطلاق لأهله وأصحابه · وهى أسباب فى نظره غير مشرفة ، وبالتـالى تسىء الى مستقبل الأولاد · ولكن اذا كان الطلاق هو العلاج فى نظره فانه يمكنه أن يطلقها وليس هناك من الأهل والأصدقاء من يحمله على توضيح أسباب طلاقه ·

ونحن لا نرى ـ اذن ـ حرجا فى تطليقهـا من جانب السرية والعلنية لأسباب الطلاق · ولكن الحرج : كيف يضمن تربية أولاده تربية أمينة فى ظل بقائها كزوجة ؟ سواء مع وجود زوجة أب لهم ، أو مع وجود ذات صلة قريبة بأبيهم ؟

هل ننصح الآن : الزوج بالتفاهم مع زوجته من أجل الأولاد ؟ هل ننصحه بدفع الشكوك والريب جانبا وعدم الاشارة فى حياتهما اليومية الى شىء من الماضى حتى لا يؤذيها فى احساسها وكرامتها ، ان كانت لها بقية من كرامة واحساس انسانى ؟

ان اختيار هذا النصح وقيمته يعود الى تقدير الزوج نفسه · فالزوجة ككل انسان آخر تتأثر ايجابا أو سلبا بأسلوب معين من المعاملة دون أسلوب آخر ·

ولعل الله ييسر الأمر بين السائل وزوجته ، ويبقى للأولاد : حنان الأم ، وريادة الأب · فهم فى حاجة الى الحنان والقيادة الصالحة معا ، قبل حاجتهم الى الطعام والملبس ·

أما الطلاق فهو آخر سبيل لرفع الأضرار في الحياة الزوجية : « الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف ، أو تسريح باحسان » (١) •• صدق الله العظيم •

* * *

٣٢ـ الزوجة الثانية بعد وفاة أم الأولاد :

يقول مواطن باحدى المحافظات :

زوجته توفيت منذ تسع سنين ، وأنجب منها ثلاث بنات ، وولدا ، اما البنت الكبرى فتزوجت وأنجبت ، والصغرى طالبة باحدى الكليات ، والوسطى في المنزل تدير شئونه وأما الولد فهو مهندس زراعى •

وعملا بمشورة ابنته الكبرى تزوج امرأة أخيه بعد وفاته • وحمد الله على زواجه منها • ولكن تم زواجه منها في غيبة ولده المهندس الزراعى ، فلما عاد وعلم غضب وحمل أباه على تطليقها فطلقها •

واقترح عليه الأولاد أن يتزوج من قريبة لوالدتهم وهى ريفية • فتزوجها ، ثم ضاق بها ذرعا وعادت الى أهلها وعاد هو الى الزواج مرة ثانية بمطلقته ، فقاطعه الأولاد بعد أن ثاروا عليه • وهو يسأل : افتونى في أمرى ؟

● والسائل اذ يستفتى يطلب الرأى : كيف يجمع بين امساكه لزوجته التى كان قد طلقها ، وعودة أولاده اليه وانهاء مقاطعتهم اياه ؟

الأولاد يحرصون على أن يكون بيتهم ـ وهو بيت والدهم ـ مسكونا بذات قرابة قريبة لوالدتهم ، تكون بديلا وعوضا عنها ، ويرجعون اليها فى شئونهم الخاصة ، كما كانوا يرجعون الى والدتهم فيها على عهد حياتها •

ووالـدهم يحرص على أن تكون الزوجة التى يقيم معهـا ذات صلاحية يحس معها أنها تبادله الاطمئنان والمودة والعطف •

وكل من الطرفين ينظـر الى الوضع الجـديد من زاوية خاصة • وهى زاوية المصلحة الشخصية ، والاحســاس الشـخصى • وليس بين الزاويتين التقاء ، طالما الاحساس الشخصى هو المتحكم فى القاء النظرة •

---

(١) البقرة : ٢٢٩ •

والسؤال الآن : هل سيضار الطرفان ، أو يضار أحدهما ٠٠ أكثر ، بالوضع الجديد ؟ الابنة الكبرى ــ وهى متزوجة ولها أولاد ــ ستشغل نفسها بزوجها وأولادها وبالتالى سيكون اهتمامها ببيت أبيها ، قليلا ٠ وبالفعل عندما أشارت عليه فيما مضى بأن يتزوج امرأة عمها التى طلقها أبوها وأعادها ثانية الى عصمته ، كانت تفكر فى بيتها الخاص أكثر من تفكيرها فى منزل الأسرة ٠

والولد المهندس الزراعى سيشغل نفسه فى الوقت الحاضر بالبحث عن زوجة أو عن مصلحة خاصة فى وظيفته ولا يعنيه من أمر والده الا بمقدار ما ينجز مصلحة له تعود أن ينجزها معه ٠ وفى هذه الحالة ــ وهى حالة المقاطعة ــ لا يقصر والده فى شىء يريده ٠

والشقيقتان : طالبة الكلية ، والقائمة بشئون المنزل يمكن لزوجة أبيهما أن تكون على وفاق معهما ٠ وبالأخص أنها تعلم أن زوجها حدب على صلته بأولاده جميعها وبالأخص هاتان الشقيقتان ٠ فهى من جانبها تبذل كل ما فى وسعها لجذبهما نحوها ٠

وبمرور الأيام ستتراخى القطيعة ٠ ولكن الوالد سيظل يحس بها ، لأن العلاقة بين الوالد وأولاده ليست متكافئة عادة ٠ فهى أقوى من جانبه ٠ ولذا لم يوص القرآن الآباء بالاحسان الى الأولاد ، اعتمادا على الاحساس الطبيعى المتوفر عندهم نحو أولادهم ٠ وانما حذرهم من بعضهم وأوصاهم بعدم الافتتان بالبعض الآخر ٠

فيقول : « **يا أيها الذين آمنوا : ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ، وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم ٠ انما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم** » (١) ٠٠ مما يدل على أن علاقة الأولاد لا ترقى فى مستواها وقوتها الى علاقة آبائهم بهم ٠

ومن هنا على الوالد أن يتقدم خطوة أو خطوات فى سبيل التفاهم مع أولاده لانهاء مقاطعتهم من جانب ، والاحتفاظ بزوجته التى يؤثرها من جانب آخر ٠ والتوفيق بين الأمرين ليس عسيرا ٠ فالبنت الكبرى تستطيع أن تكون بمثابة الأم لشقيقتيها فى الوقوف على أسرارهما واعطاء المشورة لهما ، والابن المهندس يستطيع أن يكون رفيقا لوالده وصاحب رأى عنده ٠ وبذلك تجتمع

---

(١) التغابن : ١٤ ، ١٥ ٠

الأسرة من جديد · والزوجة المفضلة عند الوالد الآن ستبارك حسن العلاقة بين الجميع لأنها ليست ذات شوكة وتريد أن تحتفظ فقط بأبيهم كزوج بعد ما مات زوجها وهو الشيخ . وبعد أن عادت ثانية الى عصمته وعرفت مدى تأثير الأولاد عليه ·

ورأينا اذن : أن السعى الى التوفيق يجب أن يكون من جانب الوالد أولا · وعلى الأولاد أن يدركوا أنهم أقوى من أبيهم فى الاستغناء عنه ، وأنه هو بحاجة اليهم : هو بحاجة الى أن يتقوى بهم . ويعتز بهم ، ويستند اليهم فى ختام حياته ·

★ ★ ★

٣٢ـ سوء السلوك والتصرف يحرج علاقتها بأولى الرحم :

سيدة باحدى المحافظات ـ تشرح :

(أ) أن علاقتها بجدتها وأخوالها الثلاثة علاقة سيئة ، بسبب ماض بغيض لها وقد رجعت الى الله ، ومع ذلك لم يرجع أقاربها الى مودتها ، رغم انها وسطت بعض وسطاء الخير فى ازالة سوء التفاهم بينها وبينهم·

وتسأل : هل فى استمرار المقاطعة معصية للخالق ؟

(ب) ثم تطلب معرفة رأى الاسلام فى زوجة تريد أن ترتدى الزى الاسلامى وزوجها يعارضها فى ذلك معارضة تامة ، كما أنه لا يؤدى الصلاة ؟

(ج) وأخيرا تسأل عن حكم الشرع فيما لو أقرضت أصحاب الحاجة من مال زوجها بدون علمه ، ورغم أنها تعرف : أنه يعارض مبدأ الاقراض للمال على العموم ؟

● (أ) لا شك أن مسلك السائلة فى الماضى ـ وهو مسلك مشين قد أغضب أصحاب رحمها من الجدة والأخوال ، بحيث انهم كانوا يتأسفون على وجودها بدلا من أن يسروا بها بينهم · وبالأخص الجدة · وليس من السهل ولا فى الوقت القصير : أن يزول الأثر البغيض من نفوسهم الذى خلفه طيشها وحماقتها ·

ولكن ليس معنى ذلك أن يصر أصحاب رحمها على مقاطعتها · فقد يتسبب الاصرار فى يأسها ، وبالتالى قد يدفعها من جديد الى مغامراتها السابقة فتسوء سمعتها كما يضارون هم أيضا فى وضعهم الاجتماعى بسبب سمعتها

السيئة ، بل يجب عليهم أن يتقبلوا توبتها ورجوعها الى الله فى سلوكها • فليس هناك انسان لا يخطىء • والذى يتوب بعد خطأ ارتكبه هو افضل من ذلك الذى يخطىء ويعاند فى بقائه على الخطأ •

فاذا عاد أولوا رحمها وعدلوا عن مقاطعتها كان من اليسير عليهم أن يوجهوها التوجيه السليم • وكان من السهل عليها كذلك : أن تتقبل مشورتهم• ثم فى وجودها بين أحضانهم تضمن كفالتهم لحياتها ومستقبلها • وبذلك تسير بخطى ثابتة فى طريقها وتستطيع أن تدفع عن نفسها الآن ما كان يحملها على الانزلاق فيما مضى •

وهكذا : عدم مقاطعتها من أولى رحمها هو الحل الاسلامى الذى يرضى عنه الله اذ كل ما يقوم المعوج ، ويحول دون الانحراف ويزيد فى تماسك الأسرة يرضى عنه الله ويجزى عليه بالحسنى •

(ب) أما شأن الزوج الذى يمنع زوجته من ارتداء الزى الاسلامى ـ وانا افهم أن الزى الاسلامى هو كل زى لا يكشف عن بدن المرأة ولا يجسم بعض هذا البدن ، ولا يجعله مثيرا للفتنة وملفتا لنظر الرجل ـ شأن هذا الزوج شأن كثير من الأزواج فى مجتمعاتنا الاسلامية • فالكثير من هؤلاء الأزواج فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة قد يتباهى بالخروج مع زوجته الى الشارع او الذهاب معها الى المجتمعات العامة ، وهى متبرجة تلفت الأنظار بتبرجها ، وبالأخص اذا كانت ذات قوام جميل • ذلك لأن المجتمعات الاسلامية المعاصرة مجتمعات تطغى فيها المادية ، وتنحسر عنها القيم الانسانية • فالزوج الآن قد لا يريد أن تقوم زوجته بعفتها وحسن مسلكها ، وقيامها بدور الأمومة الصالحة والزوجة الحميدة ، وباسهامها فى اطمئنان الحياة الزوجية واستقرارها ، وفى المودة فى العلاقات بين افراد الأسرة • وانما يرضيه من زوجته أن تثير فتنة الرجال بزينتها وملبسها • اذ هنا يتأكد أنه قد تزوج بامرأة كان يمكن أن يتخاطفها الرجال دونه • فهو اذن مادى ترتضيه المظاهر المادية • وقلما تؤثر فى نفسه المعاني الانسانية التى هى أبقى وأبلغ تأثيرا فى حياة الانسان • والحديث القائل : « تنكح المرأة : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها (أى أن الشأن فى اقبال الرجل على الزواج من المرأة هو الجانب المادى لها وهو جانب المال عندها أو الجاه ، أو الجمال فيها) فاظفر بذات الدين (أى فتش عن صاحبة الخلق والدين وهى التى تمثل القيم الانسانية فى سلوكها وموقفها وفى نظراتها الى الحياة) تربت يداك (فان لم يظفر الانسان بزوجة صالحة تمثل القيم الانسانية أولا فالمصير : أن يشقى فى حياته الزوجية بسبب

أو بآخر ، كما يشقى الفقير الذى لا تملك يداه شيئا ، ·· هذا الحديث يصور الاتجاه المادى يوم يغلب على الانسان فى اختيار زوجته ·

وتتأكد مادية الاتجاه عند أمثال هؤلاء الازواج الذين لا يرضون لنسائهم ··· أن يلبسن ما يستر عورة المرأة ـ وعورتها هو بدنها كله ـ انهم لا يؤدون الصـلاة فضـلا عن أية عبادة أخرى كالصـوم ، والزكاة · ان أمثال هؤلاء الازواج يريدون أن يشـاركهم الآخـرون من الرجال والشـبان : الاعجاب بزوجاتهم عندما يخرجن متبرجات ·

وعندما يدركون أن الزوجة فقط : تتزين له وحده ·· ويعجب بها دون مشاركة أحد سواه ·· عندئذ يسعدون بزوجاتهم اذا طلبن أن يلبسن ما يستر عوراتهن ولا يتحن الفرصة لتجسيم أبدانهن · كما تطلب السيدة الجارة هنا ·

(ج) وأخيرا : الحكم الشرعى فيما تقرضه السائلة من مال زوجها بغير علمه لأصحاب الحاجة ، رغم أنها تعرف أنه لا يوافق على مبدأ الاقراض على العموم هو : أن عملها هذا غير جائز شرعا · لأنه تصرف فى مال الزوج بغير رضاه ، ومع معارضته · فلو أنها أخذت مثلا من ماله فى حاجة لها ، من غير علمه لا يكون حراما · لأن نفقتها من مال زوجها واجبة · ولكن أن تقـرض الآخرين من ماله فانها تعرضه للضياع ، كما تتسبب فى احراجه فى علاقتها به · ومهما كانت حاجة الآخرين الى المال فان المحافظة على مال الزوج من مسئولية زوجته · فالزوجة راعية على بيت الزوج وأهله ، وهى مسئولة عن رعيتها · ويزيد من مخالفتها لحكم الله : أنها تعلم أنه لا يوافق ، لو علم على الاقراض ·

* * *

٣٤ ـ أم تسعى لتطليق ابنتها لعقم زوجها :

والدة ـ باحدى المحافظات ـ لبنت متزوجة ، تقول :

ان ابنتها متزوجة منذ سنة ونصف ، لم تنجب ولدا · وسنها الآن أربع وعشرون سنة · وبمراجعة الطبيب المختص ، وبعد عمل التحاليل اللازمة لكل من الزوجين اتضح للطبيب : أن الزوج مصاب بالعقم · وعندما استقر رأى الطبيب على هذا الرأى تفكر أم الزوجة فى أخذ اقرار على الزوج بمفـارقة ابنتها اذا لم يوجـد عـلاج لعقمه · وتسأل الأم الرأى فى جواز ما تفكر فيه شرعا ؟ ·

● الزواج له هدفان فى نظر القرآن :

● الهدف الأول : النسل وانجاب الاطفـال · فالله سبحانه يمتن على الانسان بأن جعل من الطبيعة البشرية الواحدة : ذكورة وأنوثة ، وجعل من هذه المزاوجة بنين وحفدة ، اذ يقول تعالى ·

« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ،

وجعل لكم من أزواجكم بنين ، وحفدة » ·· (١) ·

فالله هنا يتحدث عن نعمتين أنعم بهما على الانسان ، وهما نعمة النسل واستمرار بقاء نوعه ، ونعمة التمكن من هذا الاستمرار بخلق فصيلة الأنوثة وفصيلة الذكورة من نفس الطبيعة الواحدة التى لها الخصائص الانسانية · فالزوجية التى يعتمد عليها الجنس البشرى فى انجاب الأولاد ، وكثرة النسل واستمراره ، هى الزوجية فى الطبيعة البشرية بين الذكورة والأنوثة منهما · واذا قيل بعد ذلك : ان هناك زوجية أخرى بين طبيعة الأنس وطبيعة الجن . ويجوز أن يكون هناك اقتران بينهما ، وبالتالى انجاب ونسـل منهما ، فهـذا القول يحتاج الى مراجعة وعلى كل حال لم يمتن الله على الانسان الا بنوعية الذكـورة والأنوثة من طبيعتـه هو الخاصـة ، دون الزوجيـة من طبيعتين مختلفتين انسانية وغير انسانية ·

● والهدف الثانى : من أهـداف الزوجية فى نظر القـرآن : السكنى والاستقرار النفسى والمودة ، والرحمة بين الزوجين · والهدف الأول وان كان يحقق للزوجين ما يلحق بهما وما يعد استمرارا لهما من بعد وهو الأطفال ، فهـذا الهـدف الثـانى يحقق ما يتصـل بذاتيهما ·· ما يتصل باطمئنانهما وراحتهما ماديا ونفسيا ، وما يحقق بينهما المودة والتعاطف ، والمساندة فى أزمات الحياة والانسان اذا توفرت له هذه المعانى وابتعد عنه القلق والخوف ، يعيش فى كنف الله ورعايته . كما يعيش سعيدا فى دنياه ·

● وأم الزوجة ــ وهى السائلة هنا ــ التى تقصر هدف الزوجية على انجاب الأطفال وحده . تتغاضى عن الهدف الثانى الذى جاء به القرآن ، والذى ربما يعتبر أهم هدفى الزواج ·

---

(١) النحل : ٧٢ ·

● وبعد ذلك : لابد أن ندخل « ارادة الله » فيما يقع فى هذا الكون · فالله مالك السموات والارض · ويقول القرآن فى هذا الشأن :

« لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء ·· يهب لمن يشاء اناثا ،

ويهب لمن يشاء : الذكور ،

أو يزوجهم ذكرانا ، واناثا ،

ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير » (١) ··

فقد لا يكون العقم مرضا · ولكن مشيئة الله تقضى لسبب من الأسباب بتأخير الانجاب فترة تطول أو تقصر · وجعل عدم الانجاب شرطا لمفارقة الزوج زوجته : تدخل فى أمر يخص الزوجة وزوجها وحدهما · وغالبا يكون الهدف من جانب الزوجة من الانجاب هو الاحتفاظ بالزوج فى علاقة زوجية والحيلولة دون الطلاق منه · وربما يكون عدم انجاب الزوج سببا كذلك فى احتفاظ الزوج بزوجته ، وحرصه على البقاء معها ، طالما توفر له الاطمئنان فى الحياة والمودة فى المعاشرة بينهما وان لم يكن لهما ولد ·

● أما من الوجهة الفقهية فجعل عقم الزوج سببا من أسباب فسخ عقد الزوجية : غريب عن الفقه الاسلامى · فالذى يفرق بين الزوج وزوجته بعد الدخول بها اما طلاق الزوج لها ، واما سبب آخر يبطل من جانبها العقد · كعدم استطاعته على المعاشرة ، أو عدم قدرته على الانفاق عليها ، أو ظهور أنه غرر بها وخدعها · ومعنى ذلك أن يبطل العقد : أى يكون سببا من جانبها لطلب ابطال العقد ، فان رضيت بقى العقد قائما ·

● والأولى بالسائلة ـ وهى الأم هنا ـ أن تترك ابنتها وزوجها فترة أخرى ولا تضيق عليهما بما يعقد حياتهما · والخير للانسان فيما يختاره الله ·

★ ★ ★

---

(١) الشورى : ٤٩ ، ٥٠ ·

٣٥ ـ حيرة بنت فى صلتها بأبيها لاحساسها بعدم العطف منه :

تقص احدى الآنسات وقد تخرجت من احدى الكليات الجامعية مشكلتها فتقول :

ان اباها انفصل عن والدتها فى سن مبـــكرة لها ، وبقيت مع والدتها فعنيت بها الى أن تخرجت من الجامعة • وتذكر لوالدتها انها رفضت الزواج عدة مرات كى تتفرغ الى تربيتها • ولا تذكر لأبيها الا انه سارع للزواج بعد طلاق امها ومن جامعية ، بعـد أن حصـل على مؤهل جامعى بفضـل معاونة والدتها له فى الحصول عليه ، والا انها كذلك لم تر منه اطلاقا ما تحس معه حنان الوالد وعطفه على ابنته طول المدة التى عاشتها حتى الآن •

وهى تسأل الآن ـ بعد أن تقدم لخطبتها شاب ترضى منه خلقه ورجولته ، وهو مهندس ، وقريب لوالدتها ـ هل تقبل الزواج منه ، رغم معارضة ابيها بسبب هذه القرابة • فقد بلغت من السن ومن الاستقلال فى الحياة ما يجعلها تحسن الاختيار • أم تتبع رأى ابيها رغم مقاطعته لها ؟

● مطلوب من الوالد ان ينظر الى المسألة هنا نظرة موضوعية • مطلوب منه أن ينظر الى الشاب المهندس الذى تقـــدم لخطبة ابنته والتى انتهت من التعليم الجامعى : هل له الصلاحية والأهلية لزواجها أم لا ، بغض النظـر عن قرابته أو عدم قرابته لأمها • فالنظرة الموضوعية هى الأقرب الى تحقيق ما فيه المصلحة لابنته •

ان ابنته وقد بلغت الثالثة والعشرين عاما من عمرها لا تنتظر الآن عملا تؤجر عليه ويتفق مع مؤهلها الجامعى بقدر ما تنتظر زوجا يشاركها الحياة ويكون معها أسرة جديدة هى ربتها • وهذا بحكم الفطرة البشرية • فصـدها عن الزواج بكفء لها ، كما تعتقد ، يثير فى نفسها الحقد على أبيها • لأنه منع عنها من ترضاه بسبب شخصى ، وهو كراهته لأمها واقاربها • ومصائر الشباب والأولاد لا يبت فيها بالعاطفة وحدها • كما يجسم هذا الحقد عندها : انها لم تر منه طول حياتها ما يدل على عاطفة الأبوة نحوها • فهى لا تذكـر له مرة واحدة أن سأل عنها ، أو جاملها بزيارة أو هدية ، أو عنى بشأن من شئونها وهى تلميذة أو طالبة ، وتذكر بالخير لوالدتها : اهتمامها بها ، وأنها كرست حياتها ووقفتها على تربيتها ، وحرمت نفسها من حيـاة زوجية أخرى تتطلع اليها عادة : من هو فى سنها بعد الطلاق •

اليس الأولى للوالد الآن : أن يكسب ابنته ، بعد أن لم تر منه فى الماضى الطويل صورة من صــــور العاطفـة الأبوية ، وبذلك يقنعها بأنها لم تزل فى

رعايته ؟• وسهل عليه أن يفعل ذلك ، ان هو تناول موضوع مستقبلها مع خطيبها المهندس بصورة جدية مجردة عن احساس الكراهية لأمها •

ان الاباء يجب ان يكونوا كبارا فى المعاملة لابنائهم ، وفى النظرة الى شئونهم •• يجب أن يبتعدوا عن ضيق الأفق ، والحساسية التى تسبب لهم ضيق الصدر •

● أما الحكم الشرعى الذى تطلبه السائلة منا هنا : وهو جواز عقد قرانها ، متجاوزة برأى والدها فى خطيبها هنا ، وبدون اعتماد على ولايته ، فرأى أبى حنيفة أنه لا يشترط الولى مطلقا فى عقد النكاح • ومعنى ذلك انهـا ليست فى حاجة الى موافقة والدها ولا الى ولايته فى العقد • بل لها أن توكل غيره فيه ، ولها كذلك أن تزوج نفسها ، لحديث : « الثيب أحق بنفسها » •• وتقاس البكر على الثيب فى الحكم هنا • ويؤول الحنفية من أجل ذلك ، الحديث الوارد عن عائشة رضى الله عنها فيما ترويه عن الرسول عليه السلام فى قوله : « لا نكاح الا بولى » •• بمعنى : لا نكاح كاملا الا بولى •

والفقهاء الذين يشترطون « الولى » فى عقد الزواج ، وكيلا عن الزوجة ، يقصدون التأكد فى صحة اختيار الزوج • فربما رغبة المرأة الملحة فى الزواج تدفعهـا الى سوء الاختيار وتضار به ، بعد ذلك ، والولى فى الزواج هو الأب وان علا والابن وان نزل الى آخر عصبة الميراث •

وهكذا : لا تحتاج السائلة الآن : بناء على رأى الحنفية ــ فى اتمام عقد قرانها على من ترضاه ، الى الوالد سواء فى ابداء رأيه ، أو فى الولايـة عنهـا •

ولكن علاج الأمور الأسرية ــ ومنها الزواج ــ يجب أن يستهدف دائما : ترابط أفراد الأسرة ، وابقاء المودة والمحبة بينهم • فقد يكون رأى الفقـه ــ كما هنا ــ علاجا للشرعية والاباحة • ومع ذلك هل لو عقدت السائلة الآن قرانهـا وتركت الأب فى موقفه وفى نظرته الى خطيبها ، تكون قد حافظت على ترابط الأسرة والمحبة بين أفرادها ؟ ان الجواب بالقطع : لا •• ولذا يجب السعى من جانب السائلة لاقناع والدها بخطيبها ، كما يجب من جانب الوالد : أن يتفهم وضع ابنته بعد أن انتهت من الدراسة وتعيش الآن مع أمها • يجب أن يفهم أنها تريد الآن أن تعيش مع رجل فى الحلال كما يقال • فاذا سمت السـائلة وسمى أبوها الى ما يجب على كل منهما ، يضيف كل واحد منهما عندئذ الى « الشرعية » فى فقه الفقهاء : ما يقوى العلاقة بينهما ، وبالتالى ما يقـوى

روابط الأسرة والمحبة بينهما وبين أبيها . وكذلك مستقبلا بينهما وبين خطيبها وربما مع أمها كذلك ٠

★ ★ ★

٣٦ ــ أم تدعو ابنها لتطليق زوجته ، رغم حبه لها :

أحد المواطنين ٠٠ متزوج ، وله أربعة أولاد من زوجته ، وتسكن أمه معه ومع زوجته ٠ والأم تهدده بالخصام والمقاطعة الى يوم الدين ، ان لم يطلق زوجته اذ انها لا تحبها ، رغم أنها بنت اخيها ٠

ويسال الآن وهو في حيرة من امر نفسه : أيمسك عليه زوجته لأنه يراها ذات صلاحية كما يراها طيعة ، أم يسرحها ويطلقها ارضاء لأمه ؟

● مثل هذا الزوج السائل كثير في حياتنا الشرقية ٠ ومشكلته مشكلة لا تنتهي ، ولا يعتقد أنها ستختفي من حياتنا في القريب ٠ لأننا نتوارثها جيلا بعد جيل ، ولا نقف عندها قليلا ونصل الى حل لها بعد تحليل عناصرها . وتوضيح نظرة الاسلام الى الزوجة والزوجية ٠٠ والى علاقة الولد بأمه او بأبويه معا ٠ هناك اذن نوعان من العلاقة ٠ ولكل نوع منهما مسئولية :

● نوع العلاقة الزوجية : ويحكم هذا النوع من العلاقة قوله تعالى : **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة »** (١) ٠٠ فالآية هنا تجعل هدف الزوجية الذي يجب أن يسعى اليه كل من الزوجين : السكنى والاطمئنان بينهما ٠٠ والمودة من جانب كل واحد للآخر ٠٠ والرحمة من القوى منهما للضعيف بينهما والزوجة لا تقل مسئولية عن رعاية أهل الزوج في بيته ، عن الزوج نفسه : « ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ٠ والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم ، وعبد الرجل (خادمه) راع على مال سيده وهو مسئول عنه ٠٠٠ ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (٢) ٠٠

والنوع الآخر من العلاقة : علاقة الولد بوالديه ، وبأمه ٠ ويحكم هذه العلاقة قوله تعالى : **« ووصينا الانسان بوالديه : حملته أمه وهنا على وهن**

---

(١) الروم : ٢١ ٠

(٢) كتاب التاج جـ ٣ بالامارة والقضاء ص ٤٩ ٠

وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك ، الى المصير ۰ وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من اناب الى » (١) ۰۰

فالولد مطلوب منه هنا فى هذه الدائرة مع الوالدين أن يحسن اليهما فى المعاملة وفى القول ، وفى المعاشرة ۰ ولكن طاعته لهما محدودة : لا تتجاوز الحلال الى الحرام ولا تتجاوز المباح الى المعصية ۰ ومعنى ذلك أنه لا يطيع امرهما اذا طلبا منه الشرك بالله أو اذا كان يخرجه عن سبيل من اناب الى الله ۰ والمنيب الى الله هو ذلك المؤمن به الذى يسلك فى حياته وفق أوامره ونواهيه ۰

وأم الزوج هنا اذا كانت تأمره بأن يطلق زوجته بينما هو يراها طيعة ، وذات أهلية للزوجية وتربية أولاده منها ، فانما تطلب منه أن يخالف سبيل من اناب إلى الله تعالى ۰۰۰ وتطلب منه أن يتجاهل أهداف الزوجية ومسئوليته عن الزوجة : أن يتجاهل السكنى والاطمئنان ، والمودة ، والرحمة بالزوجة ۰ ولذا يقال : ان طاعة الأبوين لا تراعى فى ركوب كبيرة ، ولا ترك فريضة على الأعيان ۰ وتلزم طاعتهما فقط فى المباحات ۰ فلا طاعة لهما فيما هو معصية لله ، كما صح ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ۰

والطلاق لا ينبغى الا لسبب شرعى ۰ وليس منه مجرد طلب الوالدين ۰ فانهما غالبا يكرهان الزوجة من غير شىء ۰ والحديث الذى يقول : « الجنة تحت اقدام الأمهات » يعنى فقط تكريم الله جل شأنه للأم ۰ ولكن لا يعنى اطلاقا : أنه يحل للأم أن تتجاوز الحدود ، وتنتهك الحرمات ، وتأمر بما يغضب الله ، وتهدد ولدها من وقت لآخر بما يضعه أمام صعوبات فى حياته ليس من السهل عليه اجتيازها ، كمشكلة طلاق الزوجة هنا ۰

وحكم الله هنا واضح وهو أن الزوج عليه واجب نحو زوجته أمام الله ، وليس أمام أمه ۰ والذى سيحاسبه على مسئوليته هو المولى جل جلاله ، وليست أمه ۰ فالزوجة الصالحة الطيعة نعمة من الله ۰ وشكر الزوج على نعمة الله عليه هنا ، هو امساكها والعمل على الاحسان اليها كزوجة ، وكأم ، وكراعية لبيته ۰

وآن الأوان لأمه ، وللوالدين ، وللمتسلطين على رقاب العباد : أن يعلموا أن ما جاء فى كتاب الله هو وحده هداية للناس جميعا ، وأنه السبيل السوى

---

(١) لقمان : ١٤ ، ١٥ ۰

لرضاء الله ، وأن « الأنانية » و « حب الذات » و « كراهية » الآخرين هى طريق الشيطان ·

آن للأم أن تلتزم الصمت فى شأن زوجة الابن ، وأن لا تتدخل الا بالمعروف والا بما يعيد العلاقة بين الزوج وزوجته الى الوضع الطبيعى · آن لها أن تفهم ان معاملة ولدها لها بالحسنى أمر مقرر شرعا لا نكران له فى شىء ، كما آن لها أن تعلم أن المستقبل للزوج وزوجته والأولاد منهما ، وأنها هى ضيفة عليهما فقط · ولذا يجب أن تعرف حدود الضيافة ، وأن تمارس النصح لهما فى هذه الحـدود ·

ان الزوج ولدها لا شك فى ذلك · ولكنه أصبح زوجا لغيرها · فلتسلك المسلك معه ومع زوجته الذى يجعلها تحس : بأنه انتقل الى غير ذراعيها وأصبحت مسئوليته تتجه الى انسان آخر · هو انسان المستقبل فى حياته ·

كفى للأمهات أنهن مارسن « الأنانية » فى سن الطفولة لأبنائهن ، وفى سن المراهقة · فليتركن لهم الاختيار والحرية فى صياغة أسرهم الجديدة بما يعود عليهم بالخير والمصلحة · والله ولى التوفيق ·

★ ★ ★

٣٧ ـ زوج يسىء معاملة زوجته عن طريق أولاده من غيرها :

تسأل سيدة باحدى المحافظات :

هل يحق لها طلب الطلاق من زوجها الذى رضيت بالزواج منه ، ومع علمها بانه له أربعة أطفال من غيرها ، بناء على اساءتهم اليها ونظرتهم لها على أنها البديل عن الخادمة فى المنزل ، وقد اتضح لها ان هذه الاساءة من الأولاد ـ كما تذكر السائلة ـ بوحى من ابيهم · وقد كانت ترجو أن احسانها فى تربيتهم : سيقابل بالشكر على الأقل من الزوج · وليس لها من الجزاء الحسن الا ما ينتظرها من الله جل جلاله ·

● ان السائلة عندما قبلت الزواج من زوجها كانت تعلم المشكلة التى ستواجهها وهى ليست مشكلة القيام بشئون الزوج · وانما مشكلة « الملاءمة » بينها وبين أولاده معها ومعه : كيف تحتفظ بميوله الطيبة نحوها ·· فلا تتأثر يوما ما بعواطفه نحو أولاده ··· كيف تبقى زوجة تحس بحب زوجها وبحب أولاده لها ، معا ؟ واحتفاظها بعواطف الزوج نحوها كان يقوم فى نظرها على

أمل : أن الزوج سيشاركها الرأى فى توجيه الأولاد وأنه من جانبه سيقوم بتنفيذ الرأى نحوهم الذى سيتفقا عليه معا · وبذلك تسهل مهمتها تجاه الاولاد · ولكن يبدو أن الزوج دخل فى علاقته بأولاده بثقل « العاطفة » الأبوية فتحيز لهم، وسمع منهم · وهم من جانبهم أحسوا بالعاطفة المتميزة من أبيهم نحوهم فتدللوا . وافتروا بالتالى كذبا على زوجة أبيهم عندما يتحدثون معه عن علاقتهم بها كى يحملوه على المزيد من التحيز فى عواطفه وفى تصرفاته ·· وبقدر ما يتحيز الأب لأولاده بقدر ما يتحيز ضد الزوجة ، حتى تصبح فى نظره ونظر أولاده : العدوة لهم فى الأسرة ·

وبدلا من أن يكاشف الزوج زوجته بالأمر ، فى غيبة الأولاد طبعا ، وبدلا من أن يتفاهم معها ويساندها فيما تحتاج الى مسندته ، ويرشدها الى الخطأ فى التوجيه ان اتضح لهما معا : أن هناك خطأ ، يوعز الى الأولاد فى غيبة زوجته ، بأن يواجهوها بالاساءة وبأن يتحاملوا عليها ويغلظوا لها القول فى ردهم عليها · فاذا اشتكت له الزوجة سكت دون أن يعتذر عنهم ، وربما رد عليها بما يجعلها تحس : أنها لم تعد زوجة لها حقوقها فى منزل الزوجية وفى معاشرة الزوج ، وعندئذ لا تفكر الا فى أمر واحد ، وهو طلب الطلاق دفعا للضرر · وهى لا تطلب الطلاق الآن لتثير رغبته فى الاحتفاظ بها ولكن لتتخلص مما هى فيه من وضع · فلا هو وضع الأم ·· ولا وضع الزوجة مع الزوج ·· ولا هو وضع المربية مع الأولاد ·· بل أشبه بوضع المستأجرة لتدبير المنزل : توجد اليوم ·· وتخرج غدا ·

● ان للسائلة أن تطلب الطلاق تجنبا للضرر وللحرج الذى هى فيه الآن ·· ان لها الحق فى أن تختلع · والخلع هو الطلاق من الزوج أو من القاضى عنه فى مقابل تنازل الزوجة عن المهر كله أو بعضه ·· وقد جاء الاذن بذلك فى قوله تعالى :

« ولا يحل لكم (وهو خطاب للأزواج) أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا (اى من المهور) الا أن يخافا الا يقيما حدود الله،

فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به » (١) ··
ويروى فى تطبيق ذلك ــ على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ــ عن ابن عباس رضى الله عنهما : « أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : ما أعتب عليه من خلق ولا دين ·· ولكنى أكره الكفر

---

(١) البقرة : ٢٢٩ ·

فى الاسلام ٠٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم ٠ قال : « اقبل الحديقة وطلقها تطليقة » ٠٠ فقيس بن ثابت طلق امرأته طلقة واحدة فى مقابل رد الحديقة اليه التى كانت مهرا لهـا ٠ وهـذه الطلقة طلقة بائنة ٠ أى لا يجوز للزوج أن يعاشرها الا بمهر وعقد جديدين ٠ وعدة المختلعة حيضة واحدة أو شهر واحد ٠ وجعلت الطلقة الواحدة هى بائنة حتى لا تجوز مراجعتها ٠ فحال بينها وبين زوجها طالما كانت كارهة ومتضررة بمعاشرته كما جعلت عدتها شهرا واحدا للتخفيف عليها وتيسير الأمر عليها فى زواجها من آخر بعد مدة غير عادية ٠

● ولكن هل من السهل على الزوجة أن تاخذ القرار ، وتطلب التفريق بينها وبين زوجها ؟ ان هذا القرار ليس سهلا عليها ، رغم تضررها فى بيت الزوجية بسبب اساءة الأولاد لها وسكوت الزوج على الأقل على هذه الاساءة، ان لم تكن بتحريض منه ٠ والزوج عليه أن يراجع نفسه لمصلحته أولا كزوج ، وكوالد ، ولمصلحة أولاده كذلك ٠٠ والحكمة تقضى بأن يتدخل فى الأمر ليحفظ على الزوجة كرامتها ويعيد علاقته بها على نحو خير مما هو عليه الآن ٠

انه ان لم يتدخل ، هو الخـاسر ٠٠ والزوجـة لها الله ٠٠ ونحن ننصح بتدخله بالحسنى ، وباتباع الحكمة والتريث فى معالجة شئون أسرته ٠

★ ★ ★

٣٨ ــ موظف مدمن على التدخين يرهق اباه ، رغم مسئوليته الكبيرة نحـو اخوته :

يذكر مواطن ــ بالقاهرة :

انه على المعاش الآن ، ويتقاضى من معاشه عشرة جنيهـات فى الشهر ، بجانب دخل صغير من عمل اضافى يمارسه ٠

واسرته تتكون من عشرة اشخاص ٠

منهم ثمانية قصر ، وبينهم فتاة مقبلة على الزواج ٠

وولد يعمل ، ويدرس ٠ وعمله يمكنه من الاستمرار فى دراسته ،

وولد آخر يبلغ الخامسة والعشرين من العمر ، كما يبلغ مرتبه الشهرى خمسة وعشرين جنيها ، ينفق منها عشرة جنيهات شهريا على التدخين ٠

وهذا الأخير يطالب والده بمساعدته على الزواج . والوالد يرى فى مساعدته على الزواج حرجا فى الانفاق على أولاده القصر بعد ذلك ، وحرجا آخر فى تجهيز ابنته ويسأل : ما حكم الاسلام فى ذلك ؟

● الوالد – فى هذا السؤال – يفكر فى أولاده جميعا ويهتم بهم دون نفسه ، فالأمر الذى يشغله هم الأولاد أولا .

والولد الأكبر – وهو الموظف – يفكر فى ذاته أولا دون والده واخوته . والأمر الذى يشغله كيف يدبر مستقبل حياته ، ولو بنفقات اضافية على حساب مستقبل اخوته الصغار وأبيه الضعيف .

والفجوة بين الطرفين فى هذه المشكلة فجوة واسعة . والوالد لايستطيع أن يخطو خطوة ولو صغيرة للقاء ولده الأكبر الطالب مساعدة والده له فى الزواج . لأن حرج الوالد يبتدىء عندما يبتدىء السير نحو هذا اللقاء . واذن الذى عليه ان يتحرك خطوات للقاء الوالد هو الولد الموظف . وتحركه فى السعى – ولو مؤقتا – نحو اكتفاء ذاتى فيوفر أولا : العشرة جنيهات التى ينفقها كل شهر من مرتبه البالغ خمسة وعشرين جنيها وبذلك يحقق شيئين : ترك عادة التدخين . وهى عادة سيئة تهدد صحته ، كما تهدد استقلاله . فترك العادات السيئة يجعل استقلال الانسان عن الخضوع لهذه العادات وعن هواه ، حقيقة واقعة . فلا يعمل تحت تأثيرها ، فيتلون عمله بمزاجه ، ويتبع انتاجه كما وكيفا لمدى تأثيرها عليه .

والانسان المستقل فى حكمه ، وتقديره ، وفى عمله ، وانتاجه ، هو انسان صالح للحياة ، ومؤهل للقيادة السليمة . وهو يختلف تماما عن هذا الولد الموظف الذى لا يرى فى حياته الا اتباع عادته ، وهواه ، استجابة لأنانيته .

واذا وصل الولد الى الاكتفاء الذاتى ، فقد يرى تأخير الزواج لفترة أخرى الى حين اكتمال التنشئة لأخوته القصر أو زواج شقيقته . وعندئذ يستطيع الوالد أن يعينه على تحقيق رغبته فى الزواج ، مما كان ينفقه على أبنائه الصغار .

وربما يستطيع واحد منهم أو أكثر أن يشارك فى مساعدته بصورة ما ، كما هى العادة بين الأخوة فى الأسرة الواحدة .

واكتفاء الولد الموظف ذاتيا هو أدنى ما يجب منه فى هذه الفترة نحو أخوته وأبيه . ثم ان الزواج للشاب يطلب اذا كانت له امكانيات الأسرة فى

الانفاق على الزوجة ، وفى معاشرتها · فاذا لم تكن له القدرة على الانفاق عليها فليمارس الصوم من وقت لآخر · وهو معنى الحديث الشريف : « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة (وهو مؤن الزواج من الانفاق والقدرة على المعاشرة الزوجية) فليتزوج · ومن لم يستطع فعليه بالصوم · فانه له وجاء (أى وقاية) » ·

والشباب قبل الاقدام على الزواج ، والنسل ، وحمل أعباء الأسرة والأولاد : مدعو الى تنمية ذاته أولا بالاستمرار فى التزود بالمعرفة ان كان صاحب ثقافة خاصة ، أو بالتدريب ان كان صاحب مهنة أو حرفة ، أو بالسعى والحركة المدروسة ان كان صاحب تجارة أو صناعة · وبذلك يشغل نفسه فترة أخرى قد تطول قبل أن يختار زوجته وتكوين أسرة له · فاذا سعى الآن للزواج بعد تنمية ذاته فانه يسعى وهو مطمئن ·· وهو مستقل عن أية تبعية أخرى · وسعيه كذلك الى الزواج فى هذا الوقت سعى قائم على التروى ، ليس للانفعال أثر يذكر فيه ·

ولكنها العادة هنا فى مجتمعاتنا التى لا تترك للشباب فرصة بعد التخرج من الجامعة ، أو بعد انهاء الدراسة فى أى مستوى : يفكر فى مراجعة أمر نفسه وموقفه فى الحياة مستقبلا · فكما يقدم فى سهولة له : العمل بعد التخرج الذى يؤجر عليه ــ أى نوع من العمل ·· وأى أجر يؤجر عليه ــ ينتظر أن تقدم له الزوجة كذلك فى سهولة يتكفل بها والده ، كما قد يتكفل بمساعدة اضافية تعينه على الاحتفاظ بأسرته الجديدة ·

ان الشباب فى مجتمعاتنا فى حاجة ماسة لدخول مجال « التجربة » فى الحياة ·· يترك فيها وحده : يختار ميدانها ، ويستخلص منها وحده الطريق الى مستقبله · أما أن يتخرج وينتظر من غيره أن يسند اليه العمل ، حكومة أو خلافها ·· ثم ينتظر من غيره أن يزوجه والدا أو سواه ··· ثم يترقب من غيره كذلك أن ينفق على أهل بيته ذا قرابة قريبة أو بعيدة ·· ثم ينتظر أخيرا من غيره أن يكون بجانبه : رئيسا أو صاحب جاه : فذلك يبقيه دائما فى مرحلة الطفولة الانسانية ، وقلما يكون يوما ما انسانا رشيدا ·

والأخ السائل : عليه أن يواجه الآن ابنه الأكبر الذى يريد المساعدة على الزواج : بأن يقول له : عليك أن تسعى بنفسك لتكون رجلا يحل مشاكله بطاقته وارادته وتدبيره هو ، بعد أن بلغت ، وتخرجت · واتركنى لأخوتك فانهم أحوج الى منك ·

★★★

٣٩ـ سوء الظن بالزوجة . بعد عشرة طويلة :

بعد عشرة زوجية دامت ثلاثين عاما يتهم الزوج زوجته بالخيانة الزوجية . مع كثيرين ، حتى مع زوج ابنته ، ولهذا ـ كما تقول الزوجة : صاحبة السؤال ـ امتنعت عن معاشرته كزوجة ، فلا تنام ولا تجلس معه بعد أن أقسمت على المصحف : أنها بريئة مما يدعيه ٠٠

وتسأل الآن عن حكم الشرع في موقفها منه : هل هو حلال أم حرام ؟

● ليس من الحكمة أن يعلن الزوج اتهام زوجته بالخيانة الزوجية على نحو ما تذكر الزوجة فى سؤالها هنا ٠ فاعلان ذلك فى الأسرة كفيل بأن يقوض الحياة الزوجية وحياة الأسرة كلها فى المجتمع الذى تعيش فيه ٠

والأمر على أية حال قذف بالزنا من الزوج لزوجته ، وليس بينهما شهود الا ما يدعيه كل منهما نحو الآخر ، فالزوج يدعى صدقه فيما يقوله ٠ والزوجة تدعى كذبه فيما يتهمها به ٠ والاجراء الشرعى بينهما تجنبا لعقاب الله فى الدنيا والآخرة أن يقسم الزوج بالله أربع مرات على أنه من الصادقين فيما يدعيه ثم فى اليمين الخامسة يقسم على أن عليه اللعنة من الله ان كان من الكاذبين ٠

وعندئذ ينتقل الأمر الى الزوجة فهى مدينة الآن ما لم تقسم بالله أربع مرات على أن زوجها كاذب فى ما يدعيه ، وفى المرة الخامسة على ان عليها غضب الله ان كان من الصادقين ٠

واذا أقسم كل منهما على نحو ما ذكر هنا ، تجنب العقاب فى الدنيا من الحاكم المسلم اذا كان يطبق حدود الله ٠ ويبقى بعد ذلك حق الله فى عذاب الكاذب منهما فى الآخرة ٠

وليس من السهل أن يقذف الرجل زوجته بالزنا ثم يعود الى معاشرتها بنفس راضية ٠ وليس من السهل أيضا على الزوجة أن تواجه من زوجها بالاتهام بالزنا مع كثيرين ومع من هم من أشد أقربائها كزوج ابنتها ، ثم تسأل بعد ذلك عن عودة معاشرته جنسيا : أهى حلال أم حرام ؟

ان الأمر فى حقيقته قد يكون صدى لنزاع نفسى بين الزوج وزوجته ٠٠ قد يكون اتهامها بالخيانة الزوجية تعبيرا عن شدة غضبه منها ٠ فهو يريد أن يهينها ردا منه على اثارته بما يجرح كرامته كرجل فى علاقته الزوجية بها ٠ اذ ليس هناك أقسى على نفس الزوج من أن تعيب عليه زوجته نقص الرجولة

فيه عندما تتراخى المعاشرة الزوجية بينهما فترة طويلة ، وتنقطع لسبب من الأسباب ٠

لكن اذا كان الأمر بينهما لا علاقة له بالخيانة الزوجية . فنزول الزوج فى اهانته لزوجته الى مجال الاتهام بالخيانة الزوجية هو لعب بالنار ، ففوق أنه تجريح لكرامة زوجته ولعلاقتها بمن يتهمهم معها ، هو تجريح كذلك له فى بقائه معها فى علاقة زوجية ٠ والحمقى من الأزواج هم الذين يعرضون علاقاتهم بأزواجهم : الى مثل هذا التجريح ، وبالتالى يعرضونها الى التصدع والكسر ، بحيث لو بقيت بعد ذلك تبقى دون أن تعود الى ما كانت عليه من بهاء وجمال ٠

والسائلة الآن أدرى بحقيقة الأمر ٠ وعندئذ اذا كان الوضع بينهما مبالغا فيه ولا يعدو أن يكون ثورة نفسية دفعتهما الى هذا الخطأ الفاحش فى العلاقة بينهما فليس من مانع شرعا : أن تعود الى معاشرة زوجها ٠ بل مقاطعتها اياه عندئذ يبغضها الاسلام ، كما جاء فى الحديث الشريف ، عن أبى هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع » ٠٠

والاسلام فى الحل والحرمة فى العلاقة بين اثنين يعتمد على العامل النفسى وضمير الانسان ، قبل كل شىء آخر ٠

★ ★ ★

٤٠ ــ زوج يهمل زوجته وأولاده بسبب زوجة أخرى :

يسال أحد التجار عما يأتى :

تزوج رجل بزوجة ثانية ، وترك زوجته الأولى وأولاده الثلاثة منها تعيش مع أبيها فى بلد آخر غير بلده ، واهملها وأولادها فى الانفاق والرعاية منذ عشرة اشهر حتى الآن ٠ فلما طولب بالنفقة اشترط أن تنتقل من منزل والدها الى منزل آخر فى البلدة التى يقيم فيها والتى فيها زوجته الجديدة ٠ ولم يوافق والدها على هذا الشرط ، طالما لا يعطيها حقها كزوجة فى المعاشرة الزوجية٠ فمن هو المخطىء منهما : زوجها أم أبوها ؟

● الخلاف بين الزوج ووالد الزوجة هنا يعود الى اختلاف نظرة كل منهما الى العلاقة الزوجية والمحافظة على الأسرة ٠ فالزوج يرى أنه طالما ينفق على زوجته وأولاده فقد هيأ للزوجة الجو السليم فى نظره كما هيأ للأولاد جوا صحيحا لنموهم وتربيتهم الانسانية ٠ فالمال فى نظره هو

الأساس فى بناء الأسرة واستقامة افرادها ، وبعدهم عن الحقد ، واحساسهم بالراحة فى الحياة ٠

● بينما والد الزوجة يرى أن الجو السليم للزوجة والأولاد معا فى أسرة ما هو جو نفسى قبل كل شىء ٠ وهذا الجو لا يتحقق الا بتردد الرجل وهو الزوج على زوجته وأولاده واعطائهم من نفسه ما يحسون معه بالوقاية والحماية ، كما يشارك زوجته على الأقل فى توجيه الأولاد توجيها مثمرا : والزوجة لا تشعر بالأمان أو بالحماية والوقاية الا اذا كان زوجها واثقا فيها وهى واثقة فيه ٠ والثقة لا تتكون عند الطرفين الا اذا كان وضع العلاقة الزوجية بينهما وضعا يوحى برضاء الزوجة ومسرتها عند اللقاء بزوجها ٠ أما المال وان كان هو عصب الحياة فى الانفاق على احتياجات الأسرة ، الا انه لا يغطى متطلباتها فى النواحى العديدة للحياة الزوجية وبالأخص الناحية النفسية ٠

وهكذا اختلاف الزوج ووالد الزوجة هو فى النظرة الى العلاقة الزوجية : هذا يراها فى الجو النفسى للحياة الزوجية ، وذاك يراها فى جانب مادى وهو القيام بأداء النفقة ٠

● وما يراه والد الزوجة هنا قريب مما يجعله الاسلام غاية للزوجية ٠ فالله اذ يقول : « **ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** » (١) فحدد هدف الزوجية : فى السكنى ، أى الاطمئنان النفسى ، وفى مودة كل منهما للآخر ، وفى رحمة القوى منهما للضعيف فيهما ٠ ولا شك هنا أن الزوجة هى الطرف الضعيف لحاجتها الى الزوج فى الحماية والرعاية لها ولأولادها ٠

وقد جاء توضيح حق الزوجة على الزوج فيما يرويه هنا معاوية القشيرى : أن رجلا سأل الرسول عليه الصلاة والسلام عن حق المرأة على الزوج فقال :

« تطعمها اذا طعمت ،
وتكسوها اذا اكتسيت ،
ولا تضرب الوجه (أى عند التأديب) ،
ولا تقبح (أى لا تقل لها قبحك الله) ،
ولا تهجر الا فى البيت » ٠٠

---

(١) الروم : ٢١ ٠

واسكان الزوجة وحدها مع أولادها دون أن يتردد عليهـــا الزوج ولو كانت في البلد التي يسكنه : نوع من الهجر المنهي عنه هنا · فواجب الزوج اذا كان متزوجا بأخـرى غير أم أولاده أن يقسم بالعـدل بين الاثنتين في المبيت عندهما ، وان كانت محبتـه لاحداهما قد تكون أكثـر من الأخـرى · فالزوج يسأل فقط عن العدل بين الزوجتين فيما يملك · وأما فيما لا يملك كالمحبة فهو غير مسئول عن « الميل » فيه · ولكن بحيث لا يبلغ مبلغ الظـالم للأخرى · اذ الزوجة التي يميل زوجها عنها كل الميل يكون أمرها معلقا : لا هي زوجة ولا هي مطلقة · وهذا النوع من العلاقة يدخل في دائرة العذاب الذي لا تحتمله امرأة كانسان لها أحاسيس وعواطف ، وقبل هذه وتلك لها : كرامة واعتبار بشري · وهنـا جاء النهي عن الميل الجارح لكرامة المـرأة في قوله تعالى : « **فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة** » (١) ·

ويؤثر القرآن الكريم على هذا الوضع بين الزوجين : الفرقة بينهما ، والله وحده عندئذ هو الكفيل بتدبير أمرهما : « **وان يتفرقا يغن الله كـــلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما** » (٢) ·

ان الاسلام غير ملوم اذ يرخص بتعدد الزوجات لأنه يريد دفع المشقة والعنت على من له حاجة من الرجـال الى امرأة أخـرى ، ولكن الملوم هو الانسان الذي يمارس هذه الرخصة ممارسة تنطوي على ظلم لغيره وهو الزوجة الأخرى ·

أن للمسلم أن يعرف أن احترام الاسلام للانسان هو الذي وكل أداءه للأمانة والواجب الى ضميره وخشيته من الله ، وليس الى هيئـــة أو رقابة خارجية تشرف عليه : « **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتـاب من قبل فطـال عليهم الأمـد فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون** » (٣) صدق الله العظيم ·



---

(١) النساء : ١٢٩ ·
(٢) النساء : ١٣٠ ·
(٣) الحديد : ١٦ ·

٤١ ـ الزواج ايجاب وقبول :

تذكر آنسة باحدى المحافظات :

أولا : انه فى يوم خطبتها لخطيبها لم يحضر أحد من أهله ، وحضر امام المسجد ، وفى بعض الأحيان يقوم بأعمال المأذون الشرعى · وتقول : انه القى كلمة فى هذه المناسبة تقال عادة عند عقـد القرآن · وأخـذ خطيبها من هذه الكلمة انه أصبح زوجا لها وهى تسأل الآن :

أصحيح انها اصبحت زوجة لخطيبها وأصبح هو زوجا لها ، بناء عـلى كلمة امـام المسجد التى القـاها ؟ وهل يجوز لهما معا أن يكونا فى خـلوة وحدهما ؟

ثانيا : تقول ان جارة لها فى المنزل الذى تسكنه ، دخلت بزوجها منذ شهرين ، وأسرتها وأسرة زوجها تسكنان معا مقابل بعضهما بعضا فى المنزل · والأسرتان على خـلاف قبل الدخـلة ، ثم ازداد الخلاف بعـد دخول الزوج بزوجته ·

وعندما اشتد الخلاف بين الأسرتين حلف الزوج بالطلاق على زوجته : أن لا تكلم أى فرد من أفراد أسرتها ، فأطاعته ، علما بأنها تسكن مقابل أهلها وأهله ·

ثم حدثت معركة بين الأسرتين · ورأت الزوجة : أن زوجها يعذب أباها فى الشارع فما كان منها الا أن أسرعت الى النزول الى الشارع وأنقذت أباها فنهرها زوجها ومنعها من العودة الى منزل الزوجية ، وحال بينها وبين أخذ ملابسها ، وتركها فى الشارع من غير وقاية وكل ذلك بناء على رغبة أهله ·

والزوجة الآن فى منزل والديها · وهى حائرة بين طرفين : بين الوالدين من جانب ، والزوج من جانب آخر · وكل من الطـرفين له حق عليها ، كما تذكر من القرآن والسنة الصحيحة ·

فهل تعود الى زوجها خشية تطليقها ؟ ولكن عندئذ تكون فى نظرها عاقة لوالديها · أم تبقى فى منزل والديها ، وعندئذ تحرم من النفقة ·· ومؤخـر الصداق ؟ وهل من حقها أن تأخذ الأثاث الذى لم يسدد ثمنه بعد ؟

● ان السؤال الأول للسائلة ، وهو ما يتصل بما يقوله خطيبها : أنه أصبح زوجا لها بناء على كلام امام المسجد الذى يقال عادة فى مناسبات عقـد

القرآن : يجب أن تسبقه اجابة منها ومن خطيبها على هذا السؤال ·

هل كان هناك ايجاب منها وقبول من خطيبها ؟ هل عرضت عليه بنفسها أو بولي أمرها أنها تزوجه نفسها على صداق قدره كذا . وعلى كتاب الله وسنة رسـوله ؟

هل كان هناك من خطيبها قبول لهذا العرض أو الايجاب . فرد بقوله : قبلت زواجك ·· أو قال لمن وكلته عنها ـ قبلت زواج موكلتك ، على صـداق قدره كذا . وعلى كتاب الله وسنة رسوله ؟

وهل كان هناك شاهدان من العدول ؟ وهل كان هناك ولي : أب ، أو أخ مثلا لمن عقد عليها اذا كانت بكرا ؟

ان كانت الاجابة على ذلك كله بنعم فالمخطـوبة أصبحت زوجة ويحل لخطيبها السابق أن يعاشرها معاشرة الأزواج لزوجاتهم ، فضلا عن أن يخلو بها في أى مكان شاء ·

● **والسؤال الثاني** : وهو الخاص بالجارة التى ساقها القدر الى أن تكون ضحية طرفين ترتبط بهما ارتباطا شديدا ، فى حياتها · وهذا السـؤال يتضمن عدة عناصر :

١ ـ الخلاف بين أسرتى الزوجين ، وانعكاسه على العـلاقة الزوجية بينهما ·

٢ ـ تصرف الزوج ، أو الزوجة تحت تأثير هذا الخلاف ، ومداه فى الغلظة والقسوة ·

٣ ـ تفكير أحد الزوجين فى حقوق الآخر ، دون اهتمام من الآخر بهذه الحقوق ·

٤ ـ شدة الاهتمام بالجانب المادى : كمؤخر الصداق ·· والنفقة ·· والأثاث عند مراجعة العلاقة الزوجية ، على الجانب الانسانى : من حسن المعاملة ، وحسن الخلق ، وكرم السلوك والتصرف ·

● سبق لنا أن طـرحنا في الاجابة على بعض الأسئلة الواردة الينا : أن الخلاف بين أسرتى الزوجين فى الشرق الاسلامى ينعكس انعكاسا واضحا ،

وقد يكون عميقا على العـــلاقة بين زوجة من هـــذه الأسرة ، وزوج من تلك الاسرة · وقد ينتهي هذا الانعكاس الى الفـرقة بين الزوجين والى أن يفقـد الأبناء منهما : الحنان في الطفـولة والتوجيه الحسن في الطفولة المتأخـرة وفي سن المراهقة · وهذه ظاهرة تدل على عدم النضوج في مجتمعاتنا وفي ترابط الأسرة فيها · كما تدل على عدم الاستقلال الذى يجب أن يعتبر سـببا رئيسيا في الاقبال على تكوين أسرة جديدة غير أسرة الآباء والأمهات السابقة فليس الزواج علاقة جنسية ، ولا انجاب ولد فقط · وانما الزواج صلاحية لبناء أسرة ، وتوجيه هذه الأسرة وحمايتها من الأخطار وفي وقت الأزمات ، ليس بالعضلات ، وانما بالسعي الدائب ، والفكر ، والتريث ·

وأما التصرف الذى تحـكى عنه السائلة هنا ، وهو من الأسف تصرف الزوج ضد زوجة استضعفها ، أو ضد زوجة وضعها القدر بين حب زوجها والوفاء له ، وقـرابة الـدم بينها وبين أهلها ، وبالأخص أبيهـا : فهو تصرف غير انساني ، وغير اسلامي ، وغير كريم :

(أ) ما معنى أن يحلف زوجها الطلاق عليها : أن لا تكلم فردا من أفراد أسرتها والأسرة تسـكن في مواجهتها في نفس المنـزل ؟ أذلك تحتمله النفس البشرية ؟ أحقا يكون سعيدا في نفسه لو رأى زوجته لا تكلم أهلها ؟ ·

(ب) ما معنى أن يحول بينها وبين أن تعود الى منـزل الزوجية ، اذا هي أنقذت أباها وهو قطعا كبير السن عن زوجها ــ من يديه هو ــ وهو يهينه على الأقل على مرأى ومسمع المارين في الشارع ؟ انه أب زوجته · أليس له في نفسه احترام الزوجة ان كان لها احترام في نفس زوجها ؟ أليست هناك بقية محبة للزوجة في نفس زوجها تجعله يشفق على أبيها ؟ ·

ما معنى أن لا يسمح لها بأن تأخذ من ملابسها ما تحتـاج اليه ، طول اقامتها عند والديها ، وقد حال بينها وبين أن تعود الى منزل الزوجية ؟ هل الزوج الكـريم على نفسه ·· هل الزوج الانسـان يقبل أن يترك زوجته في الشارع وليس لديها ما يقيها من نظرات الناس اليها على الأقل ؟ ·

أما تصرف الزوجة نحو زوجها فهو تصرف الحائر :

فتقول كيف أجمع بين رضـاء والدى وقد أوصاني القـرآن بالاحسان اليهما ، وبين زوجي وقد قرأت هذا الحديث ، نقلا عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، لعظم حقه عليها » ··

انى اجيب عن سؤالها بالنسبة لما روى عن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ، واقول لها : ان الحـديث يتحـدث عن الزوج الانسان ·· عن الزوج المحسن فى عشرته وفى فراقه على السواء ·· عن الزوج الكريم المطيع الذى يقدر زوجته حق قدرها ·· الذى يتخذ من زوجته الرفيقة والناصحة ، والأمينة · فهى الأمينة على أهل بيته وعلى ماله ، وعلى كل شىء من شئونه فلا تنزعجى · فهذا الحديث ليس لأمثال زوجك ·

(ج) وأرى السائلة يراودها التفكير فى العودة الى زوجها من أجـل مؤخر الصداق ، ومن اجل النفقة ، ومن أجل الأثاث الذى لم يدفع ثمنه حتى الآن ·

ومن الأسف الشديد أن كثيرا من سيداتنا يفكرن فى الجانب المـادى فى علاقتهن بأزواجهن اكثر من التفكير فى الجانب الانسانى · يجب أن يفكرن اولا فى الجانب الانسانى · ما قيمة مؤخر الصداق والحـرص عليه ، اذا كانت الزوجة مهانة ومستذلة ، ومستضعفة عند زوجها ؟ · وما قيمة النفقة لبعض الوقت اذا كانت تعامل من زوجها كتلك الزوجة التى تسأل الآن عن حقـوق زوجها وعن مؤخر الصداق والنفقة ؟

يوم أن يدعو الاسـلام الى الحـرص على الزوجـة الصـالحة والزوج الصالح ــ يستهدف الحرص على الجانب الانسانى فى المعاملة عند الزوجة وعند الزوج ·

ومن الأسف كلما تدعو المرأة الى التحرير . والى مزيد من العمل خارج المنزل ، كلما تفقد من هيبتها ، وكلما تعرض نفسها للمساءلة عن الحسـاب والأجرة ، وعلى مضى الأيام تفقد كثيراً من الأنوثة وتركب المركب الشاق بعـد ذلك للوصول الى قلب الرجل وهيهات ·

● أيتها الجارة السائلة : بلغى صديقتك التى هى فى أزمة الآن من أجل زواجها القصير التعس : انها اذا لم يكن لها ولد من زوجها فلتبق عند والديها ، ولتصبر حتى يعرف زوجها بابها ، ويقدم عليه فى احترام لوالديها أولا ، ولها ثانيا · فان لم يتم هذا ··· فليتفرقا ، وليغن الله كلا من سعته ·

★★★

٤٢ ـ زواج المتعـة :

يسأل أحد المواطنين ـ عن زواج « المتعـة » :

١ ـ هل هو لمدة محدودة ؟

٢ ـ ما مصير الطفل الناتج عن هذه الزيجة ؟

٣ ـ هل يتم هذا الزواج بلفظ « الهبة » ؟

● فى العهد الجاهلى ، وهو العهد السابق على الاسلام ، كانت هنـاك عدة أنواع معروفة من العلاقات بين الرجل والمرأة ٠ وكانت تمارس فى غير حـرج :

١ ـ كان هناك الزواج الذى يقره الاسلام الآن ٠ وهو الزواج القـائم على الايجاب من المرأة ، أو ولى أمرها ٠٠ وعلى القبول من الرجل أو ولى أمره ، مع وجود شاهدين ، وبعد خطبة رأى فيها الرجل من المرأة ما جعله يقبل على زواجها ، ورأت فيها المرأة من الرجل ما جعلها تقبل على زواجه ٠

٢ ـ وكان هناك ما يسمى بنكاح « الشغار » ٠ وهو أن يزوج الرجـل : ابنته ، أو أختـه لرجل آخر على أن يزوج هذا : ابنته أو أخته كذلك ، لذاك الرجل الأول ، دون أن يكون هناك صداق أو مهر للمرأة هنا أو هناك ٠

وقد رفضه الاسلام ٠ لأنه يرى فيه : أنه حول المرأة الانسان الى أن تكون بمثابة المهر لامرأة أخرى ٠ وهذا خفض لمستوى الانسانية فى المرأة ٠

٣ ـ وكان هناك ما يسمى بزواج « المتعة » أى بزواج لا يقصد منه سوى استمتاع الرجل فترة من الزمن بالمرأة ، دون قصد آخر الى النسل أو الاطمئنان والمودة بين الطرفين ٠

وهو زواج مؤقت بمدة معلومة ٠ والأجل شرط فيه : كاليوم ٠٠ والسنة ٠٠ والشهر وكذلك المهر ويقدر بالتراضى ٠ فاذا انتهى الأجل المحدد وقعت الفرقة بين الاثنين دون طلاق ٠

وأهل السنة يرون بطلان هذا العقد ٠ لأنه قائم على التوقيت ٠ والتوقيت خلاف مقتضى عقد الزواج ٠ وهو دوام الزوجية ٠ والدليل على بطلانه : ما صح عندهم من حديث يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « يا أيهـا الناس انى كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء ، وأن الله حرم ذلك الى

يوم القيامة » .. فالاذن بزواج المتعـة كان لضرورة الحروب التى كان يباشرها المؤمنون ، وهم بعيدون عن أهلهم ومنازلهم . وتحريمه كان لما سيترتب عليـه من الفساد والخروج عن الزواج الصحيح واقامة الأسرة المتماسكة التى تحقق السكنى والاطمئنان ، والمودة ، والرحمة بين افرادها . ولذا جاء القـرآن الكريم بوصف المؤمنين فى قوله : « **والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمـانهم فانهم غير ملومين . فمـن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون** » (١) .. (أى المعتدون) . فالقرآن هنا يقصر الحـل فى معاشرة النساء على الزوجات . وهن اللاتى قامت بينهن وأزواجهن عـلاقة « شرعية » ، كما أقرها الاسلام فى العقد المعروف .

أما الشيعة فلا ترى بطلانا لعقد المتعة . وهو صحيح عندهم بشرط :

(أ) أن ينعقـد بلفظ : زوجتـك ـ أنكحتـك ـ متعتـك ، وليس بلفظ : « وهبتك » ..

(ب) وأن تكون الزوجة مسلمة ، أو كتابية .

(جـ) وأن يذكر المهر فى العقد .

(د) وأن يكون الأجل محددا ومعروفا .

(هـ) ولا يثبت ميراث بين الزوجين فى عقد المتعة . أما بالنسبة للولد فانه يرثهما ويرثانه .

(و) ولا يصح تجديد العقد قبل انقضاء أجله .

(ز) ولا يقع طلاق بالمتعة عندهم . وانتهاء الأجل هو المفرق بين الزوجين .

● زواج المتعة اذن كان من أنواع الزواج التى راجت ـ وتروج ـ فى العهد الجاهلى أو العهد المادى ، بجانب أنواع أخـرى كلها تتجـه الى الاستخفاف بالمـرأة ومنزلتها . فزواج المتعـة كما شرحنا هنا ليس له من هدف سـوى استمتاع الرجل بالمرأة فترة من الزمن طال الزمن أو قصر . فاذا انتهى الأجل اصبحت غير مشغولة بالرجل الذى كان معها . ولرجل آخر . ولآخر بعده ، ولثالث بعدهما : أن يستمتع كل منهم بها فترة من الزمن طالت أو قصرت ..

---

(١) المؤمنـون : ٥ ـ ٧ .

وهكذا : المرأة فى زواج المتعة يتداولها الرجال للاستمتاع ، وليس لشىء آخر وراءه ·

وزواج الشغار أيضا هو ـ نوع كان شائعا ـ ويشيع ـ فى الجاهلية المادية وهو جعل المرأة مهرا لامرأة أخرى · على معنى : تزوج من رجل على أن يعطى هذا الرجل : ابنته أو أخته لمن يتزوج هو ابنتـه أو أخته · فزواج الشغار مبادلة يخلو تماما من تكريم المرأة واحترامها ·

وهناك فى الجاهلية أنواع أخرى تدفع بها المادية عندما تطغى وتسيطر · وفيها تجد المرأة نفسها بين رجال لا يرون فيها أدنى مستوى فى الانسانية ·

والاسلام بما أنه يحافظ على الاعتبار الانسانى فى المرأة والرجل على السواء أبطل جميع أنواع الزواج ـ ومن بينها زواج المتعة التى كانت سائدة فى الجاهلية ـ وأبقى على النوع الذى ارتضاه · وهو أن يكون الزواج لبناء الأسرة ، ولمودة الطرفين ، ورحمة كل منهما للآخر · وليس للاستمتاع المادى والجنسى فحسب ، ولا لأية فائدة مادية يمكن للرجل أن يحصل عليها من المرأة بما يسمى الزواج ·

والسائل يجب أن يعرف الآن : أن زواج المتعة ·· وزواج الهبة ·· وأى زواج آخر غير المعروف فى كتاب الله وسنة رسوله ، هو عقد باطل : ظاهره أنه زواج ·· وباطنه تحلل ، وعبث ، وفجور ·



٤٣ ـ واعظ يسىء معاملة زوجته ، بعد أن أحسنت اليه :

تشكو سيدة باحدى المحافظـات :

أولا : انها تزوجت بزوجها الواعظ الآن باحد المراكز فى سـنة ١٩٦٦ وأنجبت منه ثلاثة أولاد ، وحامل فى الرابع ·

ثانيا : انها تزوجته وهو طالب بالثانوى بالأزهر ، وانفقت عليه ممـا كانت تملك الى أن تخرج وعين فى وظيفته الحالية ، وما ان عين واستطاع أن ينفق على نفسه حتى تعلق بفتاة أخرى موظفة ، ولها صلة قرابة به ، واخذ يقسو على زوجته ويكيد لها ·

ثالثا : استصدر حكما من احدى المحاكم لأبيه وأمه وأخـوته ، بخصم سبعة جنيهات مصرية من مرتبه الشهرى ، حتى يقلل مما تحكم به المحـكمة لها عندما تطلب نفقة لأولاده وفى الوقت نفسه أرسل لها بوثيقة الطلاق • وتركها وهى لا تملك شيئا تعيش منه وحملها على السرقة والانحراف •

وتطلب الآن الانفاق على أولاده ، وان يعطيها مؤخر الصداق وأثاثهـا الذى وضعه عنـد بعض أقاربه •

● من لغة السيدة التى نعرض شكواها الآن ، فيما كتبت الينـا بها : ان عدم وفاء الزوج لها ــ وهو من علماء الوعظ ــ له أثر عميق فى نفسـها وفى حزنها ، وفى النظرة السوداء الى الحياة التى تعيشها الآن مع أولادها الثلاثة والرابع الآخر الذى فى بطنها •

ولها الحق فى أن تغضب ، وفى أن تحزن ، وفى أن تتشاءم • فليس زوجها بالرجل العادى • بل المفروض فيه أنه يعرف الاسلام ، ويعرف حـق الزوجة ، وحق أولاده عليه • وقبل هذا وذاك يعرف حق الوفاء لانسان وقف بجانبه : بما يملك من مال وطاقة على الخدمة والمعاونة ، وبما له من سـند فى أسرته ، حتى اجتاز شدة الحاجة فى تعليمه ووصل الى ما وصل اليه الآن من تعيينه واعظا بمدينة كبيرة • والمفروض فيه أيضا : أن يكون فى حيـاته العملية ، والزوجية ، والأسرية : قدوة حسنة لما يدعو اليه من تعاليم الاسلام • والا وجب عليه أن يباشر وظيفة أخرى بعيدة عن الدعوة الى الاسلام •

انـه لا ينبغى أن يقسـو عليهـا الى حـد أن يحوجهـا الى السرقـة ، والانحراف • انه يعرف جيدا قول الله تعالى : « **الطـلاق مرتان ، فامسـاك بمعروف ، أو تسريح باحسان** » (١) •

والامساك بالمعروف هو المعاشرة المهذبة القائمة على الاحترام المتبادل بين الزوجين • والاحسان فى التسريح ، أو فى الفرقة والطلاق : هو الانسانية فى معاملة الزوجة عند فراقها •• هو تمنى الزوج لها : أن يرزقها الله بخير منه •• هو تعبير الزوج لها بما يفيد اعتذاره عن فراقها ودعائه لها بالطمأنينة فى حياتهـا المقبلة ، وغير ذلك مما يعبر عن أسفه ، وعدم توفيقه معهـا فى حياتهما الزوجية ، بسببه هو • وليس من المعـاملة الكريمة ، ولا من التسريح باحسـان : أن يقيم الزوج دعوى أمام المحكمة لخصم نصيب من مرتبه لأبيه

---

(١) البقرة : ٢٢٩ •

وأمه وأخوته حتى لا تستطيع الزوجة أن تأخذ من مرتبه مـا يكفى أولاده ٠٠ انهم أولاده ٠٠ والواجب عليه ان يفكر فيمـا يكفى النفقـة عليهم ، قبـل أن يفكر فى نفسه هو وقبل التفكير فى زوجة ثانية وتكوين أسرة جديدة ٠

انه يعرف جيدا : أن المطلقة وهى حامل : على زوجها النفقة عليها حتى تضع مولودها ٠ ثم بعد أن تضع ، عليه أجر الرضاعة منها ، وأجرة حضانته ، فالله يقول :

« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس الا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ، ولا مولود له بولده » (١) ٠

٠٠ فليس كونها أما للمولود يسقط حقها فى أجر الرضاعة ، والحضانة من زوجها السابق ٠

● ولعل الوظفة التى تعلق بها الزوج ، وطلق من أجلهـا أم أولاده ، وتركها تصارع فى الحياة من أجل لقمة العيش لهم ، ولا تميز الحلال من الحرام فى السبيل الى الحصول عليها ٠٠ لعلها تكون أجمل من زوجته السابقة ، أو لعل مرتب وظيفتها يكون قد أغراه ففعل ما فعل ٠ وأى عاقل يكون قد أنجب أربعة من الأولاد ويفتش عن امرأة ثانية قد تكون أجمل من زوجته ؟ ان الأربعة من الأولاد قد تثقل كاهله فى الانفاق عليهم ، فى رعايتهم ، وفى تعليمهم ٠ انه يكفيه من أم أولاده أن تكون فى خدمتهم وخدمته ٠ انه يعيش معها على ذكريات وفائها أفضل من أن يعيش بين احضان امرأة أخرى ٠ ما أجمل الوفاء لوقدره ٠ ان الاسلام ينصح باحترام القيم الانسـانية : كالوفاء ، والمودة ، والتعـاون وايثارها على الماديات ٠٠ كالجمال ، والمال ، والعصبية ٠

وأى عاقل ينتظر من جمال المرأة أن يدوم ٠٠ وينتظر من صاحبة المرتب أن تعطيه اياه أو تشارك به فى حياتها مع زوجها ؟ ٠ جمال المرأة عرض زائل : ان وجد اليوم فلا يوجد غدا ٠ ومرتب الزوجة الموظفة أعز عليها من زوجها ٠ لأنها تعيش مع زوجهـا على اغرائه ٠ هى تغرى به زوجها ٠ ولكنهـا لا تتركه ينزل الى يده ٠ والا تفقد عامل الاغراء ومصدر التأثير عليه ٠ ان المرتب فى يد الزوجة قد يكون مصدر التعاسة فى الحياة الزوجية بين الاثنين ٠

---

(١) البقرة : ٢٣٣ ٠

● ونصيحة الآن الى الزوج حامل لواء الدعوة الى الاسلام ، والذى تشتكى منه زوجته هنا : أن يسوى مشكلة أم اولاده ، فيما يتعلق بالنفقة ومؤخر الصداق ، ومالها من الأثاث ، وخلاف ذلك ٠ وأن يكون رجلا وانسانا فى ذلك ، وأن يذكر الله عنـدما يعاملها ٠ فهى انسـان ضعيف بهموم أولاده وبسلوكه الشائن معها ٠ وليتصور أنه طلب منه أن يفصل فى خلاف مثل هذا بين الزوج وزوجته ، لأنه يعرف كتاب الله فلينفذ تعـاليم الله أولا ٠ وليكن صاحب فضل واحسـان فيما يلتزم نحو أولاده وأمهم ، فالله يقول : « **ان الحسنـات يذهبن السيئات** » (١) ٠٠ والحسنات قبل كل شيء : هى المعاملة الكريمة ٠ يجب أن يذهب اليها ويطرق بابها معتذرا ، ويقبل على أولاده هاشا باشا ٠ ويعلن عن استعداده لمساعدتها فى أية أزمة لها ٠ وليكن لها والدا وأخا بعد ان كان لهـا زوجا ٠ فان ظفر منها بدعاء له ، تتوجه به الى الله جل جلاله فى أن يغفر له ما مضى منه ، يجب أن يشعر بالسعادة ٠ والله الموفق ٠

★ ★ ★

٤٤ ـ القسم بالطـلاق :

شعرت بأن الشغـالة التى عندى لها تـأثير سيء على تحصيل أولادى لدروسهم وقررت ارسالها الى أهلها ، واختلفت زوجتى معى مدعية : أن تعسر الأولاد فى الدراسة سببه عـدم شدتى معهم ٠ فصممت على رأيى ٠ واقسمت بالطلاق أن لا تعود ٠ فما رأيكم ؟

● ان النطق بالطلاق هو تعبير عن العزم النفسى المبيت على فرقة الزوج لزوجته ، والطلاق بذلك انهاء لعقد الزوجية ، وعدد مراته الثـلاث هى مراحل لاختبار العلاقة الزوجية فى مدى صلاحيتها للبقاء ، رغم التوتر فى النفـوس وتكرار الأزمات ٠ فعندما يقول الله تعالى : « **الطلاق مرتان** » (٢) ٠٠ فانه يعطى فرصة بعد أخرى لمراجعة أحوال هذه العلاقة ، وكشف مدى ثباتها واهتزازها عند الأحداث ٠٠ وهى أحداث الخلافات والنزاعات التى تنشأ عن المفـارقة فى الطبائع ٠ وهى مفارقة قائمة ٠ ولكن قد يتغلب عليها بالحكمة والفهم الواقعى لحياة الانسان ، أو بالمراجعة المستمرة للوضع الثنائى بين الطبيعتين وما يتطلبه من مرونة وتعاون ، بدلا من التشدد والمحافظة على استقلال الذات ، وعنـدما يقول سبحـــانه فى بقية مراحـــل الطـــلاق : « **فامساك بمعروف أو تسريح باحسان** » (٣) ٠٠ يوضح كما أن المرحلة الأخيرة هى فرصة للمراجعة : فرصة

---

(١) هود : ١١٤ ٠
(٢) البقرة : ٢٢٩ ٠
(٣) البقرة : ٢٢٩ ٠

كذلك لانهاء عقد الزوجية · لأن الأمر يصل بهذه المراحل الثلاث الى نقطة قد يبدو فيها للطرفين أن التفرقة هى السبيل الضرورى ولكنه البغيض لكل منهما ·

وبذلك يكون الطلاق اجراء يتخذه الزوج للوصول الى هذه الفرقة ، وهو عمل ارادى بحت ، ليس فيه للاكراه ، أو الانفعال ، أو الغفلة مكان ، ومن أجل ذلك لا يقع طلاق المكره ، أو السكران ، أو الغضبان · ومجال الطلاق مجال انسانى ، ولذا مع حله ومشروعيته فانه أبغض الحلال عند الله · ومعنى كون مجاله مجالا انسانيا : انه مجال جد ، وليس مجال عبث ، ولهو ، وتهديد · أى لا ينبغى أن يكون الطلاق عرضة للحلف به ، ولا وسيلة للتهديد عن طريقه ·· ولحمل الآخرين على قبول أمر ما ·

والسائل فى سؤاله هنا فى قسمه بالطلاق اما أن يكون قسمه به تعبيرا عن غضبه من جدل زوجته معه ، واما أن يكون حملا لها على قبول رأيه من ترحيل الشغالة الى أهلها · وفى كلا الأمرين لا مضمون له يتصل بمعنى الطلاق الحقيقى · وهو التعبير عن الفرقة المبيتة أو المنتوية ·

وقد يكون القصد من القسم به هنا وضع حد للنقاش فيما كان بينه وبين زوجته فى شئون الأولاد ، وتفريغ الحياة اليومية بينهما مما يكدرها لفترة أخرى من الوقت ، ومع انسانية هذا الهدف فلا ينبغى مع ذلك استخدام الطلاق فى غير موضعه ·

والمثقف – والمؤمن كذلك – هو الذى يحتفظ للطلاق بحرمته فى الجدية ويصونه عن أن يكون طريقا لحمل الآخرين على قبول أمر ما يراد قبوله ، والمنطق هو الوسيلة الصحيحة والطبيعية للاقناع والاقتناع ·

وقسم السائل اذن بالطلاق هنا ليس له موضوع ، ولذا لا يحمل أكثر من أنه أداة اكراه مقنع ·· ولا تقع به فرقة فى الزوجية ، ان عادت الشغالة الى منزل الشغل ·

★★★

٤٥ ـ شاب يريد ارضاء نفسه ـ وربه معا في الزواج :

أنا شاب في السابعة والعشرين من عمري ، اعزب · وقد افادني الأطباء باني عقيم لا أنجب أولادا ، مع استطاعة المعاشرة الزوجية على اكمل وجه ·

واني افـكر الآن في الزواج ·· ولا أرضى أن اكـون غاشا بمـن أريـد زواجها ··· ولا استطيع في الوقت نفسه أن اخبرها باني عقيم ·· فمـا هو الواجب ؟

● ليس من المحتم أن يكون من أهداف الزوجية : انجاب الأولاد ، أى ليس من الضرورى أن تكون احدى النتائج العملية للزواج هى أن يكون للزوجين ابناء ، فالله سبحانه وتعالى **« يهب لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور · او يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما » (١) ··**

ولكن الذى يجب أن يصل اليه الزوجان من زواجهما هو : سكنى النفوس واطمئنانها والمودة بين الاثنين . ورحمة كل منهما للآخر ، يقول الله تعالى : **« ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (٢) ·**

وما يذكره القرآن هنا فى هذه الآية هو خاص بهدف الزوجية من الذكورة والأنوثة فى بنى الانسـان · فالزوجيـة بين الذكورة والأنـوثة فى خـلق الله للأنعام ، أو فى اخراج النبات هى للكثرة العددية فقط اما فى الانسان فكما تكون للكثرة العددية بالنسل تكون للروابط الانسانية التى تقوم عليها الأسرة ويتكون منها المجتمع · وهى روابط الاستقرار والاطمئنان ، والمودة ، والرحمة ، بدلا من فجوة القطيعة والفرقة بين الأثرياء وأصحاب الحـاجة ، أو الأقوياء والضعفاء ·

فالقرآن يقول فى هدف الزوجية فى النبات **« الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا ، وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبـات شتى · كلوا وارعـوا انعامكم ، ان فى ذلك لآيات لأولى النهى » (٣) ··**

ويقول فى هدف الزوجية فى الأنعام . بجانب الهدف الثانى من الزوجية فى الانسان وهو هدف الكثرة العددية **« فاطر السموات والأرض ، جعل لكم**

---

(١) الشورى ٤٩ ـ ٥٠ (٢) الروم ٢١ ·
(٣) طه ٥٣ ـ ٥٤

من أنفسكم ازواجا ومن الأنعام أزواجا ، يذرؤكم فيه (أى يكثركم وينمى عددكم عن طريق الزوجية فى الخلق والمفارقة بين الذكورة والأنوثة فيه) » (١) ٠٠

● واذن هدف القرآن من الزواج أو الزوجية بين الناس ليس فى الدرجة الأولى فى النسل ، والكثرة العددية ، والنمو فى الكم ، بقدر ما يحقق الروابط الانسانية التى تتمثل فى استقرار العلاقات بين الزوجين واطمئنان أحدهما للآخر ومودة كل منهما للثانى ورحمة كل من الطرفين للآخر ٠

والسائل فى سؤاله سيحقق فى نظر القرآن هدف الزوجية عندما يقترن بزوجة وان حكم الأطباء بعد فحوص أولية بانه عقيم لا ينجب أولادا ٠

وتجب عليه مكاشفة من يريد الاقتران بها بحقيقة أمره ، فذلك لا يشينه بحال ٠ وبعض النساء ربما لظروف خاصة لا ترغب فى انجاب الأطفال ، اما لوجود أطفال لهن من آخرين فى زيجات سابقة ، أو لانصرافهن عن الأمومة بعمل ما ، على الأقل فى فترة طويلة فى بداية الزواج ٠

ومن يدرى لعل الله ــ لسبب من الأسباب ــ يحول عقم هذا السائل الى خصوبة فى انجاب الأولاد ٠ فهو العليم القدير ٠

وعلى كل حال فالخداع فى عقد الزواج ــ كالخداع فى أى عقد من العقود المدنية ــ سبب من أسباب فسخه ، ان انكشف الأمر للطرف المخدوع ورغب هذا الطرف فى عدم الاستمرار فيه ٠

★★★

٤٦ ــ شاب يعكر صفو حياته سلوك والده :

انى طالب فى احدى الجامعات ، وعمرى اثنان وعشرون عاما ، ومتدين ، وحياة والدى تنغصنى ، فهو لا يؤدى واجباته الدينية الكاملة ، ولا يصلى الا فى رمضان بحجة كثرة العمل ، وعندما يثور أو يغضب يسب الدين ، والأدهى والأمر : أنه يشرب الخمر وهو فى الثانية والخمسين ، وعندما ارى حاله وهو فاقد الوعى سكرا ، اغضب وأتحفز لزجره ثم أتذكر وصية الله للوالدين ٠٠ فماذا اصنع ؟

● فيما جاء فى سورة العنكبوت فى قول الله تعالى :

« ووصينا الانسان بوالديه حسنا ، وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به

---

(١) الشورى : ١١ ٠

علم فلا تطعهما » (١) · يأمر القرآن الكريم الأبناء بأن يحسنوا الى الوالدين ·
والاحسان الى الوالدين فى الدرجة الأولى : طاعتهما وعدم ايذائهما ايذاء معنويا أو ماديا فى صورة ما ، وقد ذكرت معالم الاحسان فى قوله جل شأنه فى سورة الاسراء : « **وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما · واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل : رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** » (٢) ·· فكان من معالم الاحسان تجنب الايذاء مهما كان أمره ·· والطاعة لهما شفقة ورحمة بهما ·

ولكى لا يفهم الأبناء : أن الاحسان الى الوالدين قد يمتد الى طاعتهما فى دعوتهما لهم بالانصراف الى الوثنية والالحاد والسلوك مسلك العابثين المفسدين : نصت آية العنكبوت على عدم طاعة الوالدين ، اذا هما قاما بمحاولة حمل الأبناء على الشرك ·· والوثنية فى الاعتقاد قبول التحلل والفساد والعبث فى السلوك ·· قبول الاعتداء على حرمات الآخرين وحقهم فى الحياة وهى حرمات المال ، والعرض ، والنفس ·

واذا كان الأولاد يجب أن يقفوا من آبائهم موقف المعارضة وعدم الطاعة فى نصحهما اياهم بالوثنية والالحاد والمادية ، فانهم كذلك يجب أن لا يقفوا منهم موقف الرضا والاستحسان لما يباشرانه من سلوك عابث كعدم اداء الوالد هنا للصلاة ، وسبه الدين عند غضبه ·· وشربه المسكر وهو فى سن الثانية والخمسين الآن ·· وفقده الوعى من كثرة الشراب ·

وان واجب الابن هنا نصح أبيه ، ولكن برفق وفى غير ايذاء ، فاذا صار الوالد الى الاعتداء عمل الابن على الحيلولة دون وقوع الاعتداء من أبيه بصورة أو بأخرى ·

وعلى أية حال لا يقف الابن من أبيه الآن موقفا سلبيا ، فالحديث القائل : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ·· فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » ·· يفرض على الابن تغيير المنكر من أبيه ، ولكن فى غير ايذاء له ، ولو ايذاء معنويا ، ويغيره اما بيده ·· أو بلسانه على الأقل ، والحديث هنا عام يشمل موقف الابن نحو أبيه ، كما يشمل موقف الأب نحو ابنه ·



---

(١) العنكبوت : ٨ (١) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤ ·

٤٧ ـ ابن يسيئه أن يضرب أبوه أمه بعد أن تزوج عليها ، ويسأل عن مواجهته ؟

والدى تزوج غير والدتى منذ خمسة عشر عاما ، ومنذ أن تزوج عليهـا وهو : دائب الضرب لها كل يوم ٠٠ مع أن عنده من الأولاد تسعة ٠

فهل أقف فى وجهه وأحمى أمى ؟ أو أسكت على ضربها وايذائها ؟

● أباح القرآن الكريم تعدد الزوجات ، ولكن ليس على حسـاب شقاء الأخريات الباقيات ، ولا على حساب ظلمهن وانتهاك آدميتهن ٠ بل يرد أمـر الزواج الى واحدة فقط ، إن خشى الزوج عـدم العدل بين الزوجات : « **فـان خفتم ألا تعدلوا فواحدة** » (١) ٠ وفرق كبير بين خشية عدم العدل ، و ممـارسة الظلم و انتهاك حرمة البشرية ٠

وفى الوقت الذى قيد الاسلام فيه ترخيص تعدد الزوجات بالاطمئنان الى عـدل الزوج بينهن : أوصى الزوج بمعاشرة الزوجة على العموم بالمعروف : « **وعاشروهن بالمعروف** » (٢) ٠٠ والمعروف فى المعاشرة هو اتباع ما درج عليه الناس من حسن المعاملة ٠ وحسن المعاملة يقـوم على التهذيب وعلى الرحمة ، وعلى المودة ٠٠ وعلى ابراز الاعتبار البشرى للمرأة ٠

ولكى يحمل القرآن الزوج على معاشرة زوجته بالمعروف وان كان فيهـا مايكرهه منها : ان فى بدنها ، أو فى خلقها ، أو فى خلقها (٣) ، يحاول أن يضمن ما يكرهه فيها شيئا يعود عليه بالخير منها فيقول : « **فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** » (٤) ٠٠ فقد تكون حكيمة فى تدبير منزلها ، وتربية أولادها ومعالجة مشاكل الحياة المشتركة بينها وبين زوجها ، فالحياة الزوجية لها جوانب عديدة اهمها وابقاها : صلاحية الزوجـة للأمومة ، وصبرها فى مواجهـة الأزمـات ، وسـعة صدرها لهمـوم الزوج ومشـاكله الخارجية ٠

وبجانب ما يطلب القرآن من معاشرة الزوج بالمعروف لزوجته ٠٠ وبجانب ما يرغبه فى نفع منتظر منها قد لا يبدو واضحا فى بادىء الأمر : فانه يشـير عليه قبل طلاقها ومفارقتها ان بدا منها نشوز أو شذوذ فى المعاملة : أن يوجـه اليها النصح أو يعبر عن غضبه منها بالتغاضى عنها كزوجة ، أو يشعرها بهذا

---

(١) النساء : ٣ ٠ (٢) النساء : ١٩ ٠

(٣) « خلقها » : الأولى بفتح الخاء ، والثانية بضمها ٠

(٤) النساء : ١٩ ٠

الغضب فيضربها ، لا ايذاء ولا امتهانا ، بل كما يضرب الأب ابنه : « **واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** » (١) ‥ فاذا لم ينفع هذا السبيل فى علاج الأمر بين الزوجين فالطريق قبل الأخير هو تحكيم طرفين من أسرتيهما : « **وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا** » (٢) ٠

فان لم ينجح مسعى التحكيم كان الطلاق هو الحل الأخير ‥ اما ان يمسك الزوج زوجته فلا يطلقها للاضرار بها فقد نهى عنه القرآن نهيا صريحا : « **ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه** » (٣) ٠

والزوج — فى سؤال السائل — لم يرع العدل بين الزوجة القديمة — أم السائل — وزوجته الجديدة ٠ ودائم الاضرار بأمه ٠ لا يسرحها بالمعروف ولا يعاشرها بالمعروف ٠ فهو جاهلى لم يتاثر بدعوة الاسلام ‥ وهى دعوة انسانية ٠ ولا بأس أن ينبه السائل والده الى ما يجب عليه فى معاملة أمه وهى زوجته ٠

وتنبيهه والده لا يخل بما يطلبه القرآن فى موضع آخر من الاحسان فى معاملة الأبناء للآباء فى قوله تعالى : « **وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ٠ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل : رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** » (٤) ‥

فطالما الوالد لا يعرف معنى الاحسان فى معاملة زوجته ، فهو لا يشعر بالحرمان منه ، ان نبهه ولده الى ما يجب عليه نحو أمه وأم أولاده ٠

★★★

٤٨ — الزوجة الثانية :

ماتت زوجتى منذ ثلاث سنوات ، بعد مرض دام ثمانية أعوام ، وتركت ولدين وثلاث بنات فى سن الزواج ٠

فهل يجوز لى وانا رجل متدين وقد اشرفت على الخمسين من عمرى أن أتزوج ؟ أم أن الزواج فيه اذى لأولادى يحرمه الله ؟

---

(١) النساء : ٣٤ ٠
(٢) النساء : ٣٥ ٠
(٣) البقرة : ٢٣١ ٠
(٤) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤ ٠

● السؤال الذى يجب أن يوجه الى السائل أولا : هو :

هل يخشى الفتنة على نفسه من العزوبة ؟ أى هل يخشى على نفسه من مباشرة علاقة آثمة مع المرأة ان هو لم يتزوج ؟

فان خشى الفتنة على نفسه من العزوبة ، أى لم يأمن بقاءه وحيدا من غير وقوع فى معصية مع امرأة : فالزواج له ضرورة دينية للحيلولة بينه وبين ارتكاب جريمة الزنا ان كان يستطيع الانفاق عليها ومعاشرتها ·

فان استطاع تجنب فتنة العـزوبة بشغل نفسـه بمصالح أولاده ·· أو بالصوم بعض الوقت فالزواج ليس ضرورة له من الوجهة الدينية ، اذ هـدف الزواج أمران : النسل والوقاية من الوقوع فى معصية الزنا ، والسـائل الآن لديه أولاد ، وفى الوقت نفسـه بعيد عن التفكير فى عـلاقة له مع امرأة أجنبيـة عنه ·

وطالما أن السائل متدين وقد أشرف على سن الخمسين ــ كما يقول ــ فالمرأة فى حياته كزوجة لم تعد تشغل حيزا كبيرا منها ، بل على العكس ابتداء يدخل مرحلة يرجو أن يودعها من حياته كلها ، ان كان قد احتفظ بها حتى الآن على قيد الحياة وفى علاقة زوجية ·

والأولى للسائل ــ فى سنه هذه ــ وفى وضعه هذا : أن يعنى بأولاده ·· وان يوفر لهم جميعا الرعاية الأبوية والانسانية كلها ، وأن لا يشرك معهم أحدا ينازعه هذه الرعاية ، كزوجة يقامر بادخالها فى حياتهم ، فى الوقت الذى قد لايستطيع من فى سنه أن يحد من أنانيتها ، ولا أن يحتفظ لأولاده بالعواطف التى قد تعوض عليهم بعضا من عواطف الأمومة ، وقد تركت لهم فى حياتهم فراغا كبيرا قلما يشغل بغير حنانها ·

والدين يرعى مصلحة الانسان أينما توجد ، ومصلحة الانسان هى فى تجنيبه الأضرار والأخطار · فان كان فى زواجه ابعاد له عن خطأ المعصـية أشار عليه الاسلام بالزواج ، ان كان فى استطاعته · وان كانت مصلحته فى الكف عن هذا الزواج ، لتوفير الرعاية للأولاد ، ولتجنيبه أخطار حياة زوجية جديدة ليس هو مؤهلا لها بحكم السن ووضـع أسرته ، أشار عليـه بعـدم الزواج ·



٤٩ ـ زوجة الأب تضطهد ابنه من الأخرى :

توفيت أمي وتزوج أبي من أخرى ، وكنت اعمل في ورشة حدادة ، وكان سني ١٨ سنة ، ثم فصلت منها وحاولت كثيرا العمل في جهة أخرى فلم أوفق الى الآن ٠

وقالت زوجة الأب لأبي : اما انا أو ابنك في البيت ٠ وطبعا طردت وهمت في الفضاء ٠٠ والضياع ٠ والآن وأنا أريد الاستقامة يجب أن استقر في ماوى ٠ وهل للانسان ماوى غير بيت أبيه ؟ فما الرأى ؟

● كثيرا ما يقال عن زوجة الأب انها تظلم ، وكثيرا ما ينسب اليها : انها مصدر تشريد لأولاد زوجها من أم أخرى ، حتى عرف عنها انها الظالمة قبل أن تباشر الظلم ٠٠ والمعتدية قبل أن تمارس الاعتداء ٠

وسبب اتهامها بالظلم والاعتداء : حرصها على أن تحقق رغبتها في أن يكون زوجها لها وحدها ولأولادها منه ، دون أن تكون له رعاية لطرف ٠ ولو كان هذا الطرف أولاده بالذات ، ولكن من أم أخرى غير زوجته الحاضرة ٠

سبب اتهامها هو أنانيتها ٠ ولكن في بعض الحالات قد تكون مظلومة ومعتدى عليها ٠٠ قد تكون ضحية ما يشاع عن زوجة الأب على العموم ٠

فالسائل بما يصف به نفسه هنا في سؤاله ، يبدو أنه أثناء اقامته مع زوجة أبيه في سكن واحد كان شاذا في سلوكه ومعاملاته معها ، ومع الآخرين ، فيحكى هو عن نفسه أنه طرد من الورشة التى كان يعمل فيها ٠٠ وأنه لم يوفق الى عمل بعد ٠٠٠ وأنه الآن يريد الاستقامة ٠٠ وذلك كله يفيد أنه كان مصدر القلق في الأسرة وليست زوجة أبيه ٠ وأن هذه الزوجة عندما وضعت زوجها أمام اختيار محدد : اما هي ، أو الابن في المنزل ، كانت صادقة وليست مدعية حتى تحمل زوجها على طرد ابنه ٠

والسائل وهو الابن يبلغ الآن من العمر ثمانية عشر عاما ، فهو مكلف ومسئول عن نفسه أولا وبالذات ٠ ووالده لا يمنعه أحد من أن يساعده بشكل ما على اجتياز العقبات في طريق حياته ٠ ولكن قبل كل شيء يجب على السائل أن يعرف طريق الاستقامة ويسلكه ، والاستقامة هي التهذيب في القول والتصرف ٠٠ والسعى الجدى لتنمية الذات بالمعرفة والمهارة الفنية ٠٠ والدأب على العمل ٠٠ والصبر على تحمل المشقة ٠٠ والاعتماد على النفس في كل ذلك ، ثم التوكل على الله : **« فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب**

المتوكلين » (١) ‥ يقول ذلك جل جلاله لرسول الله صلوات الله عليه . بعد أن يوجب عليه أولا خطوات يتخذها قبل التوكل كما جاء فى أول الآية نفسها : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر** » (٢) . فأوجب عليه أن يلين ولا يتشدد فى الغضب من ذلك الفريق من المؤمنين الذى خذله ـ عليه السلام ـ فى ساحة القتال يوم « أحد » وأن يعفو عنه ‥ ويستغفر الله له ‥ وان يشاوره . رغم ما وقع منه ، فى شأن الحرب . او فى أى شأن آخر .

أما حمل زوجة الأب على قبوله فى السكن معها فليس من صالح الأسرة … الا اذا قبلت هى عن طيب خاطر ، بعد ما بدا لها : أنه تاب عن سلوكه الماضى ، واقتنعت أنه سيكون عضوا مثمرا فى أسرة مكافحة .

★★★

٥٠ ـ عدم انجاب الأولاد ، وأثره على العلاقة الزوجية :

هل يبيح عدم انجاب الاولاد من الزوج : أن تخرج الزوجة من طاعة زوجها وتطلب الطلاق ؟

● هدف الزوجية ـ أو هدف الازدواج فى الخلق بين الذكورة والأنوثة فى عالم الانسان ‥ أمران :

الأمر الأول : وهو خاص بنوع الانسان لا يشاركه فيه عالم الحيوان ، ولا عالم النبات : قيام الروابط الانسانية من السكنى ‥ والاطمئنان ‥ والمودة ‥ والرحمة ‥ فى العلاقات بين الزوجين . ومن أجل تحقيق السكنى والاطمئنان بين الزوجين كان التعاون فيما بينهما . ومن أجل بقاء التعاون كانت المودة من الجانبين ، وكانت الرحمة من جانب القوى للضعيف منهما : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » (٣) .

وبسبب قيام الروابط الانسانية بين الزوجين كهدف لخلق الزوجية كان المجتمع خاصا بالانسان دون غيره ، مما ينمو ويكثر عن طريق

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .	(٢) آل عمران ١٥٩ .
(٣) الروم : ٢١ .

الازدواج فى خلقه : كالنبات والحيوان ·· وكانت الأسرة نواة هذا المجتمع · واذا لم تراع هذه الروابط فى قيام المجتمع ·· واذا لم تجد الأسرة الرعاية كنواة له : افتقدت الزوجية بين الذكورة والأنوثة فى نوع الانسان · خاصتها الأولى ، ونزل الانسان عندئذ الى مستوى الحيوان والنبات فى الكثرة العددية وحدها دون النوعية ·

والأمر الثانى : كهدف للازدواج أو الزوجية بين الذكورة والأنوثة فى خلق الانسان هو : التكثر والازدياد فى الخلق ، كما وعددا · وفى هذا التكثر فى الكم والعدد كفاية من الازدواج بين الذكورة والأنوثة يشارك الحيوان والنبات : الانسان فيه · يقول تعالى فى شان هذه الغاية فى الانسان والحيوان : « **فاطر السموات والأرض ، جعل لكم من انفسكم ازواجا ، ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه** (اى يكثركم ويزيد من عددكم) » (١) ويقول تعالى فى خلق النبات : « **الذى جعل لكم الأرض مهدا ، وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى · كلوا وارعوا انعامكم ، ان فى ذلك لآيات لأولى النهى** » (٢) ·

● فانجاب الأولاد من الزوجية بين الرجل والمرأة ينتمى الى الهدف الثانى من خلق الانسان ذكرا أو انثى · أما الهدف الأول من الزوجية الذى يبرز تميز النوع الانسانى عن الحيوان والنبات فهو تحقيق الروابط الانسانية من السكنى ، والمودة ، والرحمة بين الزوجين ·· هى التعاون ·· والتحاب ·· والتواد ·· والتراحم بين القوى والضعيف منها ·

والزوجة التى تسعى الى الخروج عن طاعة زوجها وتدعوه الى طلاقها بسبب عدم انجاب الأولاد ، تضع الأهمية الأولى فى العلاقة الزوجية على كم الاسرة وعددها دون أن تضعها على انسانية الروابط بين الزوجين · بينما القرآن يرى أن ميزة الانسان عن الحيوان والنبات فى مخلوقات الله هى فى الروابط الانسانية وحدها · أما الكم والعدد فمشترك بين الجميع ·

على أن انجاب الأولاد اذا امتن به الله على الانسان فى قوله تعالى : « **والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكل من ازواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات** » (٣) فقد ربط ما يمتن به على الانسان بمشيئته وعلمه

---

(١) الشورى : ١١ ·

(٢) طه : ٥٣ ، ٥٤ ·

(٣) النحل : ٧٢ ·

بمكان الخير سبحانه وتعالى : « **يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير** » (١) ..

ومن هنا لا أرى صحة ما تتجه اليه الزوجة الآن من النشاز وطلب الطلاق بسبب عدم انجاب الأولاد . الا اذا كان هذا السبب ستارا لقصور لدى الزوج فلا تشعر معه الزوجة بالسكنى والمودة . وعندئذ يدفعهـا الى القلق والى النشاز وطلب الطلاق . وعلى الزوج أن يختبر الآن وضعه معها : فاما بعـد ذلك امساك بمعروف ، أو تسريح باحسان .

★★★

٥١ ـ تدخل أب الزوجة فى علاقتها بزوجها :

انى مدرس ، وتزوجت مدرسة ، ووالدها مدرس ايضا . وانجبت منها ولدا وبنتا . ولكن والد الزوجة يضع أمامنا العقبات ويثير اسبـاب النزاع لياخذ نصف مرتبهـا لنفسه ولمـا لم اوافق حضر الى منزلى واخذ ابنتـه . وزوجتى تريد الصلح ، وتقول : ارض أبى فما الحكم ؟ وماذا اصنع ؟

● ان الزوج اذ يطلب من زوجته جزءا من مالها أو من أجرها يكون متجاوزا لحدود الله . يقول تعالى : « **ولا يحل لكم** (أى أيهـا الأزواج) **أن تاخذوا مما آتيتموهن شيئا** (أى من المهور التى أعطيت لزوجاتكم) **الا أن يخافا** (أى الزوجان معا) **الا يقيما حدود الله** (فى العلاقة الزوجية . وحدود الله هنا هى المعاشرة بالمعروف) » (٢) .. **تنهى الآية عن أن يسترجع الزوج من المهر الذى أعطـاه هو لزوجته ، رغم أن المهر منحة منه وعطـاء خالص من جانبه . وبالأولى لا يجوز للزوج أن يأخذ من مال الزوجة الذى هو ملك لها أصلا بالوراثة ، أو التجارة أو الذى هو أجر لها على عمل تأديه له أو للغير .** وتستثنى الآية من عدم جواز استرجاع شيء من المهر الفدية التى تفدى الزوجة بها نفسها خروجا من سوء عشرة زوجها لها . وهذا ما اكملته الآية فى قول الله تعالى : « **فـان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جنـاح عليهما فيمـا افتدت به** » (٢) . **أما المال الخاص للزوجة فليس هناك استثناء اطلاقا من عدم جواز أخذ الزوج الا برضاء الزوجة وبرغبة حرة منها فى مساعدة الأسرة .**

---

(١) الشورى : ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) البقرة : ٢٢٩ .

والأسلام يحتكم فى الارادة الحرة الى الخشية من الله وحـده ، والى تقوى الله • ومعنى ذلك عندما يقال : ان الزوجة أخرجت من مالها أو من أجرها بعضا منه لمساعدة الحياة الزوجية ، اخراجا وبناء على مشيئة خالصة : يجب أن لا يكون هنـاك اكراه من الزوج على الاطـلاق ، اكراها مباشرا أو غير مباشر ، كى تتحقق حرية الارادة والمشيئة لدى الزوجة •

والسائل هنا فى سؤاله يرى أن له حقا فى مال زوجته وفى أجرها على التدريس • وهذا شأن من شئون العهد الجاهلى أو المادى • وبناء على افتراض أن له الحق فيما تملك زوجته يخاصم أباها ، ثم يحتكم الى رأى الاسلام فى ارجاع زوجته بعد أن تتمكن منه الحيرة عندما تقول له زوجته : ارض أبى !!

ان زوجته لم تقل له ما قالته الا لأنها فى وضع حرج ، وهو وضع المتردد بين الطرفين • أى بين زوجها وأبيها • ولو أنها كانت تملك الفصل فى القـول لأجابته : بأن الزوج لا شأن له بمال الزوجة ، الا مما تتنازل هى عنـه طوعا واختيارا ، وأن عليه وحده الانفاق على الحياة الزوجية بينهما : « **الرجـال قوامون على النساء** (أى أصحاب قيادة فى الحياة الزوجية) **بما فضـل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم** » (١) • فتكفل الزوج وحده بالانفاق سبب من أسباب استحقاقه القيادة فى الحياة الزوجية •

واذا كان الزوج قد تزوج زوجته المدرسة على شرط أن تشترك معه فى نفقات بيت الزوجية من أجرها فى التدريس فالشرط باطل ، وان أصر عـلى تنفيذه كان أصراره سببا فى فسخ عقد الزوجية بينهما •

الاسلام حدد شخصية المرأة فى استقلالها بمالها •• وبعقيدتها ان كانت من أهل الكتاب •• وبمماثلة مالها من حقوق وما عليها من واجبات ، لما للرجل من حقوق ولما عليه من واجبات: «**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف**» (٢)•

والاسلام فى ذلك ينشد المستوى الانسانى وحده فيما يأمر به أو ينهى عنه • والانسان بتصرفاته هو وحده الذى ينزل عن هذا المستوى درجة أو درجـات •

---

(١) النساء : ٣٤ •　　　(٢) البقرة : ٢٢٨ •

فليقم السائل بمسئوليته الزوجية ·· وليؤد واجب الانفاق دون أن يسأل زوجته أو يخاصم اباها من أجل أجرها على التدريس ، فالمسئولية الزوجية يتعلم منها الانسان : الكرامة ·· وارادة الحياة ·

★★★

٥٢١ ـ رغبة الزوجة فى الاستقلال عن أم الزوج :

أقيم انا وزوجتى مع أمى وأخواتى البنات الصغيرات فى بيت واحد · ووالدى متوفى وأمى لها معاش ، وليست فى حاجة الى شىء منا ، اللهم الا حسن المعاشرة ·

وقد حدث خلاف بين زوجتى وأمى · لأن الزوجة تريد أن تفصل سكن الأم عن مسكننا · مع أن الأم تعيش هى وأخواتى فى معيشة مستقلة تماما عنا ، ولا تحتاج الا الى الرعاية الأدبية فقط · فما الرأى ؟

● لكى تدوم المودة بين الأم والأخوات من جهة ، والزوجة من جهة أخرى يفضل الأخذ برأى الزوجة ، وهو هنا الفصل فى الاقامة والسكن ، على نحو الاستقلال فى المعيشة · لأن هذا الفصل أبعد عن الاحتكاك أو اللجاجة فى الكلام ·

والفصل فى السكن ليس معناه أن تتجنب الزوجة الأم والأخوات ، وتقطع معهم حبل المودة والمجاملة · وانما هو بالأحرى أدعى الى التقارب من قبل الزوجة على الخصوص نحو الأم والأخوات · اذ فى مجاملة الزوجة وفى مودتها لأم الزوج نوع من رعاية الزوج الابن نفسه لأمه ·

فان لجأت الزوجة بعد الفصل فى السكن الى البعد عن الأم ، وتجنبت السؤال عنها أو مودتها أحرجت زوجها فى علاقته بأمه · لأن الأم عندئذ سوف لا تكون راضية من الوجهة النفسية عن معاملة ابنها لها مهما قدم لها من فروض الرعاية ، اذ تعتبر علاقة زوجة ابنها بها جزء لا يتجزأ من علاقة الابن ذاته ·

ولذا يجب أن يكون مفهوما لدى الزوجة : أن الأم فى حضانة ابنها فى طفولته وفى تنشئته والعناية به فى سن المراهقة وما بعدها الى وقت زواجه ، تنظر اليه على أنه لها وليس لغيرها : فى عواطفه ·· وفى ثمرة سعيه فى

الحياة · والفترة التى يبحث فيها الابن عن زوجـة له هى فترة قلق وفترة هواجس نفسية بالنسبة للأم : لأنها عندئذ تعيش فى مجهول . وأمامها فى مستقبل حياتها علامة استفهام كبرى : أيكون زواجه نهاية أملها فيه ؟ أم أنـه سيوفق فى زواجه الى بنت الحلال التى تشعرها بامومتها لها ولزوجها على السواء ؟ ولا يقل قلقها النفسى فى تلك الفترة عن قلقها على حياتها فى فترة اليأس · فهما فترتان فى حياة المرأة قد يدفع القلق فيهما الى بعض الأمراض العصبية ، بعد أن يدفع الى التشاؤم فى النظرة الى الحياة ·

وزوجة الابن العاقلة هى التى تحتفظ بزوجها فى وضع متزن هادىء · وهو وضع الرضا النفسى عن العلاقة بين زوجته وأمه ، وبالتالى مع اخوته وأخواته ، والزوج بحكمته كذلك يستطيع أن يهيىء لها الجو الذى يسـاعدها على أداء رسالتها فى هذا الجانب · ومن أمارات الجو الصالح لذلك أن يبتعد من أول الأمر بزوجته عن السكنى مع أسرته وأن يتردد من وقت لآخر لزيارة الأسرة · اذ عندئذ تكون اقامتهما معها اقامة مؤقتة لا تدعو الى الجدل ، فضلا عن المخاصمة ·

والسائل الآن عليه أن يتخير الوسيلة التى يحافظ بها على احسـاس والدته وأخواته بحيث يشعرهم بأنه لا ينتصر لزوجته ، اذا ما شرع فى الفصل فى المسكن · والنقلة ــ اذا أمكن ــ بدعوى القرب من مكان العمل ، أو لأى سبب آخر هى خير طريق لذلك ·

★★★

٥٣ ــ زوج دأب على تعذيب زوجته ، وهى لا تحتمل الآن :

انى متزوجة منذ خمسة عشر عاما ، وأنا أرعى حقوق الله وحقوق زوجى ، انجبت منه ولدين : أحدهما فى التاسعة ، والآخر فى السادسة · ومشكلتى أن زوجى منذ أن تزوجت لا يكف عن ضربى ، وتعذيبى · وقد طفح الكيل ، وليس فى استطاعتى الصبر والعيش معه · فهل على ذنب لو طلبت الطلاق منه ؟ وهل يؤثر طلاقى منه على الولدين ؟

● يرى الاسلام : أن هدف الزوجية بين الذكورة والأنوثة هو فى ايجاد ترابط قائم على الاطمئنان ، والمودة ، فى المعاشرة بينهما ، وكذلك على الرحمة من القوى للضعيف منهما ، ولم يكن التعذيب ولا الضرب غاية لحظة مـن اللحظـات فى نظر القرآن الى اقتران الرجل بالمرأة · فيقول تعالى فى تحديد

هدف الزوجية فى سورة الروم : « ومن آياته (أى من دلائل وحدة الألوهية) ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها (أى تطمئنوا اليها) وجعل بينكم مودة ورحمة . ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (١) ··

ثم اذا أنجب الرجل من زوجته أولادا ، وجب على الرجل آنئذ أن يضاعف من رعايته لزوجته . وأن يتغاضى على الأخص عن الهفوات الصغيرة التى قد تباشرها الزوجة بدون قصد فى أداء واجباتها فى الحياة الزوجية · اذ فى مضاعفة الرعاية للزوجة عندئذ حرص على تنشئة الأولاد تنشئة بعيدة عن الاضطراب والقلق ، وفى جو يسوده الهدوء والمحبة فى العلاقات ، وتبادل الرأى فى التوجيه ، والبعد بالأولاد عن جو القلق والاثارات ، والكراهية ، هو خير ما يقدمه الوالد الى أولاده فى تربيتهم · فالأكل الكثير قد يتخمهم ·· والملبس الوفير قد يرفههم ·· والحيطة الشديدة وفرضها على حركاتهم قد تدفع بهم الى العزلة أو الى الضعف فى جانب ما فى حياتهم ·

وفى الوقت نفسه هذه الرعاية المضاعفة للزوجة تساعدها مساعدة نفسية قوية على أداء واجباتها نحو الأولاد ·· ونحو الزوج ·· ونحو الأسرة كلها ·· والأمومة ــ وقد فرضت على المرأة بحكم طبيعتها ــ ليس من السهل مباشرتها وأداؤها ، فهى مهمة شاقة من الوجهة النفسية والمادية · والأم فى حاجة قطعا الى معاونة من زوجها على الأخص وفى الجانب النفسى قبل غيره ، كى تؤدى دورها فى الأمومة ·

كيف تنقل الأم عاطفة الحنان الى ولدها أو تتبادل معه هذه العاطفة عند ارضاعه من ثدييها وهى مرهقة نفسيا ، ومعذبة بدنيا من أقرب انسان لها فى الحياة وهو زوجها الذى وقف على كل أسرارها وأصبح يحتقرها ويعاملها كأنها حيوان يدفع بضجيج الصوت أو بالهاب السياط ؟

كيف تسرى الأم عن أولادها بقصة لعب فيها الخيال البناء دورا واضحا فتجمع تفكيرها ، وهى مشتتة الذهن . تعيش لحظاتها فى خوف مما يأتى به زوجها عند قدومه الى المنزل من ألوان المكروه والأذى النفسى على الأقل ؟

ان القرآن جعل للزوجة ان تضررت بالعشرة الزوجية : حق الخلع والافتداء · فترفع أمرها الى القاضى ، معلنة تنازلها عن الصداق كتعبير عن عدم الرغبة فى معاشرته · وهذا الحق لها كحق الرجل فى الطلاق · فان ثبت

---

(١) الروم : ٢١ ·

الضرر من جانب الزوج ولم يطلقها بناء على أمر القاضى له ، طلق عنه القاضى طلقة تبين بها بينونة صغرى لا يحل لها أن ترجع الى زوجها الا بعقد جديد ومهر جديد · يقول تعالى : « **فان خفتم الا يقيما حدود الله** (اى الزوجان ·· وهى الحقوق والواجبات المتكافئة فى الحياة الزوجية) **فلا جناح عليهما فيما افتدت به** (أى الزوجة من مالها) » (١) ··

أما تضرر الأولاد بالطلاق فانه لا يقل عن تضررهم بالمعاشرة غير الانسانية التى يرون فيها أمهم تضرب وتعذب وتؤذى كل يوم من أبيهم · بل ربما ما يعود على تنشئتهم من ضرر فى حال المعاشرة السيئة أعمق بكثير مما يعود عليهم من طلاق أمهم ، وفراق أبيهم لها ·

★★★

٥٤ ـ الزوج كثير الحلف بالطلاق ، وسبب لعدم الاستقرار فى الأسرة :

ما ذنب الزوجة الصالحة التى اعتاد زوجها الحلف بالطلاق ، وطلاق يقع وطلاق يرد ، والأسرة مع ذلك مضطربة وجلة ، وما علاج هذا النوع من الأزواج ؟

● اذا كان الله فى كتابه الكريم قد جعل من أهداف الزوجية : السكنى والاطمئنان فى العلاقة الزوجية ، اذ يقول : « **خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها** » (٢) · فمطلوب من الزوج والزوجة معا السعى لتحقيقها فى حياتهما وحياة أولادهما عندما تكون لهما أولاد ·· مطلوب من الزوج أن يكون صاحب مسئولية صريحة عن الأسرة فى اطمئنانها وفى ابعاد عناصر الازعاج والقلق ، بقدر ما يمكن للانسان ·

والطلاق الذى شرعه الله للزوج ليس وسيلة للارهاب والتخويف ، وانما هو تعبير عن الفرقة عندما تتعين الفرقة دفعا لأضرار الحياة الزوجية بينهما ، وان دل الحلف بالطلاق والاكثار فيه على شىء فانه يدل على عدم ثقة من يحلف به ، بنفسه · ومن لا يثق بنفسه لا يكون مصدر ازعاج للأسرة بكثرة حلفه فقط ، وانما كذلك هو مصدر ازعاج لها ، بعدم حسمه للأمور ، وتردده فيما يجب عليه الفصل فيه ·

---

(١) البقرة : ٢٢٩ ·　　　(٢) الروم : ٢١ ·

وطالما كانت الزوجة صالحة فان صلاحها كفيل بأن يكون نصيبها فى تحقيق السكنى : نصيبا موفورا • والزوجة الصالحة هى التى يحددها حديث الرسول عليه الصلاة والسلام بأنها : « التى تسره اذا نظر اليهـا •• وتطيعه اذا أمرها •• ولا تخالف فى نفسها ولا مالها بما يكره » ••

على أن الطلاق ان حمل معنى التهديد للآخرين فانه لا يقع •• اذ وقوعه مشروط بنية الفرقة والقصد الى انهاء الحياة الزوجية • ولذا لا يقع طـلاق المكره •• ولا طـلاق السكران •• لفقدان القصد منهمـا الى انهاء الحيـاة الزوجية عندئذ •

والزوجة السائلة فى هذا السؤال لها أن تطمئن ، طالما زوجها يحـلف بالطلاق تهديدا وتخويفا •

ولكن المشكلة هى مشكلة أخلاق الزوج ومشكلة عدم ثقته بنفسه • وهى مشكلة كثيرين فى مجتمعاتنـا الشرقية الاسـلامية • مع أن التوكل على الله – من بين وصايا الاسلام – عامل قوى فى ايجاد الثقة بالنفس وعدم الخوف من أى موجود سوى الله تعالى •

والتوكل على الله ليس تواكلا . وليس اغفالا للطاقة البشرية فى الانسان، لأنه يتحقق بأمرين :

الأمر الأول : دراسة الموقف الـذى يتخذ ، وتحليـل عناصره الايجابية والسلبية وترجيح جانب معين فيه يعيد عن السلبية •

الأمر الثانى : مباشرة تنفيذه بعد الاعتماد على الله • فالاعتماد عـلى الله الآن هو التوكل عليه • ومعنى الاعتماد على الله فى التنفيذ : تجنب الهوى واستبعاد الحمق والجهالة وارتياد خطوات الحكمة فى التنفيذ • فكل ما يتصل بالله حسبما تنصح به هدايته فى كتابه هو : بعيد عن الشر والسوء والضرر •

والتوكل على الله لا ينجح الا من مؤمن بالله ، فالمؤمن بالله وحده هـو الذى لا يلح فى الحصول على الدنيا ومتعها • ومن ثم لا يترقب ضررا يزعزع ثقته بنفسه فى كل ما يقدم عليه من تصرف وعمل •

وهكذا : علاج هذا النوع من الأزواج هو الرجوع الى الله ، والايمان به ايمانا لا يجعل لشىء سواه منزلة فى قلبه •

★ ★ ★

٥٥ ـ زوج يحول دون اتمام تعليم زوجته ثم يطلقها بعد ان ينجب منها ليتزوج باخرى :

تزوجني ومنعني ان اتمم دبلوم المعلمات ، بحجة انه ليس في حاجة لأن اعمل ثم تركت بلدى ـ بالوجه البحرى ـ وعشت معه في محافظة نائية بالوجه القبلى ٠٠ وانجبنا ثلاثة اطفال ٠ وكان له اخ استشهد فطلقني وتزوج امراة اخيه ، وتركني واولادى ٠٠ فما الراى ؟

● السائلة هنا تذكر ثلاثة أمور فى سؤالها :

١ ـ تذكر أن زوجها منعها من أن تستمر فى الدراسة حتى تحصل على دبلوم يعطيها فرصة امكان مباشرة العمل بأجر عليه ٠ اى انه حال بينها وبين امكانية ان تساعد نفسها اقتصاديا عندما تحتاج الى مساعدة ٠ واوصلها الى وضع أن تسد حاجتها من غيرها : من زوج ان كان لها زوج ، أو عمل هو ادنى فى قيمته وفى أجره من العمل الآخر الذى كانت ستباشره ٠

٢ ـ وأن زوجها لم يكن وفيا لها ٠ ففى الوقت الذى ارتضت أن تعيش معه ، وأن تكون شريكة حياته فى أى مكان يعمل فيه ، ولذا انتقلت من بلدها (بالوجه البحرى) الى محافظة نائية بالوجه القبلى : يتركها بعد أن يطلقها ويتزوج بغيرها ٠

٣ ـ وانه يقف موقف اللامبالاة من أولاده الثلاثة منها ، تاركا رعاية امرهم الى القدر ٠

هذه الأمور الثلاثة دفعته اليها رغبته فى الزواج بأرملة شقيقه الشهيد ٠ وربما هذه الرغبة لم تكن متوفرة لديه من قبل استشهاد أخيه وحصول أرملته على « تعويض » سخى من الدولة ٠

ومن اية زاوية من زوايا هذا الوضع الذى تحكيه السائلة ، تحاول منها تحليل نفسية الزوج وتوضيح الدوافع عنده اليه : فلا نجد الا انه يغريه المال ، وان تأثير اغرائه يكاد يصل الى درجة أن ينسى تماما كل الروابط الانسانية التى كانت بينه وبين زوجته المشاركة المسالمة ٠٠ وبينه وبين أولاده الثلاثة ومستقبلهم القلق ٠

● وموقفه الآن من زوجته السائلة هو أكثر من اعتداء وتحطيم لامكانياتها البشرية ومن حجب لنور الأمل فى حياتها المقبلة ٠ وموقفه من أولاده اكثر من اهمال فى الرعاية لشانهم ٠

وهو اذا لم يكن وفيا لزوجته أم أولاده فيترقب أيضا أن يكون غير وفى مع زوجة أخيه الشهيد ·· اذ بعد أن يتمكن من المال الذى وصل اليها سيدير لها ظهره فى أى شكل وفى أية صورة ·

والرجـل اذا كان قليل الوفـاء أو عديمه فلا يرجى منه الخير لأولاده وأسرته ولا يرجى منه الخير كذلك لنفسه · والاسلام يربط بين نجاح الانسان فى حياته ووقاية نفسه من الشح ، فى قول الله تعالى : « **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » (١) ··

والمراد بالنجاح هنا سلوكه المسلك الانسانى الكريم فى معاملة الآخرين معـه والبعد فى هذا المسلك عن كل ما يؤذى ويضر الذات أو الآخرين ·

والشح يعتبر اهم ظاهرة فى جاهلية الانسان وبعده عن الهداية الالهية ، وهو نتيجة لحب المال وجمعه ، واتخاذ كل سبيل لتحصيله · ومن فى طبيعتهم الشح يشغلون أنفســهم بتكثير المال وحـده : « **ألهاكم التكاثر · حتى زرتم المقـابر** » (٢) ·

والسائلة وقد ابتليت بمثل هذا الزوج الذى ألهاه حب المال ، سيكشف الله عنها البلاء ، ويفرج كربتها ، ان هى صبرت وتوكلت عليه ، وتروت فى اختيار الطريق لحياتها المقبلة ·



٥٦ ـ الاكراه على الزواج ، وسوء عاقبته :

زوجنى أهلى وانا صغير ، استجابة لرغبة والدتى · ولم تعجبنى زوجتى ابـدا ولم أرض عنها · وزادت عيوبها فى نظرى عندما لمست جهلها ، وعـدم استماعها للكلام والنصح حتى للصلاة · وانا اريد الانفصال عنها ، فمـن العسير الحياة مع انسان لا تحبه فما الرأى ؟

● أن مشكلة السائل تعود الى بعض العادات الأسرية فى مجتمعـاتنا الشرقية التى يجب أن تتغير ، تعود الى رغبة الوالد او الأسرة فى التعجيـل فى أن يفرح الأهل ـ كما يقال ـ بزفاف ابنهم الوحيد ، أو البكر ، قبل وقت

---

(١) الحشر : ٩ ·

(٢) التكاثر : ١ ، ٢ ·

النضوج لتحمل المسئولية واختيار الزوجة · وكثيرا ما تكون الزوجة قريبة للأب أو الأم ، أو ابنة الجيران ·

ومن نتائج هذه العادة : احساس الزوج بعد فترة من الوقت بعدم الرغبة فى معاشرة زوجته ، أو وقوع اختياره على زوجة ثانية تكون اقرب الى نفسه من زوجته الأولى · ولكى يتخلص من هذه الزوجة الأولى يسىء عشرتها او يلتمس من تصرفاتها أسبابا يبرر بها رغبته فى الانفصال عنها أمام أسرته وأهله ، أو يقنع بها نفسه فى طلاقها ·

والجانى اذن على هذه الأسرة فى التفرقة بين الزوج وزوجته هو تحكم هذه العادة · وهى عـادة تزويج الابن فى سـن مبكرة قبل ان يدرك الزواج ومسئولياته ·

ان الانسان قبل سن الرشد يمر بمرحلتين : مرحلة الطفولة ، ومرحـلة المراهقة · وزواج الولد فى سن المراهقة كثيرا ما يسىء الى مصيره ومستقبله ، كما يسىء الى العلاقة الزوجية · لأنه فى هذه المرحلة يتصرف وينظر الى الحياة تحت تاثير الغريزة الجنسية وحدها · فاذا خف ضغط هذه الغريزة عليه فيما بعد ابتدأ يتحول فى موقفه وفى نظرته الى الأمـور فى بيئته وعالمه · وأول ما يتأثر بهذا التحول : مستقبله ، وعـلاقته بزوجته · فقـد يتكشف له خطا الطريق الذى سلكه فى تحديد مستقبله · كما قد يخف فى نفسه وزن الزوجة التى ظن يوم أن تزوجها : أنها شريكة حياته ·

ومن هنا ارتباط المراهقين والمراهقات بعلاقة ما يسمى بالصداقة ، أمـلا فى تحويلها الى عـلاقة زوجية فى وقت متأخر هو ارتبـاط قائم على اندفاع بوحى الغريزة الجنسية · فهو ارتباط خادع قلما يصدق فى مستقبله · وغالبا ما ينتهى بمآسى تتأثر بها البنت والولد على السواء ·

والعاقل من الآباء وأولياء الأمور هو الذى يتريث فى الموافقة على زواج ابنه أو ابنته الى ما بعد فترة المراهقة ، وبعد التحسس لاستقلال الولد أو البنت فى الرأى والموقف من مشاكل الحياة اليومية أولا ·

ورغبة الزوج فى طلاق زوجته هنا لا يقف دونها مانع شرعى ، طالما هو مقتنع بأن استمراره فى العلاقة الزوجية معها قد يسىء اليها واليه معا · بـل على العكس ان تاكد أنه سيسىء اليها ان استمرت معه فى علاقة زوجية ، فيجب

عليه أن يطلقها منعا للضرر • فالحياة الزوجية يطلب الاسلام فيها أولا حسن المعاشرة : « **وعاشروهن بالمعروف** » (١) •

ثم الزوج في نظره بعد ذلك مخير بين الامساك بالمعروف أو التسريح باحسان : « **الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف ، أو تسريح باحسان** » (٢) • ولا تخشى الزوجة شيئا الآن من الطلاق • فالله هو الذى يتكفل بها ، كما يتكفل به : « **وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما** » (٣) •

***

٥٧ ـ زوجة تشكو من أبيها الغنى :

انى متزوجة من ابن عمى ، وأبى غنى ميسور • وزوجى موظف بالحكومة وعندنا أولاد • وحينما وقعت فى ضائقة مالية طلبت من أبى أن يقرضنى بعض المال فوافق ، ثم عاد فرفض •• فما الرأى فى هذا الوالد الجشع ؟

● ان السائلة فى الوقت الذى تصف أباها فيه : بأنه جشع ، تقر ضمنا بأن أباها هذا كان على حق عندما امتنع أخيرا عن أن يقرضها المبلغ المطلوب •

أبوها رجل ميسور •• وهى ابنته وزوجة لابن عمها • لماذا لم تكن هى قد اتفقت مع ابن عمها وزوجها على أن لهما حاجة الى مبلغ معين ـ وهما فى الواقع لم تكن لهما حاجة اليه ـ وعلى أن تطلب هى من أبيها هذا المبلغ فى صورة قرض ؟ والدافع الحقيقى الى هذا الاتفاق هو حرصهما معا على الاستفادة من ثراء أبيها فى حياته بسبب أو بآخر • وأبوها عندما وافق أولا على أن يقرضهما المبلغ المطلوب استجاب لطلبهما لأول وهلة ، محسنا الظن بهما • ثم عندما اتضح له بعد ذلك : أن ليست لهما حاجة فى واقع الأمر رفض أن يقرضهما المبلغ • ووصف ابنته له بأنه جشع عندئذ تعبير منها عن غضبها النفسى ، لأنه كشف بالرفض سر الاتفاق بينها وبين زوجها •

والملوم اذن ليس الوالد •• وانما الأنانية والرغبة الملحة للحصول على المادة التى دفعت السائلة وزوجها للتآمر على أبيها •

---

(١) النساء : ١٩ •
(٢) البقـرة : ٢٢٩ •
(٣) النساء : ١٣٠ •

وهذا الأسلوب في المعاملة أسلوب سيء في ذاته ، وبالأخص بين الأقرباء ·· والجشع في الثلاثة : الأب ، والابنة ، وزوجها · وليس الأب · وانما الابنة أو الزوج أو كلاهما ·

ويجب أن تعرف السائلة انها بانتقالها الى ولاية زوجها تفقد ــ مسئولية الانفاق عليها من أبيها ــ وماله هو مال أجنبي بالنسبة لها ، الى ان تحل لحظة وفاته · وعندئذ يتعلق حقها بما يتركه لورثته ، ان ترك لهم شيئا ترتبط بـه حقوقهم ·

وليس هكذا أسلوب الاحسان الذى يأمر به القرآن فى معاملة الأبناء لوالديهم اذ يقول : « **اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ، ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما · واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** » (١) · فهل وصف الأب بأنه جشع قول كريم ؟ وهل محاولة الابتزاز هذه تدخل فى مفهوم الرحمة ؟ ·

وفى تقديرى لو أن زوج السائلة كان يعرف معنى المروءة ، ويشعر بالمسئولية الزوجية ، ويعتز بكرامته الانسانية لما ترك زوجته تؤلف هذا الفصل الخاص بقرض المال من أبيها ، فضلا عن أن يحملها عليه · فالزوجة فى النهاية امرأة تتجاذبها عواطف عديدة : أدناها عاطفتها نحو أبيها اذا كانت فى ولاية رجل آخر ·

ومن أجل عاطفة البنوة نحو الآباء والأمهات قرن القرآن طلب الاحسان من الأبناء نحو أبويهم ، بعبادة الله وحده فى قوله تعالى : « **وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا** » (٢) ·

* * *

٥٨ ــ أب يقسو على ابنه لصالح اخوته من أم أخرى :

افترقت أمى عن أبى من غير طلاق ، وتركنى أبى واياها وعشت معها حتى صار عمرى خمسة عشر عاما · ثم ماتت · وذهبت للبحث عن أبى · فما أن وجدنى حتى أخذ منى اقرارا بأنى لا أستحق من ملكه شيئا · ثم كتب كل ما يملك لأولاده الآخرين من أم أخرى · فهل بعد موته أستحق شيئا من ميراثه ؟

● اذا كان الأب قد كتب كل ما يملك لأولاده الآخرين من أم أخرى ، فلم

---

(١) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤ · (٢) الاسراء : ٢٣ ·

يترك شيئا بعد وفاته تتقاسمه ورثته · فلا السائل ، ولا اخوته الآخرون من أم أخرى يرثون شيئا عندئذ ·

والمسألة الآن ليست مسألة الملك والمال ·· ليست مسألة التركة والميراث· وانما مسألة أبوة الأب لأولاده : كيف لا يسأل أب عن ولده طول هذه المدة التى عاشها السائل مع والدته الى أن ماتت وهو فى سن الخامسة عشرة ؟ كيف لا يتعرف أحواله فى هذه الفترة ، مهما كان مبغضا لوالدته ، أو مهما لم يكن على وفاق معها ؟

لم يرد فى القرآن اطلاقا ما يرغب الوالد فى أولاده ، وما يحمله على رعايتهم والانفاق عليهم · وكل ما ورد فيه خاصا بالآباء فى علاقتهم بأولادهم : أن حذرهم من الافتتان بهم وبالمبالغة فى حبهم والعطف عليهم الى درجة تدفعهم للعبث والفساد : « **واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم** » (١) ·

لم يرد فى القرآن هذا الترغيب للآباء نحو ابنائهم ، اعتمادا على الميل الطبيعى والفطرى فى الانسان كأب نحو ابنه · فهذا الميل الفطرى فى أبوة الأب قوى بحيث يجب أن يخضع لرقابة ذاتية ، حتى لا يطغى فى الأب فيفسد الابن ، ويشقى الأب بطغيان هذا الميل فيه ·

قد يختلف ميل الأبوة فى الأب نحو أولاده : فهذا الابن مثلا مقرب الى نفس أبيه ، أكثر من ذاك الآخر · ولكن لا يصل اختلاف هذا الميل فى الأب الى درجة نسيان أحد أبنائه أو اهماله وترك أمره وعدم لقائه ، ثم عند لقائه بعد غيبة طويلة يحمله على أن يكتب تنازلا عن حقه فيما يملك امعانا فى اهماله ونسيانه واخراجه من دائرة البنوة له ·

والسائل وهو ابن لهذا الأب ، ولكن من زوجة سابقة ، لا ينبغى أن يعنى بالسؤال عن حقه فى ميراث أبيه بعد وفاته ، طالما ان اباه أخرجه من دائرة أبنائه فى العاطفة والرعاية الأبوية ، قبل اخراجه من هذه الدائرة فيما يتصل بالملك والارث ·

ان هذا الأب قد تجرد تماما فى علاقته بابنه السائل من كل ما يتصل بالأبوة الا الجانب العضوى ·· الا الجانب الحيوانى فيه ·

---

(١) الأنفال : ٢٨ ·

اما الجانب الانسانى فى أبوة الأب لأبنائه فلم يدخر منـه شيئا لهـذا الابن · وأولى بالسائل أن يتجـه الى الله سبحانه ، فهو نعم المولى ونعم النصير ·· وهو الرازق والباسط فى العطاء او المقدر فيه ·

واذ يجب عليه الآن أن يترحم على والدته ، فيجب عليه أن يأخذ مـن مأساته مع والده عبرة ، تحمله على الجد فى الحياة ، والكفاح فى السعى نحو تطور أفضل لامكانياته البشرية ·

اما الأب فيجب أن يعلم أن الله قـد يفوت عليه هدفه فى حمايته لأبنـائه الآخرين من زوجته الحاضرة : لأنه لم يتق الله فيما صنعه نحوهم ونحو ابنـه الآخر من التفرقة على هذا النحو اللاانسانى · ان ما يجب أن يتركه الوالد لأولاده هو رصيد من عمل الخير وتقوى الله ، قبل رصيد المال والملك ·

★★★

٥٩ ـ ولد طلق زوجته ويطلب النفقـة من أمه :

انى أم لأربعـة أولاد : ثلاثة ذكور وبنت · والكل يعمل · والكل يسـهم فى مصالح البيت ونفقاته الا واحدا منهم كان متزوجا وطلق امرأته · فهـل على الأم أن تنفق عليه ؟

● يبدو أن الابن الذى طلق زوجته ، ولا يشارك الآن فى نفقات المنزل أسوة باخوته انانى فى تفكيره ، وفى تصرفه ·· ويبدو كذلك أن هذه الأنانية كانت السبب فى الفرقة بينه وبين زوجته السابقة · اذ الأنانية ـ وهى الحرص على الذات وحدها فى المتعة ، وفى السعى فى هذه الحياة ، دون الاهتمـام بموجود آخر عدا الذات هى مصدر الشر للانسان ، أو هى شيطانه الـذى يوسوس له بالشح ، أو على الأقل بالبخل فى سبيل الآخرين ·

وبغض النظر عن أن هذا الابن يجب أن يسهم مع الآخرين من اخوته فى نفقـات أمـه تطبيقا لمـا يأمر به القرآن فى قـول الله تعالى : « **وبالوالدين احسانا** » (١) · فانه كشريك فى السكنى فى المعيشة معهم يجب أن يدفـع نصيبه كنصيب أى واحد من الآخرين · فامتناعه الآن عن المشاركة يجعـل الباعث على تصرفه غير انسانى · وذلك مما يسىء اليه هو ، وليس لأمه ·

---

(١) الاسراء : ٢٣ ·

وكان المنتظر ــ وقد سبق له أن تزوج بعد أن بلغ رشده ــ أن يكون قدوة فى بر والدته • فلا يسهم فحسب فى الانفاق عليها • وانما يعلن استعداده لقيامه بسداد كل ما تحتاج اليه فى معشيتها • وهنا يكسب مودة والدته واخوته ، قبل أن يكسب احترامهم اياه • والجزاء الأوفى الذى يلقاه الانسان عند مباشرته العمل الخير والصالح هو احترام الناس له وتوددهم اليه •

ولكن يشاء الله أن تبقى بعض النفوس البشرية بعيدة عن مباشرة الخير ، ولو للأقربين • اذ النفوس من حيث فطرتها وخلقها مهيأة : اما للمعصية والشر ، او للطاعة وعمل الخير • والانسان هو الذى يوجه ذاته : اما لهذا الاتجاه أو ذاك :

« قد افلح من زكاها (أى نمى نفسه وطهرها بعمل الخير) ،

وقد خاب من دساها (أى أخفى نفسه بالمعاصى والآثام) •• » (١) •

فمنطق الحياة ضد تصرف هذا الابن • والدين كذلك ضد تصرفه : فلا اشتراكه الفعلى فى المعيشة معهم ، ولا احساسه بالبنوة لوالدته ، مما يدفعه على تغيير عادته فى البخل أو على تجاوزه دائرة ذاته الى دائرة الآخرين معه • والله وحده نسأله أن يهديه الصراط السوى ، وهو صراط الانسانية فى التعامل والترابط مع الآخرين •

★★★

٦٠ ــ زوج يشكو من ضرب زوجته لأمه :

حدث نزاع بين أمى وزوجتى ، وتعدت زوجتى على أمى بالضرب ، واحدثت بها اصابات ، ولما حضرت وعلمت حلفت بالطلاق بأنها لا تكون لى زوجة • وقد سبق لى مثل هذا معها ، ولى منها خمسة أولاد • فما الرأى ؟

● الحلف على ان زوجته لا تكون له زوجة مستقبلا ، ان هى باشرت الفعل الذى أغضبه ، هو طلاق مشروط بشرط ، وفى الوقت نفسه تهديد للزوجة •

والطلاق المشروط لا يقع • والطلاق للتهديد لا يقع كذلك • لأن شرط وقوع الطلاق أن يكون ناشئا عن نية الفرقة بين المطلق وزوجته • وليست هنا نية قائمة على الفراق اذ الطلاق تعبير لا غير عن هذه الفرقة المنتواة •

---

(١) الشمس : ٩ ، ١٠ •

يضاف الى ذلك أن الزوج هنا حلف وهو فى حال غضب · ووقوع الطلاق ـ كما سبق ـ مشروط بالارادة والمشيئة · والغضبان يطغى انفعاله على ارادته ومشيئته ·

على أن السؤال هنا يصرح بأن الزوجة قد تعدت بالضرب على أم الزوج مما سبب لها اصابات · فهل الزوجة عند تعديها فقدت كل اعتبار لحماتها ولزوجها ؟ أو أن الزوج ضعيف الشخصية فى نظر زوجته ونظر أمه على السواء ؟ وأية واحدة منهما لا تعير موقفه أية أهمية ، وبقيت بينهما بعد ذلك قوة العضلات وسلاطة اللسان عند النزاع واللجاجة فى الجدل والخصومة ؟

أغلب الظن أن الزوج ضعيف الشخصية · وضعف شخصيته هو الذى وضع زوجته أمام أمه وجها لوجه · وكل منهما تريده وتحرص على أن يكون لها وحدها · ولذا مجال الخصومة بينهما أوسع مما لو كان الزوج ذا شخصية قوية يمكنه بها أن يحدد لكل منهما دائرته التى يتحرك فيها · وبذلك يكبت التناقض بينهما على الأقل ·

والرأى أن القدر هو الذى سيفصل فى هذه المشكلة · اذ أغلب الظن أن الصراع بينهما سيستمر والضحية فيها هو السائل نفسه وأولاده الخمسة · اذ سيظل الجميع فى شقاق : الزوجة وأمه ، وفى شقاء وعدم استقرار فى الحياة الأسرية ·

★★★

٦١ ـ الزواج ـ والعقم :

قال لى الأطباء : انى عقيم · فهل يجوز لى الزواج :

● ان الحكمة من خلق الذكورة والأنوثة بين الناس ، كما يوضحها القرآن الكريم أمران :

الأمر الأول : الكثرة العددية ، عن طريق استمرار النسل : « **والله جعل لكم من انفسكم ازواجا** (أى ذكورة وأنوثة) **وجعل لكم من أزواجكم** (أى من الذكورة والأنوثة فيما بينكم) **بنين وحفدة** (أى أجيالا متلاحقة) » (١) ·

---

(١) النحل : ٧٢ ·

الأمر الثاني : الجانب النوعي · وهو أمر نفسي ، يتمثل في الاطمئنان ، وفي المودة وفي رحمة كل منهما للآخر : « **ومن اياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة** » (١) ·

والقران بين الرجل والمرأة يستهدف تحقيق حكمة الله في خلقه الزوجين في الانسان · يستهدف الاطمئنان ، والمودة ، والرحمة مرة ، وقد يتحقق به مع ذلك العدد والكم عن طريق النسل ، وقد لا يتحقق ذلك : « **لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء اناثا ، ويهب لمن يشاء الذكور · أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما** » (٢) ·

فاذا فات من به عقم أن يحقق من قرانه : الكم والعدد ، أي النسل ، فانه لا يفوته أن يحقق بهذا القران ، الهدف النفسي له · وهو الاطمئنان والمودة والرحمة وهو هدف له قيمته في حياة الانسان ، وله أثره فيما يسمى بمعنويات الانسان ·

ولكن اذا أقبل من ثبت من الوجهة الطبية أن عنده عقما ، على خطبة امرأة يجب أن يصارحها بما لديه قبل أن يتم قرانه بها · فعقد النكاح كأي عقد بين طرفين يجب من وجهة نظر الاسلام — أن لا يكون به جهالة ، كما يجب أن يكون بعيدا عن الخداع · فاذا قبلت المرأة بعد مكاشفتها بأمر العقم ، أن تتم قرانها به ، كان عقدا صحيحا وبالتالي لا ينطوي على ضرر لأي من الطرفين · والعقم من أجل ذلك لا يكون حائلا دون القران الصحيح الا من وجهة نظر المرأة · حتى لو كاشفها به الزوج بعد اتمام القران بها ورضيت به ، فان رضاها عندئذ يبعد المانع دون استمرار الزوجية ·

واذا كان الله قد ربط بالقران بين الزوجين : هذا الهدف المزدوج ، فان نعمته على الزوجين قد لا تكون بهما معا ·· لأنه سبحانه عندما يوزع نعمه — وهي عديدة — على الناس لا يعطيها كلها لفرد ، أو لبعض الأفراد دون بعض ، وانما يعطي ما يشاء منها لمن يشاء من الناس · وهنا تتفاوت الناس في النعم : من يملك المال قد لا يملك الصحة ·· ومن له الأولاد النجباء ، ليس له : لا المال ·· ولا الجاه ·· ومن ليس عنده أولاد قد يكون صاحب جاه ونفوذ ·· ومن له العلم ليس لديه المال والولد ··

وهكذا : سبحانه جلت قدرته ··

★★★

---

(١) الروم : ٢١ ·

(٢) الشورى : ٤٩ ، ٥٠ ·

٦٢ ـ زوج يجمع بين الأم وابنتها من غيره :

تزوج رجل مسلم امراة مطلقة ، ولها ابنة من رجل آخر رباها ، ثم تزوجها وأصبحت هي وأمها على ذمة الرجل • فما حكم الاسلام في هذا ؟

● **الآية القرآنية الكريمة التي تقول :**

« حرمت عليكم أمهاتكم ، وبناتكم ، وأخواتكم ، وعماتكم ، وخالاتكم ، وبنات الأخ ، وبنات الأخت ،

وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم ، وأخواتكم من الرضاعة ،

وأمهات نسائكم ،

وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم » (١) •

هذه الآية صريحة في فقرتها الأخيرة بحرمة الزواج من ربيبة الزوج ان كان قد دخل الزوج بأمها • وربيبة الزوج هي ابنة زوجته من أب آخر ، ربيت في بيته هو ، في رفقة أمها عنده •

هذا حكم الاسلام • ولا أخال الزوج الذي جمع بين الأم وابنتها في زيجته يجهل هذا • اذ ذلك أمر واضح قلما يحتاج الى مراجعة •

ولكن الجاهلية أو المادية تعمي الناس عن تقدير الروابط الانسانية ، وتحملهم على تجاهلها ، كسبا لمتعة وقتية • اذ كيف يتجاهل الزوج احساس زوجته : أما ، أو بنتا لها ، بالنسبة للأخرى ، عند معاشرة أية منهما معاشرة جنسية ؟ أي احساس يخالط الزوجة منهما آنئذ ؟ • انه يجردهما معا من الانسانية ، بعد أن تجرد هو منها قبلهما بزواجه منهما معا • كيف يحول عاطفة الأمومة نحو ابنتها الى احساس بالكره والغيرة منها ؟

كيف يحول عاطفة البنت نحو أمها الى احساس بالبغض وربما الى سعي الى الانتقام من أمها ؟ اذ كان الأولى بأمها أن تتركها تستمتع بشبابها ، كما تتصور هي الآن • فهي أصغر سنا ، وقد دخلت حياة الرجل منذ قريب •

ان المجتمع الاسلامي اليوم طغت عليه الموجة المادية المعاصرة • وهي

---

(١) النساء : ٢٣ •

تلك الموجة التى تنكر كل القيم الانسانية من المحبة ، والمودة ، والمعاونة ، والصفاء ، والمشاركة فى السراء والضراء ٠ واذا ازداد طغيان تلك الموجة المادية فانها تدفع الى استباحة كل وسيلة فى سبيل المتعة . والمنفعة الخاصة : تستبيح الاغتصاب ٠٠ وجمع المرأة بين زوجين فى وقت واحد ٠٠ وجمع الرجل بين الأم وابنتها ، أو الأخت وأختها فى زيجة واحدة ٠ وهكذا ٠ كما تدفع الى السلب وصنوف الباطل والعبث ، طالما من وراء ذلك مصلحة أو متعة وقتية ٠

والاسلام بالنسبة للمسلمين الحاضرين ـ عند طغيان هذه الموجة ـ ليس دينا يتبع ومنهجا يطبق فى سلوك المسلمين وعلاقات بعضهم ببعض ٠ وانما هو مصدر يتعرف منه ما كان عليه أسلافهم ٠٠ وقلما يعتزون بهم ٠

الحيوانية بكل ما لها من أبعاد أصبحت أهم ظاهرة لحضارة الموجة المادية المعاصرة ٠ وكلما طغت المادية كلما انحسر الاسلام من مجالات الحياة العامة والخاصة على السواء ٠

★ ★ ★

٦٣ ـ الخلوة بين الرجل والمرأة ، فى غير حضور أحد من محارمها :

ما حكم الله فى الالتقاء بفتاة أرغب الزواج منها لأعلم رأيها ، وذلك فى غير حضرة أحد من محارمها ، على أن أخطبها من وليها بعد ذلك ؟

وما رأى الاسلام فى الحدود التى تسمح بلقائى بالفتاة التى اخطبها ؟

وما هى مسئوليتى فى نظر الشرع عن ظهور العروس فى الفرح بزينتها التى حرمها الله أمام الناس ، حتى ولو طلبت من أهلها ظهورها بلباس يرضى الله ؟

● أما عن الشق الأول ، وهو التقاء الرجل بالمرأة فى غير حضرة أحد من محارمها فهو منهى عنه ، حسبما جاء فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلو بامرأة ليس معها ذو محرم منها ، فان ثالثهما الشيطان » ٠٠٠ فخلوة الرجل بالمرأة لا يقرها الاسلام ولو كانت هذه الخلوة للتعرف على رأى كل منهما فى زواج أحدهما بالآخر ٠

والحديث هنا اذ يعلل النهى عن الخلوة بقول الرسول : « فان ثالثهما الشيطان » ٠٠ يعطى الاشارة الى أنه قد تكون هذه الخلوة بداية فتنة يتورط فيها الرجل والمرأة معا ، أو على الأقل تضعف فيها المرأة وتخدع بسراب الاغراء ٠

واختبار لجدية الرجل فيما يتعلق باختيار المرأة كزوجة أباح الاسـلام له أن يتعرف عليها فى حضرة أحد محارمها ، وأن يحدثها ، وأن ينظر الى وجهها وكفيها أكثر من مرة · وسمى ذلك خطبة · والرجل والمرأة على السواء كلاهما يمكن أن يحس بشعور القبول أو الرفض من تبادل الحديث ، أو تبـادل النظرة الى الوجه · بل ينصح الحديث الشريف فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام للمغيرة بن شعبة رضى الله عنه وكان قد خطب امرأة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » · ينصح بالنظـر كأساس لدوام العلاقة بين الاثنين فيما بعد ، اذا ما التقيا على القبول ·

● وعن الشق الثانى من السؤال وهى الحـدود التى تسمح بلقـاء الرجل بالمرأة بعد خطبتها فهى تلك الحدود التى تحدد جو الخطبة نفسها · أى أن يكون لقاؤهما فى حضرة محرم لها ·

وربما يبدو رأى الاسلام هنا غريبا فى عالمنا المادى اليوم الذى يؤكد استقلال المرأة وحريتها فى التصرف فى بدنها ومستقبلها · ولكن الاسلام يريد برأيه هذا : أن يوفر للمرأة احترامها ، وكرامتها ، وآدميتها · فان تزوجت فقد دخلت العلاقة الزوجية بذات مصونة عن الاستغلال ، وبعيدة عن الابتذال · وان بقيت بغير زواج بقيت وهى لا تندم على خطيئة أوصلتها الى المهانة ، أو على حماقة نتيجة اغراء لعديم الانسانية معها ·

● أما عن الشق الثالث والأخير من السؤال وهو مسئولية الزوج عن ظهور زوجته متبرجة ليلة زفافها ، فالقرآن ينهى عن التبرج ، وهو الامعـان فى اظهار مفاتن البدن سواء بتجسيم البدن فى الملبس أو بزينة المزين فى الوجه والشـــعر ·

؛ قول الله تعالى والخطـاب لزوجات الرسـول عليه الصلاة والسلام : « **وقـرن فى بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » (١) · فنهى القرآن هنا عن التبرج قائم على أساسين :

الأساس الأول : أن بدن المرأة كله يعتبره زينة لها ، كما يعتبره مصدر فتنة واغراء للآخرين ما عدا ما يظهر منه بالضرورة فى تحركها · ولذا ينهى عن أن تبدى المرأة شيئا من بدنها مما سماه زينة : « **ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها** » (٢) ·

---

(١) الأحزاب : ٣٣ ·   (٢) النور : ٣١ ·

الأساس الثاني : أن بدن المرأة أمر يخص الزوج وحده ، ولا شأن للآخرين به · ولذا يقول : « **ولا يبدين زينتهن** (أى أبدانهن) **الا لبعولتهن** (أى أزواجهن) » (١) ·

والتبرج هو عرض مفاتن البدن فى صورة ما ، وبأية وسيلة ، بحيث يكون اغراء لكثيرين من الأجانب عن الزوج ومحارمه · فعرض المرأة لمفاتن بدنها ، على الآخرين تشجع عليه العادة ، واتجاه المادية فى الحياة · ولكن اتجاه الانسانية الذى يطالب به الاسلام فى الروابط والعلاقات ، وفى رعاية الحرمات الخاصة يرى فى التبرج ابتذالا للمرأة ودعوة مكشوفة منها للجنس الآخر ·

ومسئولية الزوج قائمة منذ عقد قرانه · فان أراد أن زوجته وأسرارها له وحده فليغير من عادة الزفاف بما يعينه على تحقيق هدفه ·

★★★

٦٤ - زوج لا يريد أن يعاشر زوجته . ولا يريد أن يطلقها :

أحد السائلين من أحد المراكز يسأل :

زوج ترك زوجته وتزوج بأخرى فأقرت لها المحكمة نفقة ضئيلة · وهى تعيش دون أن يراها منذ أن تزوج عليها · فلا هو يعاشرها معاشرة الأزواج ، ولا هو يريد أن يطلقها · وهى متضررة بوضعها الذى هى عليه الآن · فما الحل ؟ وما حكم الله ؟

● الزواج فى الاسلام ليس تملكا ·· ولا بيعا ولا شراء ·· والمهور التى تدفع ليست ثمنا ، ولا مقابلا للانتفاع بالمرأة · ففى قول الله فى القرآن الكريم : « **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** » (٢) ·· ما يفيد أن المهر عطاء خالص من الرجل الى المرأة كتعبير عن رغبته فى الزواج منها ، ابقاء على حيائها وحفظا لكرامتها · اذ قال : « **نحلة** » ·· أى منحة ·

والزواج مماثلة فى الواجبات والحقوق : « **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** » (٣) ·· ودرجة الرجال فى قول الله تعالى : « **وللرجال عليهن**

---

(١) النور : ٣١ ·　　(٢) النساء : ٤

(٣) البقرة : ٢٢٨ ·

درجة » (١) ·· هى درجة الفضل والاحسـان . فوق المـاثلة فى الواجبـات والحقوق بين الاثنين ·

وعقد الزواج عقد تراض ، قائم على الايجاب والقبول · وطالما هناك تراض بين الطرفين ·· وطالما هناك حسن معاشرة . فهو مستمر · فان تضرر الزوج فله الطـلاق وان تضررت الزوجة فلهـا أن تختلع وتفـدى نفسها برد الصداق كله أو بعضه ·

وعندما امتن الله على الانسان بخلق الذكر والأنثى فى نوعه ، رتب على هذا الخلق هدفا يستهدف من الانسان فى حياته · وهو السعى الى الاطمئنان فى العلاقة بين الاثنين ، والى المودة ، والى الرحمة · يسعى الى ذلك الرجل ، وتسعى اليه المرأة أيضا · فاذا تم عقد الزواج بين الاثنين وجب على كل من الزوج والزوجة السعى الى تحقيق السكنى والمودة والرحمة بينهما ، وفيمـا ينجبان من أولاد ·

وتعدد الزوجات فى الاسلام ليس مبدأ لازما يجب أن يتحقق · وانما هو رخصة للحيلولة دون مباشرة فاحشة ومنـكر · فاحشة الزنا ، ومنـكر هتك الأعراض · ولذا يقول الزمخشرى فى تفسيره الكشـاف لقول الله تعـالى : **« وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لـكم من النسـاء مثنى وثلاث ورباع »** (٢) ·· أى ان خفتم ترك العـــدل فى حق اليتامى وأموالهن فخافوا الزنا ، فانكحوا ما حل لكم من النساء ، ولا تحوموا حول المحرمات ·

وتعدد الزوجات ـ كرخصة ـ مشروط بالعدل بين الزوجات · فان كانت هناك خشية من عدم تحقيق العدل بينهن ، فيجب أن يقصر الأمر على واحدة : **« فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة »** (٢) ··

هذا هو الزواج فى الاسلام ·· والزوج المسلم هو الذى يطبق مبادىء الاسلام فى حياته ·

وقصة الزوج كما يرويها السائل فى سؤاله هنا تبعد الزوج عن أن يكون قد أحس فى ضميره بالايمان بالاسلام · فالايمان حقا معيـــار سليم للسلوك الانسانى الكريم ، وفق هداية الله فى كتابه المجيد · وكثير من المسلمين الآن

---

(١) البقرة : ٢٢٨ · (٢) النساء : ٣ ·

يسيئون تطبيق الاسلام فيما يرشدهم نحو أنفسهم ، ونحو بعضهم بعضا ·
وفى الوقت نفسه يسيئون الى الاسلام ذاته ·

والمؤمن بالله ليس فى حاجة لأن تطالبه زوجته أمام القضاء بالنفقة لها ·
فحكم القاضى مهما كان لا يواجه الحقيقة التى يحس بها الزوج والتى تحس بها الزوجة · وانما هو الذى يقدر نفقة زوجته ، بحيث يكون فى تقديره محسنا ·

والمؤمن بالله لا يلتمس العدل من غيره · وانما يحقق العدل من ذاته ·
فاذا تزوج بأخرى بعد زوجته الأولى مجيزا لنفسه حق استخدام رخصة التعدد ، يجب أن يرعى بينهما ما يأمر به الله · وما يأمر به الله هو العدل أولا·
فان لم يتحقق فيجب أن يختار واحدة من الاثنتين يمسكها ، ويسرح الأخرى ·

المؤمن بالله لا يهدر كرامة انسان معه كزوجة له ، شاركته فى أسراره الخاصة فترة من الزمن ، فيهملها · فاذا طالبته بالطلاق رفض أن يطلقها ·
انه يرتكب اثما لكل واحد من الأمرين : بالاهمال ·· وبعدم الطلاق · انه يظلمها باهمالها ويسلبها حقا لها يجب عليه · وهو حق الزوجة على زوجها ·
وانه يضر بها بسبب رفضه طلاقها · وقد نهى الله عن ذلك فى قوله :
« ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » (١) ·

آن الأوان لأن يفهم المسلم أن الاسلام انسانية : يدعو الى مستواها فى السلوك وأنه يبغض المادية لأنها تقوم على الأنانية والتصرف مع الآخرين على أساس منها ··· وأن الاسلام اذا طلب من الزوجة أن تطيع زوجها فانه يطلب من الزوج أن يكون ذا قلب رحيم ·

★★★

٦٥ ـ زوجة تشكو الفراغ والضيق النفسى :

سيدة من احدى المحافظات تشكو وضعها مع زوجها ، بعد أن خرج أولادها من المنزل للتعلم فى الجامعة ·· أو للعمل ·· فهى تعيش وحدها فى ضيق نفسى ، وزوجها يقتر عليها ، ويمنعها من الاختلاط بالجيران · وهى ضيقة الصدر ، وليست لديها قوة احتمال وتسأل :

(أ) هل حلال أم حرام : أن تأخذ بعض النقود من جيب زوجها ، أو تأخذ بعض التموين كالأرز فتبيعه لتشترى ما تحتاج اليه من ملابس ومتطلبات ؟

---

(١) البقرة : ٢٣١ ·

(ب) كيف تتعلم الصبر وقوة التحمل على معاملة زوجها ؟

(جـ) هل حرام : أن تسمح لجارتها بأن تدخل منزل الزوجية فتنفس عن ضيقها وتسليها فى وحدتها ؟

● يوصى الاسلام خيرا بالزوجة : فى معاشرتها ·· وفى اطعامها ·· وفى كسوتها وفى مداعبتها والتفريج عن كربتها · حتى فى فراقها يطلب الاحسان اليها فيقول القرآن الكريم : « **فامساك بمعروف أو تسريح باحسان** » (١) ·· فينصح بالاحسان فى الفرقة · والاحسان فى الفرقة هو اليسر فى المعاملة ، والوفاء الكريم فيما يجب لها ، والثناء عليها ، وتمنى الخير لها · والحديث الشريف فى رواية عائشة رضى الله عنها يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيركم : خيركم لأهله (أى لزوجته وأولاده) وأنا خيركم لأهلى » ·· وشراح الحديث يعلقون على ذلك بقولهم : فى الحديث تنبيه على أن أعلى الناس رتبة فى الخير ، وأحقهم بالاتصاف به هو من كان خير الناس لأهله · فان الأهل هم الأحقاء بالبشر ·· وحسن الخلق ·· والاحسان ·· وجلب النفع ودفع الضرر ·

والسائلة تشكو من وضع زوجها معها ، بعد أن خرج أولادها من المنزل حتى أصبحت ضيقة الصدر ، قليلة الاحتمال · بالاضافة الى ذلك فان زوجها يقتر عليها · ولو راجع الزوج نفسه فى علاقته مع زوجته لتذكر فى وضوح : أنها قدمت له أجل خدمة وهى معاونته على تنشئة الأولاد حتى سلك بعضهم التعليم فى الجامعة ، وتكسب البعض الآخر منهم بالعمل خارج الأسرة · وهذه الخدمة وحدها كفيلة بأن يكون هو بجانبها : يعاونها نفسيا على أن يكون صدرها منشرحا ، وينفق عليها من غير تقتير أو بسط · فاذا وقف منها هذا الموقف لم تكن فى حاجة الى ان تأخذ من ماله خفية ، مايساعدها على شراء ما يلزمها ، كما لم تكن فى حاجة كذلك الى أن تترقب زيارة جارتها من وقت لآخر كى تسليها فى وحدتها ، كما تذكر الآن فى سؤالها ·

● أما سؤالها عما تأخذه من مال زوجها خفية : أهو حلال أم حرام ؟ فأخذ الزوجة من مال زوجها خفية لا يعد سرقة حتى تقطع به يد السارق · وكذلك أخذ الزوج من مال زوجته خفية لا يقع تحت طائلة عقوبة السرقة · لأن مال كل منهما بالنسبة للآخر ليس محرزا · فيد كل منهما تصل اليه ·

---

(١) البقرة : ٢٢٩ ·

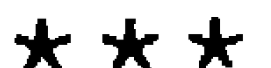
ويدرأ حرمة أخذ الزوجة من مال زوجهـا خفية ـ بعـد ذلك ـ لتدفع حاجتها بما تأخذه منه ، بسبب شـح الزوج ، أو تقتيره : أنه يجب عليـه أن ينفق عليها • فان شح أو قتر فيباح لها أن تأخذ كفايتها من ماله ، من غيـر اذنه • يروى عن عائشة رضى الله عنها : أن هندا ـ وكان ذلك فى عام الفتح ـ قالت : يا رسول الله ان أبا سـفيان رجل شـحيح ، وليس يعطينى ما يكفينى وولدى ، الا ما أخذت منه ، وهو لا يعلم • فقال : « خـذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » •• ويعلق بعض الفقهاء على هذا الحديث بقوله : ان فيه ما يدل على أنه يجوز لمن وجبت له النفقة شرعا على شخص : أن يأخذ من ماله مـا يكفيه ، اذا لم يقع منه الامتثال ، وأصر على التمرد ، أى على الامتناع •

● وهكذا : ما تباشره الزوجة السائلة الآن من أخذ المال خفية من غير علم زوجها ليس فيه حرمة عليها ، طالما هو مقتر فى الانفاق عليها • كما أنه لا يعد سرقة •

* * *

● وأخيرا ما تسأل عنه من دعوة جارتها الى دخول بيت الزوجيـة ، فى غير وجوده هل هو حلال أم حرام ؟ فان أمر الحل أو الحرمة يعود الى موقف الزوج ذاته • فان أذن لزوجته باستقبال جارتها فى المنزل ، فلا تكون دعوتها ، ولا دخـول الجارة بالتـالى حراما • والا حـرم • ففى حديث عمرو بن الأحوص ، وقد شهد حجة الوداع مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، يروى عن الرسول قوله فى بيان حقوق الأزواج على زوجاتهم : « ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون » •• والزوجة العاقلة مهمـا ضاق صـدرها بتصرف زوجها ، فأولى لها أن لا تزيد فى دفعه الى الحمق فى التصرف بفعلها مـا يكرهه هو • وخير لها أن تفاتحه فى هدوء فيما تكرهه منه ، وأن لا تقصر فيما يجب عليها نحوه •

وما أخافه من الزوج هنا فى حل مشكلته مع زوجته ، ليس الا شحه • وقد رتب القرآن نجاح أى انسان فى حياته وبالأخص فى معاملته للآخرين : على حمـاية ذاته من الشح فقـال : « **ومن يوق شـح نفسه فاولئـك هم المفلحون** » (١) •



---

(١) الحشر : ٩ ، التغابن : ١٦ •

٦٦ـ استرجاع الزوج لهداياه من زوجة لم يدخل بها :

سيدة من احدى المحافظات ، تقول :

انه عقد قرانها على شخص أحبته وأحبها ٠ ولكن تحول الحب بينهما الى كراهية وعداء ٠ وكل منهما يريد أن يفارق الآخر ، ولم يدخل الزوج بها ، ويريد ان يسترجع كل ما قدمه لها كشرط لتطليقها ، من هدايا ، وخلافها ، فما حكم الشرع فى ذلك ؟

● طالما تحولت العلاقة بين الطرفين الى كراهية وعداء ٠٠ وطالما فكر كل منهما أن يفارق الآخر ٠٠ وطالما لم يدخل بها زوجها ، فللزوجة نصف مهرها ان كان الزوج حدد لها مهرا ، أو نصف مهر المثل ان لم يكن حدد لها المهر ٠

وأمارة احسان الزوج فى معاملته زوجته عندما يريد فراقها هنا ، قبل أن يدخل بها : أن يتنازل أيضا عن نصيبه فى المهر ، وهو النصف : « **وأن تعفوا أقرب للتقوى** » (١) ٠٠ أى وأن يتنازل الأزواج عن نصيبهم فى المهور الى زوجاتهم اللاتى فارقوهن قبل الدخول بهن أولى وأقرب الى رضاء الله ٠

فالواجب على الزوج فى حال السائلة هنا أن يأخذ نصف المهر اذا كان قد دفعه وحدده ويترك النصف الآخر لها ٠ أما اذا ترك لها نصيبه ايضا ، فتركه لها قربى الى الله تعالى يثاب عليه عند المولى جل جلاله ٠

فاذا كان الزوج هنا يطالب باسترجاع الهدايا التى قدمها فمعنى ذلك أنه يريد أن يقف بالأمر عند الحد المقرر فقط ، ولا يتجاوزه الى معنى الاحسان٠ أى يريد أن يأخذ حقه ولا يترك منه شيئا ٠

والزوجة التى لم يدخل بها بعد ، وتريد أن تفارق زوجها عن بغض وكراهية له لا يليق بها أن تلتمس معروفا ممن تكرهه ٠٠ لا يليق بها أن تحرص على بقاء هداياه عندها التى قدمها لها ٠ فعليها أن ترد له نصف المهر الذى أخذته ، وترد له هداياه ايضا فكل منهما كاره للآخر ٠

أما تشبث الزوجة بامساك الهدايا لديها ، وعدم ردها الى من تكره عشرته بعد أن عقد قرانه عليها ، فذلك أمر يجعلها متناقضة مع نفسها ٠ كيف تكرهه ، ثم تحتفظ منه بما يذكرها به ؟

---

(١) البقرة : ٢٣٧ ٠

ان الهدايا التى اعطيت للزوجة ويطالب الزوج باستردادها الآن لم تعط لها تكريما · انما اعطيت لها اغراء · وتأليفا لقلبها واستحواذا على مشاعرها· فاذا عدلت عن محبته ، وكرهته . فأولى أن تردها اعلانا لهذه الكراهية ، ولو لم يطلب منها ·

● ومن الأسف الشديد أن العلاقة بين الزوجين اليوم تخضع للأعراض المادية ، أكثر مما توزن بالمعانى الانسانية · فارتباط المرأة بالرجل عن طريق الهدايا المادية ، أقوى من ارتباطها به لما فيه من قيم انسانية · هل يقوى ارتباط المرأة بالرجل لصدقه ؟ ، هل يقوى ارتباطها به لعفته ووفائه ؟· ربما لا تقيم هذه المعانى الا عند القليل من النساء · أما الكثيرات منهن فيرون أن مثل هذه القيم لا يتداولها الناس · وبالتالى ليس لها سوق تروج فيه · أما المال فأوجه الانتفاع به كثيرة · والمرأة بما يعطى لها من الرجل من مال تستطيع أن تزين نفسها ، وأن تظهر بين الزميلات والصديقات بما يجعلها محل تقدير واحترام ؟

اما وفاء الرجل وليس عنده مال فماذا تصنع به المرأة ؟ أما صدقه وليس عنده من مال يشترى به الهدايا لها ، فماذا يفيدها ؟ وتنسى أن الوفاء من الرجل لها تكريس لحبه ، وحياته ، ونشاطه فى الحياة لها · وتنسى أن الصدق من الرجل فى قوله وفى عمله التزام منه بالخط المستقيم الذى لا اعوجاج فيه ، فترى طهارة نفسه من استقامة هذا الخط ، وصفاءها فيما لا يحتمل باطنه غير ظاهره · ان الرجل الصادق الوفى يوفر لزوجته الاحترام بعد المحبة · والرجل الذى يسود بالهدايا عند المرأة يبيع ويشترى بهداياه · فليس لديه احترام لواحدة ، كما ليست له محبة لأخرى ·

والمرأة التى تسعد بالهدايا المادية ، دون القيم الانسانية ، سوف تذهب سعادتها بانقطاع الهدايا عنها ، لسبب من الأسباب · أما المعانى الانسانية فباقية والسعادة بها باقية ، والارتباط على أساس منها يقوى ويشتد كل يوم·

● والسائلة الآن عليها أن ترد هدايا الرجل اليه ، وقد طلبها منها ·· وقد اشترط أن لا يطلقها قبل أن ترد اليه · فانه بخيل أو معاند · فلا تكونى أنت ــ وأنت امرأة ــ ملحة فى طلب شىء يسىء اليك مستقبلا ·

★★★

٦٧- زواج الثيب :

اتفقت مع ابنة خالى على الزواج ، ثم كنت محاربا فى حرب رمضان المجيد • واثناء القتال ابلغت انها سوف تتزوج غيرى • فطلبت منهم الصبر حتى تنتهى الحرب • ولكن والدها تعجل وزوجها انسانا غيرى • وعندما حضرت بعد القتال قالت لى : لقد ارغمونى ولا استطيع العيش بدونك • فقلت : لو طلقت اتزوجك • ثم طلقت • غير ان اهلى لا يوافقون بحجة انه لا يليق ان اتزوج ثيبا • ومع حبى الشديد لها فانى لا اريد ان اخسر رضاء اهلى ، فما هو الرأى ؟

● السائل فى سؤاله يذكر ثلاثة أمور :

الأمر الأول : انه دفع قريبته ــ وهى ابنة خاله ــ الى الطلاق من زوجها ، بعد أن عاد من حرب أكتوبر ، فطلقت •

الأمر الثانى : أن أهله يستنكفون أن يتزوج ثيبا •

الأمر الثالث : انه يؤثر أن لا يخسر أهله بزواجه من قريبته ، على أن يفى بوعده لها فيتزوجها ، بعد أن طلقت •

وهذه الأمور الثلاثة تجعله غير جدير بتحمل المسئولية فى الأسرة ، كما تتركه فى مواقفه بعيدا عما يطلبه الدين •

(١) فالدين لا يرضى عن رجل يحمل امرأة تحت الاغراء بالوعود الخادعة ، على أن تسىء الى زوجها قصدا الى التخلص منه والزواج بغيره • فاذا كان الدين لا يرضى بأن يخطب رجل امرأة على خطبة رجل آخر فبالأولى لا يرضى عن تدخل رجل بالتفريق بين زوجين •

(٢) والدين كذلك لا ينظر الى الثيب على انها اقل اعتبارا ولا ادنى من البكر فى قيمة الحياة الزوجية ، وانما العادات هى التى قد تخلق فرقا فى الاعتبار بينهما • وهى عادات تقوم على نظرة غير صائبة للمرأة •• تقوم على نظرة : أنها سلعة ينقص من قيمتها أنها تنتقل من يد الى أخرى • بينما نظرة الاسلام اليها توفر لها الكرامة البشرية ، كما تحفظ عليها حياءها وكبرياءها ، عندما تدعو الرجل الى أن يمنحها صداقا ليعبر به عن رغبته وطلبه لأن تكون زوجة له • والمهر قائم فى نظر الاسلام للبكر والثيب على السواء •

(٣) والدين اذ ينصح الرجل بالزواج لحمله مسئولية الأسرة وهو لا يحمل المسئولية طالما يتبع مشورة الأهل ·· وطالما يستمرىء خلف الوعد فى سبيل السير فى الخط الــذى يرسمه الوالدان . تحت تأثيــر عادات لا يوافق عليها الاسلام ·

والسائل لم يرع الله اطلاقا عندما أفسد على الزوجة حياتها الزوجيـة بحملها على الطلاق وتركها تندب حظها بخلف الوعد معها · ولكنها مع ذلك يجب أن تحمد الله على أن كشف لها عن نفسية قريبها السائل · فمن يحمـل مثل نفسيته لا يصلح للزواج لعدم استقلاله · وعلى المدى الطويل يخلق لزوجته مشاكل كثيرة أدناها املاء الأهل عليها ما يرضى هواهم ولا يرضى مصلحتها كزوجة أو كأم ·

وكان المنتظر من السائل ـ وهو جندى كان فى ميدان القتال ، ومستعدا للاستشهاد فيه ـ أن يضحى بأنانية أهله وبنظرتهم الضيقة الى المرأة والحياة الزوجية ويحرص على اسعاد انسان استجاب لما أراد ، وان كان على حساب مستقبله ومصيره · ولكنها التربية الأسرية فى ظلال العادات غير الاسلامية·

★★★

الفصل الثالث

فى محيط التقــاليد

٦٨ـ ممارسة العلم الروحانى فى حل مشاكل الناس :

مواطن باحد المراكز ·· يقول :

انه ابن شيخ كان يمارس العلم الروحانى ، ويتردد عليه الكثيرون ، وكان يحل لهم مشاكلهم · وبعد وفاة أبيه طلب الى الابن بعض من كان يتردد على أبيه : أن يمارس العلم الروحانى ببركة والده · اذ هى بركة حالة فى البيت كله ·· ولكن الابن اعتذر ، وانصرف عنه أتباع أبيه ، الا امرأة واحدة ، مازالت تتردد وتلح على الابن فى ان يمارس العمــل عوضا عن أبيـه والابن يريد أن يعرف :

(١) حكم الاسلام فى ممارسة العلم الروحانى وكتابة الأحجبة ·

(٢) وكذلك الطريقة التى يقنع بها هذه المرأة التى مازالت تتردد على منزل المرحوم والده ·

● القرآن الكريم يطلب الى المؤمنين به : أن يستعيذوا بالله من الشر فى العالم وحدد مصادر هذا الشر ، على الخصوص :

(أ) فيما كان يعرفه العرب باسم النفاثات فى العقد ، أو السحر ·

(ب) وفى الحسد ، وهو تمنى زوال نعمة الغير ،

(جـ) ثم فى هوى النفس وشهوتها ،

(د) وأخيرا فى رفاق السوء ·

فسورة الفلق تأمر بالاســتعاذة من النفــاثات فى العقــد ، ومن حسد الحاسدين · بينما سورة الناس تطلب الاستعاذة من الخناس ، الذى يوسوس فى صدور الناس من قوى الشر الخفية وفى مقدمتها شهوة النفس وهواها ، ومن قوى الشر الظاهرة وفى مقدمتها رفاق السوء ·

والله سبحانه يعد بأن يتكفل بالوقاية وبالحفاظ من آثار هـــذه القوى الشريرة · ولكن على شرط أن يتوكل الانسان عليه وحده · ومعنى التوكل على الله وحده : أن لا يؤمن المتوكل عليه بقوة أخرى فى الوجود تسىء الى الانسان من غير ارادة الله سبحانه · ولذا جاء القرآن فى وصف أثر السحر بقوله : « **انما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الســاحر حيث أتى** » (١) ·· ولم يقــل القرآن ذلك تطمينا لموسى عليه السلام · وانما هو يصف واقع السحر وأثره · كما جاء فى سورة البقرة فيما كان يصنعه المستكبرون المعارضون على عهد سليمان ــ وهم أشرار عهده وشياطينه ــ من التأثير على الناس ضده بأقوالهم : « **فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله** » (٢) ·· فأى مصدر من مصادر الشر المذكورة هنا لا يصل أثره الى الانسان الا بارادة الله وحدها · فارادته هى الفيصل وليس مصدر الشر نفسه ، وواجب الانسان اذن أن يتعــامل مع الله دون سواه ·· واجبــه أن لا يخضع الا الى هدى الله وحده ·· واجبه أن يستعيذ دائما وأبدا بالله من شرور هذا الكون ·

● والسائل حين يعتذر عن ممارسة ما يسمى بعلم الروحانيات ، رغم ثقة أتباع والده فيه : يفعل الصواب · لا لأنه فقط يجهل هذا العلم كما يقول · ولكن لأن ايمانه بالله وحده يفرض عليه أن يكل أمور الناس الى الخالق عز وجل ، دون أن يشرك نفسه معه فى أمر منها · وممارسة تسخير قوى الشر لصالح بعض الناس أو ضد مصلحتهم ــ كما يدعى ــ اشراك لغير الله فى تدبير هذا الكون ، وان لم يكن يقصد الشرك والكفر به سبحانه ·

أما السبيل الذى يطالب به السائل لابعــاد المــرأة التى تتردد عليــه ، معتقده أن بركة والده حلت فيه وتطلب اليه أن يمارس علم والده ، فالاصرار على رفض الممارسة هو خير السبل لابعادها · لأنه يستحيل الى ما شاء الله أن تتردد عليه ، وهو يلقاها بوجه الرافض المنكر لما تقول ·

* * *

٦٩ــ عدم مجاملة أسرة الخطيب أدت الى فسخ الخطوبة :

تقص احدى الآنسات بالقاهرة ــ قصة لها فيما يلى :

انها كانت مخطوبة لرجل يبادلها العواطف الطيبة ، وتوثقت العــلاقة بينهما فى براءة خالصة ، وحددا بالفعل موعد الزفاف ·

---

(١) طه : ٦٩ ·

(٢) البقرة : ١٠٢ ·

وفجاة توفى اخوها ولم تقم أسرة الخطيب بمجاملة أسرتها كما ينبغى ـ كما تقول ـ فانقلبت عاطفة أمها الى كراهية شديدة لخطيبها ، واصرت على الغاء الخطوبة ورد الشبكة وحملت الوالد على ما أصرت عليه • وتم بالفعل فسخ الخطبة • واثر هذا الموقف من أمها وابيها معها : فى أعماق نفسها بحيث تغلبت عليها الحيرة الآن •

وتسال :

(١) هل تتم الزواج الآن مع خطيبها فى غيبة رضا أهلها ؟ وهل يبارك الله مثل هذا الزواج ؟

(١) أم تنهى حياتها بنفسها ، رغم : أنها متعلمة ، ومتدينة ؟

● عن الشق الأول من السؤال ، وهو اتمام الزواج من خطيبها فى غيبة أهلها فان مذهب أبى حنيفة لا يعتبر الولى فى عقد الزواج ، أبا أو أخا أو خلافهما : ركنا رئيسيا • ويستند الى حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه بقوله : « الثيب أحق بنفسها من وليها » •• فالحديث يشير الى اكتفاء الثيب بذاتها فى عقد قرانها مع خطيبها • ويقيس أبو حنيفة « البكر » على الثيب فى الاكتفاء بذاتها هنا فى عقد القران •

ولكن جمهور الفقهاء يشترط وجود الولى ، وهو الأب أو الأخ ونحوهما لحديث آخر يروى عنه عليه الصلاة والسلام وهو قوله : « لا كناح الا بولى » •• أى لا يتم عقد القران الا بوجود ولى • فجمهور الفقهاء يرى وجود الولى شرط لصحة عقد النكاح ، بينما أبو حنيفة يراه أمرا مرغوبا فيه فقط وليس شرطا لصحته •

هذا من الوجهة الفقهية • واذن يمكن للسائلة من الوجهة الشرعية البحتة : أن تتم بنفسها عقد قرانها على من اختارته واطمانت اليه • ولكن الأمر هنا لا يتوقف على الاذن الشرعى • لأنها تذكر فى هذا الشق من السؤال : سؤالا مصاحبا له وهو قولها : وهل يبارك الله فى هذا الزواج ؟• فهى تعتقد أن رضاء الأبوين على اتمام زواجها أمر ضرورى • وهو كذلك من الزاوية الاجتماعية أو الزاوية النفسية •

فمن الناحية الاجتماعية سينظر أقاربها وجيرانها وصديقاتها وزميلاتها الى : أن عدم توفر رضاء الوالدين فى عقد زواجها ربما يعود الى سبب مشين أو بغيض يتصل بها • وهذا الاستنتاج سيسىء الى سمعتها والى العلاقة التى كانت قائمة من قبل بينها وبين خطيبها • وربما ـ هكذا قد يظنون ـ يكون

الدافع الى اتمام الزواج من غير رضا أهلها هو الاسراع فى اخفاء أمر لا تحب أن يعرفه الناس عنها • وهذا يضاعف من شأن سوء السمعة •

ومن الناحية النفسية عدم توفر رضاء الوالدين على اتمام زواجها سيسبب لها القلق وعدم الاطمئنان حالا ، ومستقبلا • فالمرأة اذا ما تزوجت وانتقلت الى بيت الزوجية تعود فتتذكر أهلها كسند أو كعصبية لها ، ترجع اليهم فى أزماتها •

والانسان فى حياته معرض الى الأزمات بسبب أو بآخر • فاذا ما شعرت بفراغ وتلفتت حولها فلم تجد أعز الناس لديها ، وهم الأهل ــ انتابها الخوف من المستقبل مهما كانت ثقتها فى زوجها . ومهما كان وفاؤه لها •

وليست مباركة الله لزواجها التى تسأل عنها الا هذا الجو النفسى والاجتماعى الذى يخلو من المنغصات والاشاعات السيئة ، والقلق ، والخوف من المستقبل • ومن الممكن اذن أن يقال لها : ان تمام الزواج فى غيبة رضاء والديها لا تحل فيه بركه الله • على معنى : أنه لا تتوفر فيه دواعى الاطمئنان النفسى ، ولا الأمل القوى فى المستقبل •

● وعن الشق الثانى من السؤال وهو انهاء حياتها بنفسها فان انهاء حياة أى انسان بنفسه لا ينهى مشكلته • وانما هو اجراء يعبر عن افلاسه وعدم صلاحيته للبقاء ، وعن ضعفه فى مواجهة الأزمات • وأن صاحب هذه الصفات : عدم الصلاحية للبقاء والضعف فى مواجهة الأزمات ، معرض كل يوم وكل لحظة لأن ينهى حياته بنفسه • لأن المشاكل لا تنقطع وعدم احتمالها قائم بالفعل •

وما تذكره السائلة من أنها متعلمة كان أولى بها أن يعينها تعليمها على التفكير فيما تعتزم عليه من الانتحار • فالسلبية لا تنفع ، وأثرها ضار بالنفس التى تهدد به لو بقيت على قيد الحياة ولم تنفذ ما عزمت عليه •

نعم : ان فى الحياة المادية التى يتهافت عليها الناس اليوم فى مجتمعاتنا ما يؤذى ، وما تضيق به الصدور • والناس لكى ينجوا بأعصابهم فيها : فى حاجة الى الايمان بالله • فالايمان بالله هو مصدر الأمل لدى الانسان ، وبالتالى ضد اليأس من رحمة الله • وقد أوحى الله الى رسوله الكريم قوله تعالى : « **فان مع العسر يسرا • ان مع العسر يسرا** » (١) •• ليؤكد له : أن شأن

---

(١) الشرح : ٥ ، ٦ •

الحيـــاة لا يستقر على أمر واحد ٠ وانما حيـــاة الناس تتحرك بين طرفين متقابلين : بين العسر ، واليسر ٠ بين الصـحة ٠٠ والمرض ٠٠ بين الغنى والفقر ٠٠ بين الحياة والموت ٠٠ بين القوة والضعف ٠٠ بين الشدة والرخاء ٠٠ بين الانقباض والانبساط ٠٠ وهكذا ٠٠

والمؤمن بالله يؤمن بهذا القانون فى الحياة ٠ فاذا كان فى حال عسر فى هذه الساعة فينتظر اليسر قريبا ٠ لأن اليسر موجود بالفعل وقت العسر ٠ وهو ينبثق عنه كما ينبثق ضوء النهار من ظلام الليل ٠ وأمر التغيير لحظات : من الضد ٠٠ الى الضد ٠ والحياة الانسانية تخضع لهذا القانون ولا تحيد عنه ٠ والايمان بالله هو الذى يبعد اليأس عن النفس ، ويقرب لها الأمل فى التغيير ، ويحملها على الصبر لحظات ٠ ولهذا لا تعرض للمؤمنين بالله فكرة « الانتحار » كما لا يصيبهم توتر الأعصاب ولا يطحنهم القلق والخوف ٠ والحياة المعاصرة هى حياة التوتر ، والقلق ، والخوف ٠ ومرض الحضارة القائمة هو مرض التوتر ، والقلق ، والخوف ٠ والسبب فى انتشاره هو انتشار الالحاد وعدم الايمان بالله ، وانتشار الطغيان بالقوة المادية ، والاعتمـاد على المال وحـده كسند للحياة ٠

معنى التوكل على الله : أن الانسان لو فشل فى مسعاه الى حل المشكل فانه لا يحزن ٠ اذ ربما يريد الله له أمرا آخر ، خيرا منه ٠ فيسعى من جديد ٠ وربما يوفق فى سعيه الجديد الى ما لم يوفق اليه من قبل ٠

التوكل على الله ركيزة يعتمد عليها الانسان ، اذا طلب الاستعانة عند الحاجة ٠ وهو القوة التى تدفع الاضطراب عن النفس ، والتشويش والخلط عن الفكر ٠

● وما نوصى به الآنسة السائلة هو أن تحاول الرجوع الى والديها وتسترضيهما ٠ واذا لم يتم زواجها بمن تحرص على زواجه الآن ، فربما يهيىء الله لها خيرا منه ٠ وبالتجربة : ما يريده الله ــ وهو ما يقع ــ أفضل فى الواقع مما فات وانتهى ٠

★★★

٧٠ــ استقلال الزوجة بالسكن يثير للزوج مشكلة بالنسبة لوالدته :

يسأل أحد المواطنين من القاهرة ، عن حكم الله :

أولا : هل يرد السائل لأخويه : الأكبر والأصـغر ، مبلغ المائة جنيه الـذى أخذه منهما ليكمل مهر عروسه ؟

ثانيا : عن حكم الاسلام فى اقامة زوجته معه بالقاهرة لأن عمله فيها ، بينما والدته مسنة وتحتاج الى خدمتها بين اخواته بالبلد • أليس سكنى زوجته معه بالقاهرة يعتبر عقبة فى توصيل الحقوق الى الوالدين ؟

● ان مبلغ المائة جنيه الذى أخذه السائل من أخويه لتكملة المهر يعتبر قرضا منهما له ، يرده اليهما فى مناسبة تشـبه مناسبته • فالحيـاة الريفية تسيطر عليها الى وقت قريب « روح التعاون » بين الأفراد بحكم القرابة ، أو بحكم الجوار • « فالنقوط » التى تجمع يوم « الصبحية » عند توزيع « كعك العروسة تعتبر قروضا يساهم بها « الأحباب » فى تمكين بيت الزوجية الجديد من اقامة أسرة مستقلة • ويجب أن ترد عند المناسبات المشابهة • وهى صورة من صور التعاون الكريم بين الأفراد • وان لم يعلن كل مرة عن الاتفاق بينهم •• ولكنه عرف قائم •

و « الصوانى » التى تقدم فى « المآتم » من الجيران والمعارف صورة أخرى من صور التعاون ، وتعتبر فى حقيقتها « قرضا » يرد عن المناسـبة المشابهة بالمشاركة فى تخفيف متاعب الأسرة التى أصيبت بوفاة واحد منها •

فالعادة أن يفد فى المآتم « المعزون » من قرى أخرى • وقد يحل موعـد الغداء أو العشاء بالفعل مع وجودهم فى قرية الميت • وهم يعتبرون ضيوفا على أهل المتوفى • فيتسابق أهالى القرية فى تقديم « صوانى » الأكل ، كل على قدر طاقته اسهاما فى تخفيف المتاعب على أسرة المتوفى وتكريما لهـؤلاء الضيوف القادمين • وعلى أهل الميت بعد ذلك أن يشاركوا الآخرين عنـدما تحدث عندهم وفاة ، تحقيقا لروح التعاون بين الأفراد فى القرية •

ويشبه روح « التعاون » فى السراء والضراء على هذا النحو بين أهالى القرية : ما يتجه اليه نظام التأمين الآن على الماشية فى القرية • فما يدفع لمن نفقت ماشيته هو فى حقيقته قرض من بقية المشتركين فى هذا التأمين ، يسدد لهم تباعا عندما تنفق ماشية احدهم يوما ما • ولا يعلم اليوم الذى يسدد فيه القرض الا الله وحده • كذلك اليوم الذى تسـدد فيه « النقوط » أو تقـدم فيه « الصوانى » فى المآتم لا يعلمه الا الله جل جلاله •

والذين يحرمون التأمين على الماشية لدى الفـلاحين يدفعون بهم الى الحرج عندما تنفق مواشيهم ، وهى تمثل جزءا كبيرا من رؤوس أموالهم ، كما يتجاهلون هذا العرف الشائع وهو عرف المشاركة فى الأفراح والمآتم على السواء ، أو روح التعاون بينهم •

● أما اقامة الزوجة مع زوجها فى مكان عمله فهو الأصــل المطلوب منها شرعا . لأنها شريكة له فى حياته المقبلة · وليس من عقوق الولد لأمه أن يتركها عند اخوته فى البلد طالما لا يستطيع هو أن يحضرها معه فى مسكن الزوجية بالقاهرة · فالمكان الأول فى حياته الآن هو لزوجته و « الاحســان » المطلوب للوالدين فى قول الله تعالى مثلا « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وبالوالدين احسانا** » (١) · هو احسان المعـاملة ·· واحســان الرعاية ·· واحسان الكفالة ·· ولا يتوفر هذا النوع من الاحسان على حساب الفصل بينه وبين زوجته فتسكن هى فى البلد مع امه لتخدمها ويسكن هو وحده بالقاهرة لأداء العمل · لأن فى هذا الفصل اجحافا بحقوق الزوجة وبحقوق الزوج ، دون ما يبرره ·

ان السائل شديد الحساسية فى علاقته بأمه · وهذا جميل منه · والله يجزيه خير الجزاء على شفقته عليها . كما يجزيه على استعداده الطيب للعمل على راحتها · ولكن جدت فى حياته زوجته الآن · وهى اذا كانت لها الأولوية فى النفقة على والديه فلهـــا الأولوية أيضا فى الاقامة معـــه · فيروى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قول الرسول عليه الســلام : « تصــدقوا · قال رجل : عندى دينار · قال : تصدق به على نفسك ··

قال : عندى دينار اخر · قال : تصدق به على زوجتك ··

قال : عندى دينار آخر · قال : تصدق به على ولدك ··

قال : عندى دينار آخر · قال : تصدق به على خادمك ··

قال : عندى دينار اخر · قال : انت ابصر به » ·· فهذا الحديث يجعل الزوجة فى المرتبة التالية مباشرة لمرتبة الوجود فى حياة الزوج ·

ثم كيف يتحقق هــدف الزوجية من السكنى ، والاطمئنــان ، والمودة ، والرحمة ، كما ورد فى قوله تعالى :

« **ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » (٢) ·

·· والزوجة تسكن وحدها بعيدة عن زوجها لتقوم بخدمة أمه ، وهو يسكن بعيدا عنها ليؤدى عمله ؟

---

(١) النساء . ٣٦ ·　　　(٢) الروم : ٢١ ·

● فما اخذته أيها السائل من أخويك هو دين عليك ‧‧ وليس من حرج عليك فى شريعة الله ان تركت أمك مع اخوتك فى البلد ، وسكنت مع زوجتك وحدها فى القاهرة ، فذلك لا يتعارض مع الاحسان للوالدين ‧

* * *

٧١ـ العادة السرية ـ وقبول الله لمن تخلى عنها :

يذكر مواطن من الاسكندرية :

انه كان يؤدى الصلاة من صغره ، ولكنه فى مرحلة الدراسة الاعدادية ابتلى ـ كما يقول ـ بممارسة العادة السرية فى غير شفقة على نفسه ، وانقطع عن الصلاة ‧

واستمر فى ممارسة العادة البغيضة حتى السنة الثانية من مرحلة الثانوى ، ووجد ان حالته النفسية يسيطر عليها الاكتئاب ، والحزن ، والهموم ، وسوء الظن بالناس ‧ واحس انهم يحتقرونه ويسخرون منه فاعتزلهم واستعلى عليهم ‧

الى ان بلغ الواحد والعشرين من عمره رجع الى الصلاة واداء العبادات، ولكن مازال الشك يراود نفسه فى أنه مقبول عند الله ، رغم أنه قد يحس بروحانية يكون سعيدا بها بعض الفترات ‧

فماذا يفعل حتى يطمئن الى قبول الله له ؟

● الانسان منذ صغره فى طفولته يخضع فى تطوره وفى اتجاهاته فى الحياة الى ظروف البيئة التى يعيش فيها ‧ فقد حببت الى السائل الصلاة ‧ ربما عن طريق تردده على المسجد ، أو عن طريق رفقته لزملاء له فى السن ، أو عن طريق أسرته ، وفى أدائه للصلاة كان يحس بمتعة روحية هى متعة تقربه الى الله سبحانه وتعالى ‧

واستمر فى محافظته على أداء الصلاة الى سن المراهقة ‧ وهى السن تقريبا التى يدخل فيها التلميذ مرحلة الدراسة الاعدادية ‧ وهنا تعرض للصراع النفسى فى داخل ذاته ‧‧ هنا فى هذه المرحلة ابتدأت تنشط لديه الغريزة الجنسية ‧ وربما المدرسة التى هو فيها وقت نشاط غريزته الجنسية كانت مدرسة مشتركة يختلط فيها البنات مع الصبيان ‧ فقدمت له عينات من البنات تغذى وهمه عن الجنس ‧

فابتدأ يمارس العادة السرية ٠ وكل يوم يمر عليه فى المدرسة يزيد فى ممارسته لهذه العـادة ٠ حتى أصبحت ممارسته أياها تسيطر عليـه معظم الوقت ، كما يقول ، وهنا انقطع عن الصلاة ، وانتقل من الجانب الروحى ، وهو البقاء فى دائرة الله عز وجل جلاله ، الى الجانب المادى وهو ملاحقتـه البنات فى الوهم والخيال ٠

ويلغ من شدة طواعيته لهذه العـادة البغيضة : أن توترت أعصـابه ، واهتز اتزان النفس عنده ، وفقد القدرة على العودة الى السلام والاطمئنـان النفسى ٠ فابتدأت موجة التشاؤم تأخذ مكانها فى نفسه ، وأحس بالاكتئاب ، والحزن ، والهموم ، واساءة الظن بالناس ، وتصـور أنهم يسـخرون منـه ، وانهم يحتقرونه فابتعد عنهم ، واستعلى عليهم ٠

ولأنه كان قد تعود على الصلاة من قبل ، وانقطع عنها الآن فترة ــ وهى فترة التبعية للعادة السرية ــ أصبح يتردد فى نفسه ذكر الله والخشية منه ٠ وهنا ابتدأ يبغض طواعيته لهذه العادة الذميمة ، ويحاول أن يكف عنها فتجدد الصراع النفسى مرة أخرى الى أن تركها ــ كما يقول ــ فى السنة الثانية من المرحلة الثانوية ، ولكنه تركها وهو مهلهل لا يقوى على الحركة ٠ وكما يقول أيضا : ميت ، حى ٠

وهو اذن الآن بعد أن اعتاد الصلاة انتقل الى ممارسة العادة السرية ٠ ثم رجع عن هذه العادة الى الصلاة من جديد وأداء العبادات الأخرى معها ٠ فهل عندئذ الآن فى تصوره يكون مقبولا عند الله ؟ ابتدأ يشك فى قبوله عند المولى جل جلاله ٠ ولذا يسأل عن رأى الدين فى وضعه ٠

انه يعيش فى لحظات روحية عندما ينسى فترة العادة السرية ، ولكنـه يعود الى الاكتئاب النفسى مرة أخرى عندما يتذكر انحرافه فيما مضى ٠ على أن حالته العصبية لم تعد الى الاتزان ، كما كانت قبل دخوله مرحلة المراهقة٠

● هل نظام المدرسة المشتركة ، فى التعليم الاعـدادى ، وفى التعليم الثانوى مسئول عن شيوع هذه العادة السرية بين الشباب ٠ وبالأخص فى عواصم المدن ؟

وهل ممارسة العادة السرية بين الشباب توصل حتما الى وضع الشاب السائل من : الصراع النفسى ٠٠ وعـدم التـوازن ٠٠ وتوتر الأعصـاب ٠٠ والحيرة والشك ٠٠ وفقدان الحيوية والنشاط البدنى ولو لفترة ما ؟

وما هو علاج الشاب السائل ؟ أو ما هو علاج الشك فى نفسه ، والخوف من عدم قبول الله له ؟

نظام المدرسة المشتركة يدعى له أنه يتكفل بانشاء علاقة هادئة بين الفتى والفتاة · وعن طريق التعود على اللقاء بينهما فى الدرس وفى جـو المدرسة يخف ضغط الغريزة الجنسية ويصبح تطورها غير ضار لمن هم فى سن المراهقة وغير عائق لهم عن الاستمرار فى التعليم والايجابية فيه ·

ولكن هذا النظام نفسه عن طريق الاختلاط يقدم للشاب : الفتاة التى يتطلع اليها فى غده ولو فى خياله ، كما يقدم للفتاة : الشاب الذى تتوقعـــه يوما ما · ومعنى ذلك أنه من الميسور فى التعليم المشترك أن تكون هناك فرصة لخيال المراهقين والمراهقات فى أن ينسج الواحد منهم صورا ويرسم آمالا ، يدور فى هذه وفى تلك بنشاط غريزته الجنسية ، هذا النشاط الذى قد يدفعه الى مباشرة العادة السرية ، عندما يعجز عن تحقيق بعض آماله فى واقع حياته فى العلاقة بين الطرفين · ولذا : هذا النظام المشترك مسئول الى حد ما عن انحراف الغريزة الجنسية فى سن المراهقة ·

أما ممارسة العادة السرية ، فعلى رغم ما يؤكده بعض الأطباء من أنها ليست ضارة بصحة المراهق أو المراهقة ، على نحو ما يردده الكثيرون ، فانها لا شك مصدر لتوتر الأعصاب واضطراب النفس ، والضعف البدنى ولو لفترة ما قد تطول وقد تقصر · وفى ذلك ما يعوق النمو الطبيعى للمراهق أو المراهقة ونمو ملكاته وطاقاته ·

والسائل هنا لولا أنه كان يؤدى الصلاة بانتظام قبل مباشرته العـــادة السرية ثم انقطع عنها ، ثم عاد الى أدائها مرة أخرى لما دخل الشك نفسه ولما خشى من عدم قبول الله اياه · ويجب أن يطمئن الى قبول عبادته ويرفع الشك من نفسه بعد أن أصر على مطاردة هواه فى مباشرة هـــذه العادة السيئة · فالاصرار منه عزم أكيد على توبته واقلاعه عن الخطأ · وفقط يجب أن يمـر بعض الوقت على اصراره حتى يحس من جديد بعـدم الكآبة وبعـدم الحزن وتراكم الهموم · كما يجب أن يستعيذ دائما بالله من الشيطان الرجيم · وهو شيطان نفسه وهـواه · والمسألة مسألة وقت ومثـابرة على طرد « **الوسواس الخناس · الذى يوسوس فى صدور الناس ، من الجنة والناس** » (١) · وهو وسواس الغرائز عندما تتسلط على الانسان ·



---

(١) الناس : ٤ ـ ٦ ·

٧٢ـ أسرة الزوجة تقاطعها بسبب الدخول من غير زفاف :

سيدة معذبة باحدى المحافظات تقص قصتها :

عقد قرانها على زوجها • وهو شاب مجند يصغرها بسنتين • دخل بها على أثر التقاء بينهما فى اجازته ولم يتمكنا فيه من ضبط نفسيهما • وذلك قبل موعد الزفاف المحدد بين أهلها وأهله ، وحملت منه • ولم تتحدث عن حملها لوالدتها الا قبل الزفاف بأسبوع فغضبت والدتها واشتد غضبها الى درجة كبيرة ، وقاطعتها ، وحملت والدها وأخواتها السبع على مقاطعتها •

ولكن أهل الزوج ـ كما تقول ـ كانوا كرماء معها : لم يوجهوا اليها نقدا ولا كلمة تقلقها • بل كانوا يعاملونها معاملة كلها عطف وحنان • وفى مقدمتهم الزوج •

ورغم عطف أهل الزوج عليها فانها شديدة الحزن لمقاطعة أهلها لها ، وهى تعترف بانها أخطات فى تلك اللحظات التى لم تملك فيها نفسها مع زوجها • ولكن ترجو الآن أن تعود العلاقة مع أهلها الى الوضع الطبيعى ، فهى سعيدة بزوجها ، وبولدها من هذه الزيجة ، وبأهل زوجها كذلك ، وتريد أن تضيف الى هذه السعادة سعادة الأهل فى عودة العشرة معهم • وتسأل عن الحل ؟•

● السائلة أصبحت بعقد الزواج : زوجة لذلك الشاب المجند الذى يصغرها بسنتين وأصبحت العلاقة بينهما علاقة زوج بزوجته ، وليست علاقة أجنبى بأجنبية عنه • ويجوز للزوج أن يدخل بها فى أى وقت بعد عقد قرانه عليها ، وبدون حفل زفاف بها • والولد الذى يأتى ثمرة لدخول الزوج بها لأول مرة هو ولد شرعى : فى نسبه الى أبيه ، وفى ميراثه منه ، أو من أمه • والأمر الذى تم بين السائلة وزوجها لا يغضب الله فى قليل أو فى كثير •

ولكن بجانب عقد الزواج فى محيط الشرعية العامة : هناك الاعلام عن الزواج نفسه •• هناك التعريف به بين الأهل ، والأصدقاء ، والجيران •• هناك « الفرح » أو الزفاف • ووليمة الفرح •• أو الزفاف أمر مرغوب فيه ، وقبول الدعوة الى هذه الوليمة ممن يدعون أمر مرغوب فيه كذلك • فالاسلام يرى فى العلاقة الزوجية علاقة مسئولية بين الرجل والمرأة : عن الحقوق المتبادلة بينهما •• وعن الولد الناتج عنها •• وعن مستقبله فى نسبه وارثه •

وهذه المسئولية المتبادلة بين الزوجين كلما راج وانتشر أمرها بين المعارف والأصدقاء كلما ارتفعت فوق العلاقات السرية بين الرجل والمرأة :

أى رجل ·· وأية امرأة ·· تلك العـــلاقات التى قد تصيب المـــرأة على الخصوص : فى نفسها ، أو فى ولدها ممن تعرف أباه على وجه التأكيـد ، أولا تعرفه على هذا الوجه · فلتأكيد العلاقة الزوجية ، وتأكيـد شرعيتها ، ومســئوليتها وتأكيد مغايرتها للعــلاقات السرية بين الرجل والمرأة : كان ما يسمى بالفرح ·· أو الزفاف ·· فزفاف الزوجة الى زوجها يقصـد منه فقط تعريف الجيران والأهـل والأصـدقاء : أن عــلاقة فلانة بفلان هى علاقة شرعية قائمة على دين الله وسـنة رســوله ، وليست علاقة شك وريبة ·· وليست علاقة ظلام وخفاء ·· أو علاقة بعيدة عن المسئولية الشخصية فى معاشرة المرأة وفى نسب الأولاد من هذه العلاقة ·

● والزواج العرفى يضعفه عدم وجود شهود فيه ·· وعدم الاعــلام عنه ، أو التعريف به ، ولكنه اذا قام على الايجــاب والقبول بين رجل رشــيد وامرأة رشيدة ، فانه جائز فى بعض المذاهب ، ولكنه لا يحــوز درجة القبول للزواج الذى استوفى أركانه فى الشهود والولاية والاعلام ·

والمخالفة التى ارتكبتها السائلة فى نظر والدتهــا هى : أنهــا لم تتريث فى الدخول بزوجها ، حتى يتم الزفاف أو الاعلام · فاذا حملت بعد الزفاف لا يتقول الناس عليها ما قد يتقولونه عن حملها فى فترة لم يعرف الناس بعد : انها قد دخلت بالفعل · وربما يثير أعداء الطرفين أن الحمل وقع قبل عقـد القران ، وجاء العقد بعد ذلك للتغطية والتستر · وذلك مما يسىء الى سمعة المرأة وسمعة أهلها · ولذلك اذا كانت الزوجة بكرا فانا نرى أن من تســمى « بالماشطة » تقوم ــ ولو بأسلوب خاطىء ــ ليلة الزفاف بعرض ما يؤكد بكارة الزوجة بعد أن تكون بجانب الزوج فى بداية الأمر ، للتدليل على « الطهر » وأنها لم ترتكب ما يشينها حتى زفت الى زوجها · وطهــر البكر أمر يعتز به الأهل قبل البكارى أنفسهن · والحمد لله : أن عدم المبالاة بهذه العادة لم يبلغ الآن فى مجتمعنا ما بلغه فى مجتمعات أخرى طغت فيها المادية ، من النظرة الى البكارة على أنها تخلف ورجعية ·

● ولأجل كل ذلك يجب على والدة السائلة أن تخفف من غضبها ، وأن تعود الى حقيقة الواقع · وهو : أن ابنتها لم ترتكب جريمة ولا باطلا بموافقتها على دخول زوجها بها قبل موعـد الزفاف المتفق عليه · وأن تماديهـــا فى الغضب سيسىء الى نفس ابنتها ، كما يسىء الى علاقات اخواتها السبع بها · وربما تفقد باستمرار الغضب هذه البنت الكبــرى الى الأبد · وبذلك تخلف مأساة لولدها الصغير وزوجها معا · يجب على الأم أن تمد يدها لابنتهــا وأن تسعى الى رؤية حفيدها فى منزل والديه · فذلك أمر يجزيها الله عليــه خير الجزاء : « **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض**

أعدت للمتقين • الـذين ينفقون فى السراء والضراء ، والـكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » (١) •• فالعفو عند المقدرة صورة من صور الاحسان الذى يحبه الله ويطلبه من عباده •

★ ★ ★

٧٣ـ الاكراه على الزواج :

يذكر مواطن باحدى المحافظات :

انه خطب فتاة تبلغ من العمر سبعة عشر عاما ، وانه لم يتم عقـد قرانه عليها • اذ أن احساسها نحوه قد تغير تغيرا ملحوظا • فانقلب أمرها معه الى نوع من الكراهية • ويريد أهلها ـ وأبوها بالذات ـ أن يزوجهـا له • وهو يسأل الآن : هل يكون الزواج صحيحا أم لا ؟• باعتبار أن الفتاة وافقت تحت تأثير أهلها ، وهل يكون من مصلحته ان يتزوجها أم يتركها ويبتعد عنها ؟•

● شرعت « الخطبة » فى الاسـلام لاختبار الاحساس النفسى لـكل من الفتى والفتاة • وأبيح للرجل فى حضرة محرم لها ـ أن ينظر الى وجه المرأة وكفيها أكثر من مرة • كما أبيح للمرأة أن تنظر من الرجل ذلك أيضا • وأبيح للاثنين معا : أن يشتركا فى حديث معا حتى يستطيع كل واحد منهما أن يكون فى نفسه : الاحساس بالقبول أو بعدمه • فرؤية الوجه والكفين من كل منهما •• وسماع صوت كل منهما فى حديثه •• والوقوف عـلى منطـق كل منهمـا أثنـاء الحـديث : مما يدفـع الى القبـول أو الرفض لأى منهما • فكم من امرأة جميلة الوجه ، وكم من رجل حسن القوام ، فاذا تحدث أحدهما أمام الآخر عفا عنه • اما بسبب الصوت ، أو بسبب تفاهة المنطق ، أو بسبب اخراج الكلمات فى الحديث •

واذن لا يقدم الفتى على خطبة الفتاة الا بعد أن يحس فى نفسه : أنه ليس فيها ما ينفر منه على الأقل ، وكذلك الفتاة لو سئلت بين أهلها عن مـدى قبولها لمن يود أن يخطبها فلابد أن تحس فى نفسها أيضا : ما يجعـله مقبـولا عندها •

ولكن كثيرا ما يكون قبول الفتى لخطبة الفتاة ، أو قبول الفتاة لخطبـة الفتى ، ليس تعبيرا عن الاحساس النفسى الداخلى بالقبول ، وانمـا يكون لاغراء وقتى فى الفتى أو الفتاة أو الرغبة تحرص عليها الفتاة بين زميلاتها •

---

(١) آل عمران : ١٣٣ ، ١٣٤ •

وهى انها قد خطبت قبل الزميلات · حتى اذا مر بعض الوقت على ذلك يتبدى ، يتكشف لها : سوء من اختارته ، أو أن فلانا غيره كان افضل منه · وعندئذ تهتز صورة الخطيب فى نفسها ، ثم تحاول أن تتخلص منه : اما بابداء عدم الرغبة فيه فى صورة ما ، امامه أو من خلفه ، ولكن على أن يصل اليه ما تبديه ·· او باعلان عدم قبولها له صراحة ··

والفتاة التى هى دون العشرين تؤثر غالبا أبطال السينما ومن على شاكلتهم ، أى تؤثر الشكل والمظهر على الجوهر والمخبر · وتنتقل بالحديث من بطل الى آخر فى الاختيار ، ولو قيض لها أن تقتنع : أن قيمة الفتى فى رجولته وليس فى شكله ومظهره لأقبلت على صاحب الرجولة وحده ، ثم تزيدها الأيام اقتناعا بأنه خير من يمثل صاحب المسئولية فى الاسرة · والرجولة معان وصفات · أخصها تحمله للمسئولية الأسرية ، وعدم الأنانية فى سلوكه وتضحيته بما يملك من قدرات وطاقات فى سبيل استقرار زوجته وأولاده ·

والذى يعرف دينه ، ويقتدى بسنة الرسول عليه السلام فى السلوك والعمل يفهم أن الدين منهج انسانى فى الحياة : فيه رجولة المضحى وانسانية غير الأنانى ، اذ أن شر ما يبعد الرجل عن صلاحيته للحياة الأسرية هو أنانيته : لا يرى فى الحياة العائلية الا نفسه ويطغى بأنانيته على زوجته وأولاده من بعد ·

● وخطيبة السائل هنا : التى تبغضه ، أو تكرهه ، أو على الأقل لا تميل اليه لسبب من الأسباب ـ بعد أن كانت بينهما محبة ـ لا ينبغى للسائل أن يقبل على عقد قرانه بها ، مهما وافق أهلها وأهله ، ومهما دفعها والدها الى القبول لزواجه ·· اذ هى لو قبلت ، تقبل وفى نفسها احساس عدائى له ، يحركها ضده من أول لحظة فى لقائه كزوج لها · وهنا يفقد الزواج غايته من السكنى ، والمودة ، والرحمة · وهى غاية يحددها القرآن الكريم فى قول الله تعالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة** » (١) · فلم تكن الزوجية بين الذكورة والأنوثة لاثارة الشحناء والبغضاء بين الرجل والمرأة · وانما يجب أن تكون للاستقرار والتعاطف والتراحم · وتلك معان انسانية كريمة ·

وعلى السائل اذا اختار غيرها أن يقصد الى ذات المرأة فى خلقها وعفتها وصلاحيتها للزوجية والأمومة · وليس الى درجة وظيفتها المالية فى

---

(١) الروم : ٢١ ·

العمـل ، أو الى ما يقال عن حسبها ونسبها ، أو الى ما يظهر من جمـالها ٠ فذلك كله قد يكون مصـدر غرور لها ، يحول دون أداء الرسـالة الزوجية ٠ يجب أن يحس احسـاسا قويا فى نفسه بأنها تقبله زوجا ، كمـا يقبلها هو زوجة له ٠

★ ★ ★

٧٤ ــ امساك الزوج لزوجته دون أن يريدها زوجة له :

يسأل طالب باحدى كليات جامعة الأزهر عن :

ما حكم الاسلام فى شاب عقد قرانه على فتاة ، وقبل أن يدخل بها وقع خلاف بين الأسرتين ، وترتب عليه أن تزوج الشاب فتاة أخرى ، عليها ٠ ولم تزل الفتاة الأولى فى عصمته ولم تطلق منه حتى الآن منـذ خمس سنوات ٠ وقضيتها تنظر أمام المحكمة منذ هذا الوقت ؟ ٠

● **أولا :** فى أوضاعنا الاجتماعية ــ وليست هى كلها الأوضـاع التى يوصى بها الاسلام ــ تنعكس الخلافات بين أهل الزوجين على العلاقة الزوجية التى قامت أو تقوم بين رجل من هذه الأسرة وامرأة من تلك ٠ وقد يشتد أثر هـذا الانعكاس على العـلاقة الزوجية فيحمل الأهل : الزوج أو الزوجة على سوء المعاملة للطرف الآخر ٠ وقد ينتهى الأمر بالفرقة بينهما ، ولكن بعد أن يذيق كل طرف الطـرف الآخــر الوانا من الألم النفسى والمادى : أشهرا أو سنوات ٠

وتدخل الأهل فى العـلاقة الزوجية قد يكون لسبب تافه ٠ ولكن حمية الجـاهلية الأولى ــ وهى الحمق والانفعـال السريع فى التصرفات ــ هى التى تحول هذه العلاقة الى جحيم ٠ وقد تكون هذه العلاقة من احسن العـلاقات من قبل ٠٠ والقرآن الكريم اذ يحدد هدف الزوجية : بالاطمئنان النفسى فى العلاقة بين الاثنين معا ، وبمودة أحد الطرفين للآخر ، وبرحمة القوى منهما للضعيف بينهما يريد أن يجعل بناء الأسرة قويا ويبعده عن كل تخريب أو ضعف له ٠ يقول تعالى : **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ، لتسـكنوا اليها ، وجعـل بينكم مودة ، ورحمـــة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفـكرون » (١)** ٠٠ ولا شك أن تدخل الأهل مصدر للتخـريب ، واضعاف لبناء الأسرة الجـديدة ، التى نشأت أو تنشأ عن علاقة زوجية بين واحـد من هذه الأسرة ، وواحـدة من تلك ٠

---

(١) الروم : ٢١ ٠

والفقـه الاسـلامى اذ يجيز فى « الخطبة » رؤية الرجل ـ وهو أجنبى الآن ـ لمن يريد أن يتزوجها ، كما يبيح له التحدث اليها ، فى غير خلوة بينهما ، انما يرغب فى أن تتاح فرصة لهما لتعـرف كل منهما على الآخـر ، وتكوين انطباع بالقبول أو بعدمه لدى كل واحد منهما · والخطبة اذن مرحلة تمهيدية لقيام علاقة زوجية سليمة ، بعيدة عن عوامل الاكراه والضغط ·

● وفى حالة الطالبة السائلة هنا : الزوج يسيىء لمن عقد قرانه عليها ولم يدخل بها ، اذ يمسكها حتى الآن طيلة خمس سنوات ، ولا يريد أن يسرحها لعل الله يرزقها بمن هو خير منه ، رغم أن الله يقول : « **وان يتفـرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما** » (١) ·· وامساكها على هذا النحو عضل لها · ويشيع العضل فى العهود الجاهلية أو المادية ·· أى فى العهود التى تنخفض فيها القيم الانسانية بسبب طغيان المادية فى علاقات الانسان بالانسان· وينهى القرآن عن أن يكون العضل ـ وهو امساك الزوج زوجته بقصد الاضرار بها ـ أسلوبا من أساليب معاملتها · فيقول الله جل شأنه فيمن يطلقن طـلاقا رجعيا : « **ولا تمسكوهن** : (والخطاب للأزواج · فلا يمسكوهن عند آخر العدة وقبـل أن تنتهى) **ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعـل ذلك فقد ظلم نفسه** » (٢) ·· فالزوج عندئذ لا يريدها كزوجة ، ولا يريد لها أيضا أن تتزوج غيره · وهذا منتهى الأنانية · والأنانية دائما شر على الآخرين · ولذا كان عضل الزوجة وعدم تطليقها رغبة فى الحاق الضرر بها محرما شرعا · لأنه تعسف وتحكم فى مستقبل انسان آخر ·

والقضاء وان فصل هنا بين الزوج وزوجته ، ولو مبكرا فى تطليقها لا يصلح العلاقة الثنائية بينهما ، ولا يعيدها الى الوضع الطبيعى بين انسـان وآخر · وانما الحل الذى يراه الاسلام للزوجة التى لم يدخل زوجها بها هو الحل الأمثل كما جاء فى قول الله تعالى :

« **وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ، وقد فرضتم لهن فريضة ، فنصف ما فرضـتم ، الا أن يعفـون** (أى الأزواج) **أو يعفوا الذى بيـده عقدة النكاح** (وهم الأولياء) ، **وان تعفوا أقرب للتقوى ،**

ولا تنسوا الفضل بينكم ، ان الله بما تعملون بصير » (٣) ·· فالاسلام يطلب من الزوج اذا لم يرد الدخول بمن عقد قرانه عليها : أن يعطيها نصف المهر ، الذى كان متفقا عليه بين الاثنين ، ولأحد الطرفين أن يتنازل عن النصف

---

(١) النساء : ١٣٠ ·
(٢) البقرة : ٢٣١ ·
(٣) البقرة : ٢٣٧ ·

الذى قدر له من المهر الى الطرف الآخر · ولكن الأفضل ان يكون التنازل من جانب الزوج · لأنه أمارة على احسانه عند المفارقة ·· هذا الاحسان الـذى يطلب فى قول الله تعالى : « أو تسريح باحسان » (١) فالعفو من الـزوج عن نصيبه المقدر فى المهر عند مفارقة الزوجة قبل الدخول بها ، الى الزوجة صورة من صور الاحسان المطلوب فى الطلاق ·

● والمطلوب الآن من الزوج الذى عقد قرانه على امرأة ولم يدخل بها ، كما جاء فى سؤال السائل : أن يسارع الى تطليقها ويعطيها حقها فى المهر ، ويتمنى لها كذلك السعادة فى مستقبلها · وبذلك يؤدى ما يأمره الاسلام به ·

اما اصراره على عدم تطليقها ، وبذلك يعضلها للاضرار بها ، فسينال عقابه عليه من الله سبحانه وتعالى : اما فى الدنيا أو فى الآخرة ·

★ ★ ★

٧٥ ـ فتاة يعيش فى حياتها شاب هو لا يحس بها :

فتاة فى الحادية والعشرين من عمرها ، وطالبة باحدى الجامعـات · تقول انهـا تقضى فراغهـا فى مراجعة مواد الدراسة ، وعبـادة الله وحده · وتحكى : ان هناك شابا متخرجا حديثا ، وفى سنها ، وفى تدينها ، وملتحيا · وهو قريب لها من بعيد · ويشغل تفكيرها من وقت لآخر · وتتمنى ان يكون زوجهـا فى المستقبل ، رغم انه لا يعرفها شخصيا ، وانهـا لم تكلمـه ابدا فى حياتها · وقد لفت نظرها اليه : أن جـدها كان يتحدث عنه ، وتمنى أن يكون زوجا لها · وتسأل :

هل التفكير فى هذا الشخص يغضب الله ؟

وما هو الحل السليم ؟ وكيف أسيطر على نفسى ، ولا افكر فيه ؟

● ما رأى السائلة فيما لو رآها هذا الشاب وأعرض عنها ؟ أو رأته هى وتحدثت معه ، واتضح لها بعد الحديث : انه لا يملأ فـراغ نفسها فى حياتها ان هى تزوجته ؟

ان التفكير مرات عديدة من السائلة فى هذا الشاب هو عمل من الشيطان ·· هو عمل الرغبة والهوى · وتركيز التفكير فى هذا الشاب بالذات ، وبناء

---

(١) البقرة : ٢٢٩ ·

الأمل فى الحيـاة الزوجية عليه دون شاب آخـر ، مع أنها لم تكلمه أبدا فى حياتها : يعود الى لفت نظرها اليه من جدها · واعلان رغبته أمامها : فى أن يكون زوجها فى المستقبل · ثم فكرت فيه وأصبح لديها أشبه « باعتقاد » · ثم نسجت حول هذا الاعتقاد خيوط الأمل وزينت لنفسها صورته وما تؤمله · ثم أصبح أمرا محببا لنفسها : أن تستعيد فى تخيلها هذه الصورة المحببة اليها . وما يصحبها من أحلام اليقظة · وهى أحلام فتاة ساق القدر اليها ـ كما تظن ـ ما تتمناه · ثم كونه ملتحيا وهى متدينة ـ كما تقول ـ يعطيها ثقة كبيرة فى أخلاقه وسـلوكه ·· يؤمنها على أن يكون لها وحـدها ولا يلتفت الى امرأة أخرى : يحسن معاملتها ·· يجنبها الاختلاف فى حقوق الزوجة وحقوق الزوج ·· يعيش لهـا ولأولادها منـه ، وتعيش هى له ولأولادها منه · وذلك منتهى ما تصبو اليه فتاة تقبل على زواج من تختار الزواج منه فى حياتها ·

وبذلك تضمن بناء أسرة ، ووجـود سـند لها تسـتند اليه فى أزماتها ومشاكلها التى تأتى بها الحياة المعاصرة · وما أكثرها وما أشق المعاناة منها ·

هذا اجمال لحديث النفس الذى يدور بخاطرها حول الشاب الذى تسأل عنه هنا ، وحول التفكير الذى لا يفارقها ، الا عند عبادة الله ، أو عند مراجعة مواد الدراسة كذلك · وانما هو مستمر غير منقطع · لأنه حـديث له جاذبية وله اغراء تستمتع به النفس ويستهويها فى اليقظة وفى النوم على السواء ·

انه حديث الشيطان · لأن حديث الهوى حدث له اغـراء وجاذبية ·· وحديث يحول بين النفس وواقع الحياة ·· حديث يوصـل صاحبه الى قمة الخيال ، ثم فجأة يسقطه منها الى حفرة عميقة فى الواقع · وربما لا يخرج منها أبدا الى مستوى الحياة ·

● والسائلة يمكنها : أن تعيد الى نفسها حياة الواقع ، رويدا رويدا · فتذكر أن أمر الزواج مشيئة لارادتين ، وليس اختيار ارادة واحدة ··هو مشيئة الزوج والزوجة معا · واذن لا يتم زواجهـا بارادتها وحـــدها ، ولا بارادته وحده · ويجب أن تفترض ـ وهذا أمر محتمل ـ أن يرفض الزواج منها لسبب من الأسباب لو علم برغبتها فى صورة ما · وحينئذ لو رفض يكون رفضه ليس شاقا فقط على نفسها ، وانما يكون مأساة لها · وربما تذهب حياتها ضحية لهذه المأساة ·

واذا كانت مؤمنة حقا بالله فيجب أن تدخل ارادة الله فى واقع حياتها ·· يجب أن تعتقد أنه لا يقع فى الكون ولا فى حياة الأفراد الا مـا يريده الله ، وليس ما يتمناه الفرد · ومعنى هذا الاعتقاد : أنه مهما أمل الانسان فى شىء ما ،

ومهما خطط له ، ومهما أجاد السعى الى تحقيقه ، ومهما خطا خطوات تقربه الى الهدف ، قد يقع ما ليس فى الحسبان ولا فى تصور الانسان ما يحول دون تحقيقه ، أو يحول وقوعه الى شبه مستحيل ٠

ان الحياة البشرية مليئة بالمفاجآت ٠ وان حياة الناس فى المجتمعات يكثر فيها المتناقضات ٠ وارادة الأفراد قد يعارض بعضها بعضا ٠ وكذلك ليس من الحكمة فى التفكير : أن يعتقد انسان ما أو يظن أن ما يفكر فيه سيقع حتما ٠ والشيطان هو الذى يوسوس له ، ويزين له الأمر ، ويحمله على الانتظار والترقب لما يقع ٠ ويعيش الذى يتبع هواه أو شيطانه فى وهم وفى خيال ٠

فالمؤمن بالله يترك المقادير اليه جل شأنه ٠ وما عليه الا أن يسعى فى واقع حياته على النمط الذى يرضى عنه الله ٠ وهو ذلك النمط الذى يوافق شريعة الله ٠ ما عليه الا أن يطمئن الى أن ما يقع فى الحياة ليس شرا ٠ فاذا لم يصبح هذا الشاب الملتحى زوجا للفتاة التى تفكر فيه كثيرا وتتمنى أن تكون له زوجة : فيجب أن تعتقد ـ اذا كانت مؤمنة حقا ـ بأن ما وقع خير لها ، وله ٠ وربما يعوضها الله فى واقع الأمر من هو خير منه ٠

وبهذا التفكير الواقعى تبتعد السائلة عن الاستطراد فى الخيال ،وتعفى نفسها من وسوسة الشيطان ٠ وتهتم بما هو أفيد لها فى الدراسة وفى العمل بعدها ٠

وهى تستطيع أن تعفى نفسها بالتدريج من وسوسة الشيطان بأن تقرأ المعوذتين كل مرة ، عندما تبدأ تسرح فى خيال الأمل والأمانى التى تعلقها على زواج الشاب الذى تمناه لها جد السائلة أمامها ٠

★ ★ ★

٧٦ ـ استخدام المنجمين لحل أزمة زواج البنت :

تقدم لخطبتى احد اقارب والدى وهو كفء ٠ غير أن أسلوب والدتى والاثقال عليه فى طلبات : من مهر ، وشبكة ، والمبالغة فى ذلك صرفه عنى ٠

وكانت أمى تريد زواجى من ابن أختها ٠ غير أنى ما ملت اليه ، ثم ذهب هو الآخر ليخطب غيرى ٠

وأمى ـ وهى نادمة ـ لا شغل لها الآن الا الذهاب الى المنجمين ، وكتاب الأحجبة ، جلبا لعريس لى ٠٠ فما الرأى ؟

● يتضمن هذا السؤال ثلاث نقاط :

النقطة الأولى : الغلو فى المهر ،

النقطة الثانية : تحكيم صلة القرابة فى اختيار الزوج ،

النقطة الثالثة : الاعتقاد فى التنجيم ، والتمائم والأحجبة ٠

● والمهر فى نظر الاسلام وان كان أمرا أساسيا فى الزواج ، يعطى من الرجل الى المرأة ، ولكن يعطى كمنحة وهدية منه ، تعبيرا عن رغبته فى الاقتران بها ، وليس كثمن لها ، تختلف قيمته ، تبعا لاختلاف منزلة المرأة الاجتماعية ، أو تبعا لما يترقب : من منافع مادية منها ٠ ولذا يكفى فى المهر عند الشافعى أن يعلم الزوج زوجته بعض سور القرآن الكريم ٠ وتعليم القرآن ابعد ما يكون عن مقياس الاقتصاد فى مجال الثمن والسلعة ٠

والغلو فى المهر اذن خارج عن محيط الزواج ، كما ينظر اليه الاسلام ، تدفع به الى حياة الناس عوامل التأثر بالقيم المادية ، واخضاع الانسان فى تقديره الى المستويات المادية ، وحدها ، أو قبل المستويات النفسية ، والعقلية ، والسلوكية للرجل والمرأة ، ويروى عن عمر رضى الله عنه أنه خطب ذات مرة فقال : « الا : لا تغالوا بصداق النساء ٠ فانها لو كانت مكرمة فى الدنيا ، أو تقوى عند الله ، كان أولاكم بها النبى صلى الله عليه وسلم » ٠٠

● وتحكم الأم فى تزويج ابنتها من ابن اختها ، الذى لم ترض به البنت زوجا لها قد حمل الأم على أن تطارد رجلا آخر كفأ رضيت به ابنتها ، بسبب أو بآخر : يعارض ما جاء فى اذن المرأة ، سواء أكانت بكرا أم ثيبا ، فقد ورد عن الرسول عليه السلام : « الثيب احق بنفسها (أى فى الاذن بالزواج) من وليها ، والبكر تستأمر (أى يؤخذ أمرها واذنها) واذنها سكوتها » ٠٠ والأم ٠٠ كامرأة ليست من الأولياء حتى يكون لها شأن ما ٠ ولكنها العادات هى التى تطغى على صفاء المنهج الذى رضى به الاسلام فى العلاقة بين الرجل والمرأة ٠

● وذهاب الأم الى المنجمين ، بعد أن فاتت عليها فرصة الرجل الكفء الذى رضيت به ابنتها ، وبعد أن لم تنجح هى فى حمل ابنتها على قبول ابن أختها كزوج لها : لا يفيدها فى شىء ٠ فلا قول المنجمين ، ولا خبر العرافين يكشف عن غد الناس ومستقبلهم ٠ اذ علم ذلك لله وحده ، ويروى عنه عليه الصلاة والسلام قوله : « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله : لا يعلم ما

فيض الأرحام الا الله ، ولا يعلم ما فى غد الا الله ، ولا يعـلم متى يأتى المطر حد الا الله ، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت الا الله ·· ولا يعلم متى تقـوم لساعة الا الله » ··

***

٧٧ ـ الشعوذة ـ وشفاء الأمراض :

مرضت زوجتى وذهبت بها الى أطباء كثيرين ، ولما لم ينفع العلاج دلنى الناس على شيخ اخبرنى بأنه مكتوب لها عمل · وفعلا أحضره بعد أن اتفقت معه على مبلغ معين · وقد شفيت ، ولكن بعد شهور قليلة عاودها المرض وذهبت الى شيخ آخر فقال : انه موجود لها عمل وتحتاج طبعا الى نقود · وكررت الأمر مع ثالث ·· فقال مثل ما قال الأول · فماذا أصنع ؟

● جاء السحر فى القرآن الكريم حكاية عن بعض أهل الكتـاب ممن لم يؤمنوا بالقرآن وأعرضوا عنه ، بينما اتبعوا الشعوذة والخرافة التى كانت شائعة على عهد سليمان وفى زمنه · وما جاء فى قول الله تعالى :

« ولما جاءهم رسول من عند الله (يقصد أهل الكتاب) مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب : كتـاب الله (وهو القرآن) وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون · واتبعوا ما تتلوا الشياطين (أى الناس الأشرار من سـحر وخرافة وشعوذة) على ملك سليمان (أى على عهد سليمان وفى زمنه) وما كفر سليمـان (لأنه لم يتبع شيئا من ذلك) ولكن الشيـاطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين (فتنة للناس) ببابل : هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا : انما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقـون بـه بين المرء وزوجه ، وما هم بضـارين به من أحد الا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم » (١) ·

وما جاء فى هاتين الآيتين يوضح :

أولا : أن الذى كان يمارس الشعوذة والخرافة بعيـدا عن الدين واتبـاع هدايته ـ هم أشرار الخلق من النـاس : « واتبعـوا ما تتلوا الشياطين » ··

---

(١) البقـرة : ١٠١ ، ١٠٢ ·

ثانيا : أن ما عرف عن هاروت وماروت في بابل كان للابتلاء والفتنة أي كان لاختبار الناس في طاعة الله ، ولذا كان يقول هذان الملكان للناس · **« انما نحن فتنة فلا تكفر »** **

ثالثا : أن ممارسة الشعوذة والسحر والخرافة من أشرار الناس ضد غيرهم ممن يعيشون معهم لا تضر أحدا ممن وجه اليهم استخدامها الا اذا كان ذلك قد صادف ارادة الله واذنه : **« وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله »** ·

واذن الاعتقاد الصحيح هو الابتعاد عن السحر والشعوذة · وعدم التأثر بشأنهما في الحياة وترك الفعل فيها الى الله وحده . فما يصيب الانسان لا يصيبه بسحر ساحر ولا بشعوذة كاهن ، وانما بارادة الله واذنه ·

وعلى هذا يتجنب الانسان تصديق ما يقال من أن فلانة أو فلانا عمل له « عمل » يحتاج الى ازالته من الطريق ·

وما تصوره السائل خاصا بزوجته من أنها تمرض ثم يزول مرضها بتدخل شيخ من الشيوخ في شأنها : يرجع الى حالة نفسية تجد عند الزوجة ، كلما قيل لها : أن فلانا الشيخ أحضر « العمل » وأزاله من طريقها ، اذ عندئذ تشعر بالشفاء والراحة النفسية ، ثم تعود اليها الكآبة من جديد ·

أما الأطباء البشريون فربما عنايتهم بالمريضة قليلة : يشخصون مرضها عن احتمال وليس عن تحليل ، أو وسيلة علمية دقيقة أخرى ·

وربما الأمر كله لديها يعود الى توهم نفسي : أن بها مس من الجن لا يشفيه الا خروج الجن ذاته : ومثل هذه التوهمات النفسية لا يشفيها الا قوة الايمان بالله · فهو وحده صاحب المشيئة وصاحب الفعل ، وصاحب الصراط المستقيم الذي لا يخفى على أحد في كتاب الله · ومن يلتجيء الى الله بايمان قوي يقيه شرور الناس وأفعالهم ، كما يقيه النفس وتخيلاتها وهي أمور لا تنقطع اذا أخذت طريقها الى العمق في النفوس ·

★★★

٧٨ ـ الابن الأكبر يستعجل اباه فى الموافقة على الزواج :

انا موظف وعمـرى ثمانيـة وعشرون عاما ، وأعطى ابى كل مرتبى • ونحن ثمانيـة اخوة وأخوات ، خمسة منهم يستحقون الزواج وانا اكبرهم • اريد أن اتزوج وأبى لا يوافق بحجة عدم وجود نقود •• فما الراى ؟

● سن السائل ـ وهى ثمانيـة وعشرون عاما ـ ليست سـنا كبيـرة ولا متأخرة فى حياة الأجيال اليوم ، فهناك عمر مديد ان شاء الله أمامه •

ورغبته فى الزواج فى هـذه السن رغبة طبيعية لانسـان طبيعى ، كما تعبر هـذه الرغبة ذاتها عن حـرص لديه ، وهو انه يريد أن يسلك سـلوكا مستقيما فى حياته ويتحمل مسئوليته ازاء الأسرة الجـديدة •• ويجـد فى السعى والعمل كى يفى بهذه المسئولية •

وهذا اتجاه يجب تشجيعه لدى الشباب • وقد نصح به الرسـول عليه الصلاة والسلام شباب المؤمنين بقوله : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (أى الزواج ونفقات الزوجية •• أى من يرى فى نفسه أهلية لمعاشرة المرأة وقدرة على الانفاق عليها) فليتزوج ، فانه (أى الزواج) أغض للبصر (أى أكثر اغضاء للنظر • وذلك كناية عن قلة التطلع الى النساء والانشغال بهن) وأحصن للفرج (أى أكثر حفظا لعفة الانسان ووقوعه فى رذيلة الزنا) »•

ولكن هل وضع السـائل هنا هو ذلك الوضـع ؟ وبالأخص قدرته على الانفاق على الزوجة ؟ ربما يظن أو يعتقد ـ أن مرتبه فى الوظيفة يستطيع أن يغطى نفقات الزوجية لو خلص له ولزوجته ، أو أنه اذا وجد زوجة تباشر عملا بالأجر فى وظيفة ما فان أجـرها بالاضـافة الى أجـره سيتكفل بسد نفقات الأسرة المقبلة ! •

ويسأل السـائل الآن : هل سيحقق الزواج المرتقب فى حقيقـة أمره أن وقع : غاية الزوجية ؟ •

هل سيحقق المودة والتعـاون بروح مخلصـة تسعى الى التكامل بين الطرفين ؟ •

أم أنه سيشغل نفسيا بوضع والديه واخوته وأخواته اذا ظلت حاجتهم الى جزء من مرتبه قائمة ، هل سيشعر بندم على انه آثر حاجته ـ وهى ليست ضرورية فى الدرجة الأولى ـ على حاجة أهله وهى تمس صميم معيشتهم ؟ •

هل سينعكس وضعه النفسى القلق على علاقته بزوجته ، فتصبح العلاقة بينهما قلقة كذلك ؟ وبمرور الأيام يتهم زوجته ـ من غير وجه حق ـ بأنها كانت السبب فى خلق مشكل أهله ، وهو مشكل الحاجة الملحة اليه ؟ ·

هل ستتعاون الزوجة معه وتضيف أجرها الى أجره ان كانت عاملة . بروح مخلصة تنشد التكامل بينها وبينه ؟ أم أنها ستفكر فى مصلحتها الذاتية ، وبذلك تضيف مشكلا آخر لزوجها ، وهو مشكل : موازنة النفقة التى قامت أساسا على رقم معين ، هو مجموع أجره بالاضافة الى أجر زوجته ؟ ·

ومن أجل مثل هذه المشاكل ينصح الحديث السابق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخره الشباب أيضا بعدم التسرع فى الزواج ان افتقد الشباب أهلية المعاشرة الزوجية ·· أو القدرة على الانفاق على زوجته فيقول : « ومن لم يستطع (أى الزواج) فعليه بالصوم ·· فانه له وجاء (أى مانع من الاندفاع على طلب المرأة) » ·· وتحديد الصوم فى هذا الحديث كعلاج لاضعاف الرغبة فى المرأة هو علاج ذاتى يباشره الانسان من ذاته ، كما يفعل وقت ما يخشى على نفسه من السمنة واجهاد القلب عندما يزيد وزنه ·

والسائل الآن بين وضعين : يختار أيهما أنسب لنفسه ، وأحفظ لروابطه ·

★★★

٧٩ ـ القسوة كطريق الى جبر الخاطر :

انى أخت لشقيقتين : الكبرى تزوجت · وأنا الصغرى عقد قرانى · والوسطى باقية · وأمى مجاملة لأختى التى لم تتزوج : تعاملنى بشدة وقسوة ، وتحرمنى من أى عطف ، معتقدة أن فى هذا جبرا لخاطر أختى ·· فما الرأى ؟

● ليس من المعقول أن تضمر أم لاحدى بناتها حقدا أو بغضا ، مهما قست عليها فى التعبير أو احتدت معها فى المناقشة ، وهددتها بكل انذار ووعيد ، فطبيعة الأمومة ـ كطبيعة الأبوة ـ تجذب الأم نحو ولدها ذكرا أو أنثى ، وتدفعها الى الافتتان به · ولذا كانت الأولاد عند الله ، فتنة واغراء بالنسبة لآبائهم وأمهاتهم كالمال سواء بالنسبة لمالكه · فالأولاد والأموال من نعم الله التى يختبر بها سبحانه من منحهم اياها : هل سيطغى حب الأولاد على آبائهم ، وحب المال على مالكه ، بحيث يصير الأمر مع هذا أو ذاك الى فساد ؟ أم أنه سيكون بجانب حب الأولاد ، وحب المال مكان لحكمة الآباء

والأمهات ولحكمة مالك المال فى التصرف ازاء هذه النعمـــة من الله ، فتنشأ الأولاد على الاســتقامة ، وينفق المال فيما ينفــع ، لا فيمــا يضر الــذات أو الآخرين ؟ : « **واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم** » (أى فى الآخرة ولذا يجب تجنب الطغيان والعبث عن طريق الأولاد والأموال فى الدنيا) (١) ··

ولأن كفة الأولاد عند الوالدين راجحة فى العلاقة بين الأولاد من جانب والوالدين من جانب آخــر ـ أى أن حب الوالدين للأولاد أقوى بكثير من حب الأولاد للوالدين ـ كانت الوصــية الالهية التى تجب على الوالدين بالنســبة لأولادهم هى ما جاءت على لســان لقمان فى قول القــرآن الكريم : « **واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم** » (٢) ·· فتطلب هذه الوصية من الوالدين أن يحذروا أولادهم من الشرك والوثنية ·· اى يحذرونهم من الالحاد والمادية · والمادية تتجسم فى الأنانية وحب الذات · ولكنها لا تطلب من الوالدين العطف ، والرعاية لأولادهم · لأن ذلك أمر مكفول لديهم بحكم الأبوة والأمومة · بينما كانت وصية القــرآن التى يتجه بها نحو الأولاد بالنسبة لوالديهم : هى وجوب الرعاية التامة والاحســان اليهما من جانب الأولاد فى صوره المختلفة : من المعاملة الى القــول ·· الى الحركة : « **وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ، ولا تنهــرهما وقل لهما قولا كــريما · واخفض لهما جنــاح الذل من الرحمــة ، وقل رب ارحمهمــا كما ربيانى صغيرا** » (٣) ·

ومضمون الوصــيتين اذن يعطى عـــدم التعــادل فى الحب فى علاقة الوالــدين بالأولاد وبالتالى يوضح : مدى حب الوالــدين لأولادهم الى درجة الافتتان بهم ·

والبنت الصغرى ـ وهى السائلة فى هذا السؤال ـ يبدو أنها تتــدلل بنفسها وبمن عقدت عليه قرانها أمام أختها الوسطى ، مما يثير فيها الاحساس بالنقص ، وبالتالى يولد عندها الكآبة والتشاؤم · كمــا يبدو أن أمها نصحتها مرارا من غيــر جــدوى بالتحفظ ورعــاية شعور أختهــا ، وذلك لتخفف مــن المظاهر التى تجــرح عواطف أختها · واذن قســوة الأم على السائلة وعــدم

---

(١) الأنفال : ٢٨ (٢) لقمــان : ١٣ ·
(٣) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤ ·

التعبير لها عن عاطفة الأمومة أمر تقتضيه مصلحة البنت الوسطى كانسان له شعوره وأحاسيسه وعواطفه وكبرياؤه ٠

والأولى بالسائلة أن تسلك مع اختها مسلك المتمنى لها ٠٠ الحريص على مستقبلها ، فى غير اطراء على نفسها أو على قرينها ٠ وعندئذ ستحس بعاطفة الأم ورعايتها وحنانها ٠

***

٨٠ ـ الزوج يرى فى ترقية زوجتة اهانة له :

من سوء حظي : أن رجلا خدعنا بمظهره على أنه موظف ، وهو يكبرني بعشر سنوات ، وانا مدرسة بالمدارس الابتدائية ، وظهر أنه عامل باحدى الوزارات وحين رقيت مفتشة فى الدرجة السادسة كانت الطامة الكبرى ٠ لأنه في العاشرة ، ويضيق من كل تقدم أو تقدير لي ٠ ويكره أبويه لأنهما لم يعلمانه ٠ ولذا قلب حياتي جحيما : اهانة ٠٠ واساءة ٠٠ واضرار ٠٠ فما الخلاص ؟

● قيمة الرجل كزوج ـ فى نظر الاسلام ـ لا ترتبط بنوع العمل والوظيفة ٠٠ كما لا ترتبط بالأصل والشرف فى الأسرة ٠ بل تعود الى دينه وخلقه ٠ والدين والخلق يتمثلان أكثر فى السلوك العملى للشخص ٠ وليس فى حديثه أو مظهره الخارجى ٠ ولهذا يقول تعالى فى تفاوت الناس والتفاضل فيما بينهم : « **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم** (وليس اغناكم ٠٠ ولا أعلمكم ٠٠ ولا أعلاكم حسبا ونسبا) **ان الله عليم خبير** » (١) ٠٠

والتقوى هى تجنب الانحرافات فى السلوك ٠٠ وأداء الواجبات للآخرين والمحافظة على حرماتهم ٠

ولأن الأكثرية من الناس تخدع بالغنى والجاه فى رابطة الزوجية ، يصر الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة رضوان الله عليهم فى هذا الشأن ٠ فيروى عن سهل رضى الله عنه قال : « مر رجل (أى من الموسرين الأغنياء) على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالوا :

---

(١) الحجرات : ١٣ ٠

حـرى ان خطب أن ينـكح ، وان شفع أن يشفع ، وان قال أن يستمع له ، ثم سكت ٠٠ فمر رجل من فقراء المسلمين ٠ فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالـوا : حرى ان خطب أن لا ينكح ٠ وان شفع أن لا يشفع ٠٠ وان قال أن لا يستمع له ٠ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : هذا (أى الفقير) خيـــر من ملء الأرض من مثل هذا (أى خير من ذاك المليء ٠٠ الغنى ٠٠ الموسر) » ٠٠

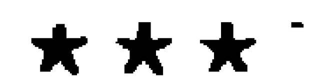
ثم كان قوله عليه السلام الذى يعتبر دستورا ومبدأ واضحا فى اختيار الزوج وهو ما يروى عنه صلوات الله عليه فى رواية أبى حاتم المزنى : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه (أى فاقبلوا الزواج منه) الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفســاد ٠ قالوا يا رســول الله ، وان كان فيه (أى وان كان فيه فقر ٠٠ أو فيه عدم نسب شريف ؟) قال : اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » ٠٠ ثلاث مرات ٠٠

وهـكذا : ليست الوظيفة ٠٠ ولا نوع العمـل ٠٠ ولا النسب والحسب ٠٠ ولا المال والجاه : هو المرجح فى اختيار الزوج ٠٠ وانما خلقه ٠٠ ومروءته ٠٠ واستقامته وشعوره بالمســئولية ٠٠ وفى بقية الصفات التى جعل منه انسانا ذا دين ٠

● والسائلة ان كانت قد خدعت بمظهـر زوجها على أنه موظف وليس بعـامل فى الدرجة العاشرة ، فانها لم تخدع فى سـلوكه كرجل وانســان ٠ وكانت عندئذ لديها فرصة لعدم اتمام عقد الزواج ٠

واذا فسرت عدم ارتياحه عندما ترقى هى الى درجة مالية أعلى : على أنه حقد عليها ٠٠ أو فسرت عـدم رضــاه عن والديه لأنه لم يتعلم بسببهما : على أنه كراهية لهما ، فقد يكون واقع الأمر غير ذلك ٠ فربما هى تثيره من وقت لآخر بما تكـرره من أنها أحسن منه مسـتوى فى التعليم ، وأرقى منه درجة مالية فى نظام الوظائف الحكومية ٠ والزوج لا يحب أن تنتقصه زوجته ولذا هو ينكد عليها حياتها كما تذكر ٠

ولـو فهمت الزوجة أن الحيــاة الزوجية هى حيـاة تعاون ، ومودة ، ورحمة ، من القوى للضعيف (والقوى هنا هو الزوجة) وأن احترامها للزوج كاحترام الزوج لهـا عـامل أساسى فى تحقيق الهـدوء والسكنى فى العـلاقة الزوجية : لما أقدمت على اثارته وتصغير شأنه المرة بعد الأخرى ٠ فهل تراجع نفسها مرة أخرى قبل أن تكرر الشكوى منه ٠



٨١ ـ عين الحسود :

فى بلدنا رجل مشهور بالحسد • وبمرور الأيام عهدنا فيه هذه الخصلة بصورة تحير العقول • حتى أنه ما تقع عينه على انسان ، أو حيوان ، أو زرع الا أصابه الضرر الشـديد ، ان لم يكن الموت • فما رأيكم ؟ وكيف نتقى عين هذا الحسود ؟

● ان أسرار الانسـان كثيـرة ، والكشف عنها حتى الآن نوع من الاحتمال أو التخمين • حتى أن بعض العلوم القائمة الآن ـ كعلم النفس ـ التى تنسب الى منهجها الوقوف على بعض هـذه الأسرار ، أو كلهـا : تدور ـ فى الواقع ـ فى فلك الظن باسم العـلم . وترفع شعار التجـربة والامـر فيها افتراض •

يوجد أفراد من الناس ـ وهم من نسميهم الحاسدين ـ ينفثون السموم فى شهيقهم حقدا على الآخرين ، ويرمون بنظـراتهم ما لدى غيـرهم من خير فيشعلون فيه نار الهـلاك • هـذه حقيقـة نلمس آثارها ، ولكننا لا نستطيع تعليلها نفسيا تعليلا علما يقينيا • وهذه الحقيقة ـ وهى حقيقـة الحسـد ـ قديمة مع الانسـان قدم طبيعته ، ويختلف الناس فى تصـورها وفى تحـديد العلاج الذى يحد من آثارها الضارة ، أو المخربة أحيانا • حتى أنـه صـار عرفا أو اعتقادا : أن يتصور الناس الحسـد على أنه شخص حلت فيه روح الشيطان • ويقصدون بذلك أنه مصدر شر • ويتقون شره اما بتجنبه وعـدم معاشرته أو بالتمويه عليه وخداعه فيما يتعرض له من مصـالح الآخـرين بالحديث أو النظر • ولحظة ان يرى الحاسد شيئا لآخر معه ، يسرى القلق الى نفس هذا الآخر ، ويحاول أن يدفع شره بالرقية مرة أو بالتقرب والدعاء الى الله مرة أخرى ، أو بالالتجاء الى شفيع وسيط مرة ثالثة •

● والحسد اذن نعرفه فى دائرة الانسان بآثاره وبما يتركه فى نفس من أصابته عين الحسود ، من اضطراب وقلق • وقد جاء القرآن الكريم بعـلاج ذلك فى سورة من سوره القصيرة وهى قوله تعالى : « **قـل أعوذ برب الفلق • من شر ما خلق • ومن شر غاسق اذا وقب • ومن شر النفاثات فى العقد • ومن شر حاسد اذا حسد** » (١) •• وهذا العـلاج هو أن يردد الانسان فى توجهه الى الله تعالى قوله : « **ومن شر حاسد اذا حسد** » •• وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام قبل نزول هذه السورة يتعوذ من عين الانسان • فلما نزلت أخذ بها وترك ما سواها •

---

(١) سورة الفلق •

ومنع شر الحسود يتوقف على مشيئة الله وحده · فهو صاحب الفعل والتدبير · والدعاء بما جاء فى هذه السورة ـ وهو الالتجاء الى الله فقط ـ ليحول جل وعلا دون آثار الحسد الضـــارة · ولا يعلم مشـيئته الا هو فى عليائه ·

وبوجه عام فقد وعد الله سبحانه فى كتابه أنه لا يضار من اتبع هــداه اذ يقول : « **فمن تبع هداى ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » (١) ·· وباتباع هدى الله يأمن الانسان أشرار هذا الكون · وهى كثيرة ، ومصادرها محيطـة بالانسان أينما وجد ·

★ ★ ★

٨٢ ـ العـــلاج بالأحجبة :

انى طالبة بالمدارس الثانوية · وبعض الناس لا يحبون لى الخير ، وقد يفعلون ما يضرنى · وفى هذه الأيام أقوم من نومى مروعة بالأحلام المفزعة ، اراها ، وأبى وأمى يريدان معالجتى بالأحجبة ، وأنا أرفض ذلك · فما الرأى ؟

● ان السائلة طالبة بالمدارس الثانوية ·وهى الآن فى سن المراهقـة ·· سن الآمال والخيال ·· والأوهام ·· وربما يختلط عليها الأمل بالوهم · فبينما يحلو لها الاسترسال فى خيال الأمل ، اذا بها تقف فجأة وتصطدم بوهم من الأوهام · وقد تجد فى واقع حياتها مع الآخرين :ما يزيد فى وهمها ، وفى الرغبة فى الحيطة منهم · قد تنقل اليها همسات الآخرين عنها ·· وقد ترى حركات لبعضهم تفسرها بأنها تشير اليها بالذات · وعندئذ تؤثر العـزلة · وكلما أمعنت فى العزلة كلما زادت فى الوهم ، وكلما تصـورت أنها محاطة بألوان من الحقـد ، ونوايا تضـمر لهـا السوء ·· ومن هنا تعتقد أن الناس لا يحبونها ·· وأنهم يريدون بها شرا · تعتقد ذلك فى اليقظـة ويتحـرك فى صور عديدة فى اللاشعور عندها فى النوم ، فتقوم مروعة بالأحـلام المفزعة كما تذكر فى سؤالها ·

ولكى تخفف من هــذه الأوهام تعود الى أملها فتقصره على الدراسـة والنجاح فيها · وبالتالى تحدد جانبا من جوانب التعليم تحرص على أن تحقق الهدف منه كأن تكون طبيبة أو مربية ، أو باحثة اجتماعية ·· الخ · وعندئذ

---

(١) البقرة : ٣٨ ·

تنزل من برجها العاجى الى الواقع فى الحياة · وبالتدريب النفسى تحاول أن تبعد عنها فى الوقت الحاضر أمل التعـرف على شـاب يكون لها شريكًا فى حياتها المقبلة ، وأمل تكوين أسرة جديدة فى وقت قريب ، وما يتصل بذلك من الأولاد ، والاستقلال عن الوالدين وبيت العائلة ، كما يقال ·

ولكى تنجح فى العودة الى واقع الحياة يجب أن تكشف عما فى نفسها ـ شيئا فشيئا ـ الى والدتها ، أو الى والدها · ولكن الأم أفضـل فى هـذه الحالة · وعلى الأم ـ وقد تجمعت لديها تجارب كثيرة ـ أن توضح لها حقيقة الآمال التى تراود ·· ابنتها ، وكمية الخيال التى تكون نسيج آمالها · اذ من هم فى سن المراهقـــة من البنات على الأخص ، يرون ما يجـرى فى أفـلام السينما مثلا : أنه حقائق . وينظرن الى الممثلين على أنهم المثل والنماذج : فى الجمـال ·· والرشـاقة ·· وفى الانفاق وبسط اليد ·· وفى الاستمتاع بالحياة والتمكن من وسائل المتعة المادية ·· وفى يسر المعيشة فى غير تعقيد · بينما قد يكون بعضهم فى غاية البؤس والشقاء لسبب من الأسباب فى حيـاته اليوميـــة ·

● وفى الوقت نفسه عندما تستعد السائلة للنوم تقرأ المعوذتين ، مـرة أو أكثر ، أى تطلب من الله سبحانه أن يبعد عنها : هواجس النفس الداخلية ، والوساوس التى تظلم عليها حياتها · وهى تلك الوساوس التى تتصل بتتبع الناس لها · كما تطلب منه جل جلاله : أن يبعد عنها مصادر الشر الخارجية ، على تعددها وكثرتها ·

والمهم عندما تقرأ المعوذتين أن تؤمن ايمانا عميقا بنفعهما ، وأن قراءتهما هى الطريق لوقاية الانسان من شرور هـذه الحيـاة · فالحياة النفسية لأى انسان يعقـدها الوهم ، بينما يجليها الايمان بالله على وجه أخص · واذا ما تجلى الطريق للانسان فى حياته فانه لا يخاف شيئا قط ، ولا يحزن اطلاقا على ما فات أو على أمر لم يتحقق بعد : « **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** » (١) ·· صدق الله العظيم ·

***

٨٣ ـ الوفاة فى رجب ، وشعبان ، ورمضان ـ والفوز بالجنة ؟ :

هل صحيح أنـه اذا توفى الشخص فى شـهر رجب ، أو شعبان ، أو رمضان ، يفوز بالجنة ؟ ويصبح من معاتيق الأشهر الثلاثة ؟

---

(١) ابراهيم : ٢٧ ·

● ان الاسلام فى ثوابه وفى عقابه لا يعرف الا نوع العمل الذى يباشره من آمن به · نقـرأ قول الله تعالى : « **ألا تزر وازرة وزر أخرى · وان ليس للانسان الا ما سعى · وأن سعيه سوف يرى · ثم يجزاه الجزاء الأوفى** » (١)· ففى هذه الآيات يصرح القرآن :

أولا : بأن خطأ أى انسان يتحمله المخطىء نفسه ، ولا يتحمله اطلاقا غيره ·

ثانيا : بأنه لا يحسب للانسان الا سعيه هو فى سبيل العمل الصـالح ، وأنه يجزى الجزاء الأوفى عليه وحده ، دون شىء آخر ·

ومعنى ذلك : أن الاسلام لا يدخل زمانا أو مكانا فى جزاء الانسان ، اذا توفى فى شهر معين أو يوم خاص ، أو اذا توفى فى مكان معين أو موضـع بالذات · فالأيام كلها سواسية ، والأمكنة كلها واحدة ، لا تغير مما يتأسس عليه جزاء الانسان شيئا · اذ أن ما يقوم عليه الجزاء هو العمل للانسان ، دون سواه من نسبه ، أو مكان وفاته ، أو زمان ولادته ·

والقرآن وما فيه من مبادىء يحدد منهج الحياة للمؤمن به ، كى يكون انسانا فى سلوكه وفى علاقته بالآخرين معه فى أسرته وفى مجتمعه · والانسان فى السلوك وفى العلاقة مع الآخرين معه هو الذى يحب لنفسه ، كما يحب لغيره · هو الذى يكظم غيظه من اساءة الآخرين ، ويعفو عنهم ·· هنا المحسن لغيره ·· هو الذى لا يشرك بالله انسانا ، أو مؤسسة أو حزبا ، أو صنما معه فى العبادة ·· هو الذى لا يباشر الجرائم الاجتماعية من قتل للنفس بغير حق ، واعتداء على الأعراض ، والأموال ·· هو الذى لا يباشر الزور والباطل ، ولا يشارك فى لغو الأحاديث وتفاهات التافهين ·

فجزاء الله للانسان اذن مرتبط بما يقدمه الانسان لنفسه ولمجتمعه من أعمـال تعود بالخير والرضا النفسى · وشهور : رجب ، وشعبان ، ورمضان ، تتحرك فى أيامها على مدار السنة الشمسية وفصولها · قد تكون فى الصيف ، وقد تكون فى الخريف أو الشتاء ، أو الربيع · ومعنى اعتبارها وادخـالها فى تحديد جزاء الانسان فى الآخرة : أن الأيام ذاتها كلها لها دخل فى ذلك · وهذا بعيد كل البعد عن روح الاسلام وهدفه فهو يعتبر العمل الذى يقع فى الأيام ، وليست الأيام التى هى ظرف للعمل ·

---

(١) النجم : ٣٨ ـ ٤٠ ·

وما يروج عن الأيام والشهور ، والأمكنة ، وقيمتها فى تحديد مستقبل الانسان يراد منه تبرير التواكل وتوهين قيام الانسان بمسئوليته • أى يراد منه النزوع الى الاتجاه السلبى فى الحياة •

***

٨٤ ـ الانتحار ـ وجزاؤه :

هل اذا انتحر الشخص لسبب ما يعتبر كافرا ؟ وما حسابه فى الآخرة ؟ وهل يمكن أن يتوب ؟

● الذى يقدم على الانتحار ، يضع حدا لنهاية حياته ، قاصدا ومتعمدا ، هو غير صالح للحياة ، لأنه فقد أهم صفة من صفات الحياة ، وهى صفة الصبر على تحمل المشقات • والذى يفقد صفة الصبر على الحياة يكون قد فقد قبلها صفة الايمان بالله • فالايمان بالله موطن الأمل • ومن يفقد الايمان بالله اذن ويفقد معه الأمل فى الحياة يكون قد يئس من كل رجاء ، وأغلق على نفسه كل طريق فيها •

والاسلام اذ ينصح الانسان بالصبر ويجعله نصف الايمان ، يعيد الانسان بذلك للحياة ، بحيث لا يتطرق اليه يأس ، وبحيث لا يفقد الأمل فى التغلب على الصعاب فيها •

الاسلام يعلم الانسان التغلب على الصعاب والمشاق ، اذ يكلفه بالحرمان فى صوم رمضان مما يستمتع به الانسان عادة من متع البدن ، ويقف معه اذ يضع أمامه : أن جزاء الصوم وثوابه يباشره الله وحده ، مما يحول لديه الحرمان من المتع المادية الى متعة نفسية تفوق كل متعة عداها من المتع المادية •

وتوجيه الاسلام للانسان اذن أن يكون الانسان ذا صلابة فى مواجهة الأحداث والمشقات : لا تنال منه ، وانما هو يتغلب عليها ، ويسير قدما فى طريقه ، معبرا عن حيوية ايمانه ، وعن مشاركته فى الحياة للآخرين •

● والمؤمن اذن لا يقدم على الانتحار • لأنه أعد للتغلب على المشقات ، ولأنه لا ييأس من روح الله فى الوصول الى هدفه ، بعد أن يجتاز ما يقف فى طريقه من صعاب •

والمؤمن صابر ·· وصاحب امل فى الله ·· فلابد أن ينجح فى طريقه · لا ترهبه محنة ، ولا يخيفه تحـد ، ولا يحـول بينه وبين ايمانه العنت مـن أعـدائه ·

أما الذى لا يؤمن ·· أما الكافر بالله فهو من أول الأمر جبان · يسارع الى الانتحار قبل أن يواجه التحديات ، ويؤثر الخـلاص من نفسه قبـل أن يحاول الخلاص من العقبات أمامه ، ان كانت هناك عقبات · وغالبا ما تكون عقبـات أمام شهوته وهواه ·

ونصح يعقـوب لأولاده فى البحث عن أخويهم : يوسف ، وبنيامين : يوضح لهم أن الياس وعـدم الأمل فى الله صفة من صفات الكفر وحـده :
« يا بنى : اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ، ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » (١) ·

● أما حساب المنتحر فى الآخرة فهو حساب الكافر · وليس هنـاك مجال بعد موته لأن يتوب عن خطئه · لأن التوبة عن الخطأ أو المعاصى والذنوب تكون فى الدنيا أى فى حيـاة التائبين وهم فى دنيـاهم ، قبل أن يساقوا الى قبورهم ·

وعلى هذا فالمنتحر بعيد عن رحمة الله · اذ لا يقترب من الله الا أولئكم الذين يستحقون الحياة : بإيمانهم وأملهم فى الله ، وصبرهم على التحـديات والمشاق فى الحيـاة ·

★★★

★ سائل من احدى المحافظات يسأل : انتحر حفيده الطالب بالثـانوية العامة ، بسبب خـلاف بين والديه ، عجـز هو عن اصـلاحه · وكان المنتحر صالحا وصـاحب خلق · فهـل صدقاتى واستغفارى له يفيده ؟ وهل يغفـر الله له ؟ ·

● هناك مرحلة نفسية لدى الانسان تسبق مباشرته وضع حد لحياته · وهى مرحلة فقدان الأمل أو الياس · فالطالب موضوع السؤال هنا عز عليـه الخلاف بين أبويه ، وحاول علاجه ورد العلاقة بينهما الى الوضع الطبيعى ·

---

(١) يوسف : ٨٧ ·

ولكنه لم ينجح . والقصور عنده هو أنه تصور أن عدم نجاحه الآن فى محاولته : أمر نهائى . ولذلك يئس أو فقد الأمل فى النجاح . وربما لو حاول مرة ومرة أخرى ، أو استعان ببعض الأقارب والأصدقاء لنجحت محاولته أخيرا . ولكنه لم يصبر .

والاسلام اذ يطلب من المؤمن : أن يتوكل على الله ، يطلب منه فى واقع الأمر أن يبتعد عن اليأس ، **وأن لا يفقد الأمل عند مواجهته للأحداث والأزمات** والشدائد . وذلك بالصبر والتحمل . ولذا يقال : « الصبر نصف الايمان » .. والتوكل على الله ليس تواكلا . أى ليس موقفا سلبيا من المتوكل . وانما هو قمة الموقف الايجابى منه ... اذ عندما يطلب القرآن الكريم من الرسول عليه السلام فى قول الله تعالى : « **فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين** » (١) .. يطلب منه أن يعتمد على الله ويستند الى عونه ، بعد أن يراجع الأمر بينه وبين المؤمنين ويشاورهم فى المشاكل التى تواجههم ، كما تصرح الآية قبل ذلك ، فى قول الله تعالى : « **وشاورهم فى الأمر** » (١) .. فالمشاورة عملية تطلب عرض الاتجاهات المختلفة والآثار الايجابية والسلبية التى تترتب عليها . وهى تستنفذ جهدا بشريا .

فالايمان بالله حقا لا يعرف فقدان الأمل ، ولا اليأس . ولذا من ينهى حياته بنفسه يأسا من الواقع الذى يواجهه يكون فى مرتبة من ارتد عن الايمان نفسه . فهو لم يعمل بمقتضى الايمان : لم يصبر على المحنة ، ولم يتوكل على الله فى معاونته على اجتيازها . والأمل الذى ينبغى للمؤمن أن يحرص عليه ليس خيالا ولا تصورا نفسيا بعيدا عن مجرى الحياة التى يعيش فيها . انه من واقع الحياة ذاتها ، وأنه قائم على مبدأ فى الوجود ، لا يختلف اطلاقا . وقد ذكر به الله رسوله الكريم فى قوله تعالى : « **فان مع العسر يسرا** » (٢) .. وهو مبدأ : أن كل شىء فى الوجود ينطوى على نقيضه ويصير اليه حتما يوما ما . فالعسر أو الشدة ، ينطوى على اليسر والانفراج ويتطور اليه حتما ولذا يقال : « اشتدى أزمة تنفرجى » .. وكذلك يخرج الحى من الميت ، والميت من الحى : « **ان الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ، ومخرج الميت من الحى** » (٣) .. وعلى هذا النحو : ينفصل الليل من النهار : « **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون** » (٤) .. فالأمل فى التغيير أمر قائم . ولذا لا داعى لليأس ، والانتحار .

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .
(٢) الشرح : ٥ .
(٣) الانعام : ٩٥ .
(٤) يس : ٣٧ .

أما مغفرة الله لمن أنهى حياة نفسه متأزما ، بعيدا عن الأمل فى التغيير ، فذلك أمر يتعلق بارادته هو سبحانه وتعالى • ولكن فى تصورنا عندما يكون شأنه شأن المرتد عن الايمان فما ارتكبـه من خطأ يبعـد أن تصل اليه مغفـرة المولى جـل جلاله •

وعلى نحو المغفرة تكون الصدقة • وهى لا تقـع هنا موقع الكفارة • والصدقة هنا تحسب للمتصدق • ولكن قلما تزيل جريمة الشك في نعمة الله من انسان آخر • وهو ذلك اليـائس المنتحر • وقد قـال يعقوب لبنيه : « **يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه** (بنيامين) **ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** » (١) •

***

٨٥ ـ تحضـــير الأرواح :

موظف باحدى الشركات يسأل :

(أ) هل الأحجبة القرآنية حرام ؟ وما موقف الاسلام منها ؟

(ب) هل تحضير الأرواح والجان صحيح كما يدعى بعض الناس ؟

(ج) هل البشر أربعة أنواع : ترابى •• ومائى •• وهوائى •• ونارى ؟ وهل هذا صحيح كما يدعى حاسبو النجم ؟

● القرآن كتاب من عند الله ، أنزله على رسوله المصطفى صـلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات الى النور : « **كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد • الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض** » (٢) •• والظلمات التى يخرج الناس منها هى ظلمات المادية والجاهلية •• ظلمات الشرك والوثنية •• والنور الـذى سيخرجون اليـه هو نـور صراط الله العـزيز الحميد •• نور هداية الله فى رسـالته •

فهدف القرآن هو التنوير ، ودعوة الناس الى التحول من اتجاه الأنانية فى الحياة •• الى الاخـاء فى البشرية •• من القبلية والشـعوبية •• الى الروابط الانسانية : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا • واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعـداء** (أى عن طريق القبلية) ، **فألف بين قلوبكم فأصبحتم**

---

(١) يوسف : ٨٧ •   (٢) ابراهيم : ١ ، ٢ •

(اى الآن عن طريق ارتباط بعضكم ببعض عن طريق هداية القرآن) **بنعمتـه اخـوانا » (١) ··**

فمن يتصل بالقرآن يتصل به كمصدر هداية · ومن يحمل القرآن يحمله على انه المشعل الذى ينير له طريق السلوك والمعاملة مع الآخرين · ومن يتخذ القرآن علاجا وشفاء ، يتخـذه علاجا وشفاء للحيرة والضلال ·· والأوهـام والخرافات : « **يا ايهـا الناس قد جـاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لمـا فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين » (٢) ··**

على أنه من جهة أخرى : القرآن انذار للمعارضين لرسالة الله · وهم الذين يؤثرون الدنيا وما فيها من فتن واغراء على القيم الانسانية فى علاقات الناس بعضهم ببعض : « **وويل للكافرين من عذاب شديد · الذين يستحبون الحيـاة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ، ويبغونها عوجا » (٣) ··** وعلم المعارضين برسالة القرآن ، مع اصرارهم على معارضته ، سيزيد مـن مضاعفة العذاب لهم ، وبالتالى سيزيد من خسارتهم : « **وننزل من القـرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين** (وهم المعارضون والمنكرون لـه) **الا خسارا » (٤) ·** فالقرآن كما هو شفاء بهدايته للمؤمنين ، فهو مصدر خسارة بانذاره للمعارضين ·

● بعد هذا : ليس من أهداف القرآن الوقاية من الأمراض الجسمية · نعم هو وقاية من الأمراض الاجتماعية ، كجرائم الزنا ، والسرقة ، والقتـل ، لأنه ينهى عنها ومن يتبعـه يتجنبها ، وكذلك من الأمراض النفسية والعصـبية التى تكون نتيجة عـدم التوكل على الله ، حين تهتز النفوس وتضطرب بسببه الأحداث والأزمات · ولكن أساسا لا لحجب الأمراض التى تصيب البـدن ، من عـدوى وخلافها ·

والاسلام يرى فى اتخاذ القرآن « حجابا » خروجا به عن هدفه · ويجب أن يقصر الانتفاع به على ما فيه من هداية الله · وكلما التزم قارئه ، أو سامع تلاوته بما أعلن فيه من مبادىء وأحكام ، كلما كان أكثر انتفاعا به ، وكلما كان القرآن وقاية له من الأمراض المادية والجاهلية ، ومن أمراض المجتمعات ، وأمراض النفس الأمارة بالسوء ·

---

(١) آل عمران : ١٠٣ ·
(٢) يونس : ٥٧ ·
(٣) ابراهيم : ٢ ، ٣ ·
(٤) الاسراء : ٨٢ ·

● وجاء القرآن الكريم بمفهوم « الروح » ويراد من الروح فى أغلب ما ورد فيه : جبريل عليه السلام · كما جاء فى قوله : « **ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده : أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون** » (١) ··

وقد يراد بالروح القرآن ذاته ، على نحو ما يرجح السياق هنا فى قول الله تعالى فى سورة الاسراء .

« **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ،**

ولا يزيد الظالمين الا خسارا » (٢) ·· الى أن يقول :

« **ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا · ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا · الا رحمة من ربك ، ان فضله كان عليك كبيرا · قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** » (٣) · فما قبل « الروح » هنا ، وما بعدها كذلك ، كان الحديث عن القرآن ، مما يرجح أنه المقصود من كلمة « الروح » فى : « **ويسألونك عن الروح** » ·

ووردت فيه أيضا : « روح الله » بمعنى لطفه · كما جاء فى آخر سورة المجادلة : « **أولئك كتب فى قلوبهم الايمان ، وأيدهم بروح منه** » (٤) ·· أى بلطف منه ·

ولكن الروح بمعنى النفس الانسانية شاعت بين المسلمين بعد ترجمة الثقافة الاغريقية وعلى الأخص ، كما شاع فيه مفهوما . الجوهر ·· والعرض ·· وقصد بالجوهر : الروح أو النفس . كما قصد بالعرض البدن أو الجسم·

● أما أن البشر يتنوعون الى أربعة أنواع : ترابية ·· ومائية ·· وهوائية ·· ونارية ، فربما يكون المقصود من هذا التنوع : اختلاف الأمزجة فى تركيب الأبدان ، مما يجعل نفوسها تختلف فى الحركة ·· وفى الميول ·· وفى التفاؤل والتشاؤم ·· وفى الحمق أو الهوج . وفى التأنى أو التروى عند اصدار الأحكام ·· وغير ذلك من ألوان السلوك والتصرفات فى المواقف والمعاملات ·

★ ★ ★

---

(١) النحل : ٢ ·　　　(٢) الاسراء ٨٢ ·

(٣) الأسراء ٨٥ ــ ٨٨ ·　　　(٤) المجادلة . ٢٢

الفصل الرابع

فى محيط العمل ـ والمال

٨٦ ـ تجارة الحشيش ـ والاطلاع على الغيب :

تسأل آنسة بكلية الهندسة باحدى الجامعات الاقليمية :

أولا : ما حكم تجارة الحشيش ؟ وما مصير المال العائد من تجارته ؟ وهل يجوز تنبيه الجهة المختصة التى تطارد هذه التجارة والمتجرين فيها ؟ لى جار اغتنى غنى فاحشا منها ؟

ثانيا : هل الشيخ الذى يعمل « عملا » لامرأة أو لرجل ، يطلع على غيب الله ؟

ثالثا : ما حكم الزوجة التى قد تبيع بدون علم زوجها بعض الأدوات لديها لتشترى لأولادها أشياء هم فى حاجة اليها لا يلبيها الوالد ؟

رابعا : ما عدد مرات التوبة التى يقبلها الله ؟

● تجارة الحشيش حرام · لأنها تجارة فى أمر يفسد على الناس صحتهم ، ويذهب بأموالهم ، ويثير البغضاء فى أسرهم ، ويفرق بين الزوج وزوجته ·

فتناول الحشيش لا يضعف البدن فحسب · بل يضعف مع ذلك : العقل ، والارادة معا · والانسان اذا ضعف بدنه ، وضعف عقله ، وضعفت ارادته أصبح هيكلا لانسان يعتبر فى عداد الناس شكلا ، ولكن هو عبء على أسرته ، ومصدر قلق لها ·

ومتناول الحشيش اذا أدمن على تناوله يسلم نفسه للموت البطىء ، بعد أن يخلف وراءه المآسى ، ويترك بين أهله الضياع ·

والمال العائد من تجارة الحشيش مال حرام ، ومصيره الى الهلاك مهما كثر ، وهو غير مقبول عند الله ، كالربا سواء بسواء ٠ اذ كلا النوعين قائم على استغلال حاجة الضعيف ، والضعيف هو المقترض فى حالة الربا ، وهو المدمن بحكم العادة على تناوله ، فى حالة الحشيش ٠

وتنبيه الجهة القائمة على مكافحة الحشيش ، لتاجر معين من تجاره : واجب شرعا لأنه منكر ٠ وقد ورد فى حديث صحيح قوله صلى الله عليه وسلم :

« من رأى منكم منكرا ، فليزله بيده ،

فان لم يستطع فبلسانه ،

فان لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الايمان » ٠٠

والسائلة هنا لا تستطيع أن تزيل هذا المنكر بيدها ، ولكنها تستطيع أن تزيله عن طريق ابلاغ الجهة المسئولة ٠ وابلاغ الجهة المسئولة يعفيها من اثم التستر على هذا المنكر عند الله ، وان تهاونت الجهة المختصة لسبب من الأسباب بعد ذلك فى ازالته ٠

● أما « شيخ القرية » الذى يعمل « عملا » لامرأة أو لرجل ثم يقع هذا « العمل » فى حياة أى منهما فهو لا يطلع على غيب الله اطلاقا ٠ فالقرآن الكريم فى سورة الجن يعلق على « الكهانة » التى كانت شائعة فى مجتمع الجزيرة العربية عندما جاء الاسلام بقوله تعالى :

« عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه احدا ،

الا من ارتضى من رسول » (١) ٠٠ والرسول الذى يرتضيه الله اما من البشر : كموسى وعيسى ، ومحمد ، واما من الملائكة : كجبريل ، عليه السلام ٠٠ وبهذا التعليق يلغى القرآن الكهانة ٠ وهى تقوم على ادعاء أن الشياطين كانوا يسترقون السمع فى السماء الدنيا عندما يتحدث الله مع الملائكة ، ثم يبلغون علم السماء الذى يستمعونه كما يدعى ، الى الكهان ٠ وهؤلاء الكهان بدورهم يبلغونه أتباعهم ٠ وبذلك يصل علم الغيب الى هؤلاء الأتباع !! ٠

---

(١) الجن : ٢٦ ، ٢٧ ٠

ولكى يؤكد القرآن عدم أهلية الشياطين لنقل علم الغيب الى الناس فى حياتهم ، يقول فى سورة الشعراء :

« **وما تنزلت به الشياطين** · (أى بالقرآن وهو من علم الغيب) ··

وما ينبغى لهم (أى لا يجوز لهم كذلك الحصول عليه) ،

وما يستطيعون · (أى وليست أيضا لهم استطاعة ولا قدرة على الوصول اليه) ،

انهم عن السمع لمعزولون (فهم بعيدون كل البعد عن ان يسمعوا علم الغيب) » (١) ·

و « العمل » الـذى عمله « الشيخ » فى القرية ان وقع ـ كمـا تقول السائلة ـ فوقوعه عن طريق الصدفة وحدها ، ولا دخل لارادة « الشيخ » فيه · والا كان هو ومثله شركاء لله فيما يقع فى الكون ·

● والزوجة التى تبيع بعض الأشياء من القوت فى بيتها من غير علم زوجها ، لتشترى بثمن ما تبيعه : بعض الأشياء الأخرى للأولاد ، لم يعتـد الأب على شرائها لهم : فهذا أمر يعـود الى « تدبير » المنزل · وليس اثمـا ومعصية ، أو مكروها ومبغضا عند الله والأم أدرى بحاجة أولادها ورغباتهم ، اكثر من الأب ، فهى ملازمة لهم ، والأولاد يطلعونها على أسرارهم اكثر من اطلاعهم الوالد عليها · وتلبية بعض رغبات الأولاد قد تكون سبيلا ايجابيـا الى ريادتهم نحو الصالح لهم ، داخل الأسرة وخارجها ·

● واخيرا ما تسأل عنه الآن الآنسة السائلة عن عدد مرات التوبة التى يقبلها الله · فنحن نجيبها : بأنه ليس هناك عدة أنواع من التوبة ، ولا عـدة مرات منها · وليس الأمر كما تتصور : من أن الانسان عندما يرتكب محرما ثم يتوب عنه · فباعلان التوبة عنه يزول أثر المحرم عند الله ويمحى هذا المحرم من سجل السيئات للتائب · فاذا ارتكب محرما آخر وتاب الى الله ذهب أثره وشطب من سجل السيئات ··· وهكذا ·

ليس الأمر على هذا النحو · وانما التوبة التى يقبلها الله هى التـوبة النهائية التى لا يعقبها ارتكاب ذنب آخر بعد ذلك · فمعنى : « التوبة » الرجوع

---

(١) الشعراء : ٢١٠ ـ ٢١٢ ·

والعودة الى الله • ومعنى العودة الى الله اتباع سبيله وهو سبيل الهـدى • ومعنى اتباع سبيل الله عدم الانحراف عنه • ومعنى عدم الانحراف عنه : عدم ارتكاب ذنوب ومحرمات أخرى • هنا تكون التوبة صادقة • وهنا يمكن ان يتحقق وعد الله بالغفران • فليست التوبة اعتذارا •• وانما هى تصميم على عدم العودة الى الآثام والمحرمات •

* * *

٨٧ ـ بخل الوالد فى الأسرة :

يسأل مواطن من احدى المحافظات :

عن حل سليم لمشكلة البخل الـذى يلازم طبع والـده ، رغم انه ثرى • فبسبب بخـله يتحمـل هو واخـوته ووالدتهم قسوة فى الحياة لا يستطيعون مواجهتها الا بالعمل الشاق فى تحصيل الرزق عند الآخرين • وبسبب بخـله يعانى هذا الولد من مشاكل الزوجية مع الزوجات الجـدد غير أم الأولاد • وبسبب بخـله يتدخل بعض الناس فى البلد ليحملوا هذا السائل واخوته على الاساءة لوالدهم ، بينما هم يحافظون على حرماته فى النفس ، والمال ، وبسبب بخله يرجو السائل اخيرا وقد ابتدا مرحلة التعليم الجامعى أن يعرف ما يفعله كى يواظب على الدراسة ويتفرغ للمذاكرة ، دون أن يكره على تركها ومزاولة العمل عند الغير من اجل لقمة العيش ؟

● الناس لا يزالون يختلفون • وسيستمر اختلافهم ، طالما الدنيا تغريهم بما فيها من أموال ، وأولاد ، ومتع مادية ، وطالما تختلف استجابتهم لاغرائها، ما بين مستغرق فيها ، أو واقف بعيدا عنها ، لا يدنو منها الا بقدر •

فمن النـاس من يستحوز عليه حب المال فينسى ربه ونفسه ، وأسرته • سعيه كله فى الحيـاة من أجل المـال : يجمعه ، وينميه ، ويجمده ، ويكنزه ، ويتجه اليه بالعبادة وحده •

ومعنى أن يتجه اليه بالعبادة وحده : أنه يشفق على نفسه من التصرف فى قليل منه ، وسعادته به أن يتراكم ، ويزداد يوما بعد يوم ، وليس فى انفاقه أو انفاق بعضه على نفسه أو على أسرته وأولاده ، أو فى مصلحة عامة ، أو فى دفع حاجة للآخرين •

هذا الصنف من الناس يسميهم القرآن الكريم بالبخلاء ·· ويترقب لهم : المشقة فى حياتهم · يدخلون فى أزمة ، ولا ينتقلون منها الا الى أزمة أخرى · فأزمة النفس أولا بسبب الخشية على المال : يسيطر عليها القلق وتوتر الأعصاب · كما يسيطر عليها التردد عندما تضطره حاجة البدن الى الانفاق منه · وأزمة العلاقة بينه وبين الآخرين فى أسرته من زوجته وأولاده ، وبينه وبين الآخرين وراء الأسرة ، وهى علاقة يشوبها من جانبه عدم الاعتماد على من عداه ، والخوف على ماله ـ وهو معبوده ـ منهم ، سواء فى توقع اعتدائهم عليه بالسرقة ، أو فى مطالبته بالانفاق منه عليهم · أما علاقة الآخرين نحوه من ذويه أو من عداهم فهى علاقة يسودها الحقد من جانبهم عليه ، والتربص به وبماله وازدراؤهم له واهانتهم اياه بسبب بخله ·

وحياة البخلاء اذن هى حياة قلق نفسى ، وخوف مستمر ، وعدم ثقة بالآخرين ·· حياة يحيطهم الناس بالحقد ، والكراهية ، والمهانة · يتحدث عنهم القرآن فى قوله تعالى : « **وأما من بخل واستغنى · وكذب بالحسنى · فسنيسيره للعسرى · وما يغنى عنه ماله اذا تردى** » (١) ·· أى واستغنى بماله المدخر عن الناس ، كما استغنى به عن ربه ·· أما استغناءه عن الناس : فلأنه لا يرى له حاجة اليهم ، طالما ماله أمامه · ولذا لا يستجيب لندائهم ولا لضروراتهم · وأما استغناؤه عن ربه فلأنه يترك هداية الله للانسان التى تدعوه الى الانفاق فى سبيل الخير ·

وهذا المستغنى ببخله عن الناس ، والله معا : هو فى واقع أمره يكذب الآثار الطيبة التى تترتب على انفاق المال فى سبيل الله أو سبيل الآخرين من أصحاب الحاجة · يكذب بما يتركه انفاق المال على الأسرة والأولاد فى سبيل تنشئتهم وتعليمهم ، وسد حاجاتهم دون أن يدفعهم الى المشقة والتعنت فى حياتهم · وهو بهذا البخل سيدفع دفعا الى مواجهة الأزمات بحيث لا يجد له صاحبا ولا معينا · بل يجد الناس أعداء له يحملون له فى نفوسهم : الحقد والضغينة ، والكراهية ، وحب الموت · وأخيرا لايجد فى ماله ما يحل له أزمته فى دنياه أو يدفع عنه العذاب فى أخراه : « **وما يغنى عنه ماله اذا تردى** » (٢) ··

● والد السائل أحد هؤلاء البخلاء · أعماه البخل عن أن يرى مستقبل نفسه فى حياته وفى آخرته ان آمن بالآخرة · أعماه البخل عن أن يتذكر مسئوليته نحو زوجته أم أولاده ، ·· ونحو أولاده منها فترك أمرهم فى الحياة

---

(١) الليل : ٨ ـ ١١ ·   (٢) الليل : ١١ ·

الى الصدفة والصعـاب ، وهم صغار فى حاجة الى رعـاية ورفع المشقة فى طريقهم · فكانت شكوى الأولاد منه ومن ثرائه على حين أنهم ظلوا أوفياء له ، كوالد لهم · ان البخل صار فيه طبعا · وقلما يسمع لكتاب الله · لكن نرجو أن يعرف وعد الله لأولئكم المتقين الذين طوعوا أنفسهم لهداية الله وامتثلوا لها فيما يجب عليهم نحو أسرهم ونحو الآخرين من أصحاب الحاجة فى مجتمعاتهم ان كانوا ذوى يسار · يقول تعـالى فى شأنهم : « **فأمـا من أعطى واتقى · وصدق بالحسنى · فسنيسره لليسرى** » (١) ·

ويسأل السائل الآن وهو على عتبة المرحلة الجامعية : ماذا يصنع وهو لا يستطيع المواظبة على الدراسة . والعمل فى الوقت نفسه خارج الجا عة ، كى يسير سيرا عاديا مع زملائه فيها ·

وأمامه الآن طريقان :

أولا : أن يتقدم الى القضاء يطلب نفقة من والده حتى يفرغ من التعليم الجامعى ، بعد أن يعرف هذا الوالد ما ينتويه اذا هو استمر فى منع المساعدة عنه · فنفقته واجبة عليه ولو تجاوز سن الرشد ، طالما هو طالب ولم يتخرج بعد ·

ثانيا : أن يطلب المساعدة من ادارة البر فى وزارة الأوقاف ويحكى لها ظروفه · فالاسلام يوم أن كان الايمـان به قويـا خرج كثير من المؤمنين عن بعض أموالهم وحبسوهـا على الخير العـام كالتعليم ، والعلاج ، ورعـاية الشيخوخـة ، والعجز ·· ومـن هذه الأموال المحبوسـة تكونت ادارة البر لتحقق هدف الخيرين · ورغم أن العبث بأموال الخيرين فى الأوقاف نال منها كثيرا ، فأظن أنه لم تزل هناك بقية منها والحمد لله ·

★ ★ ★

٨٨ ـ قيود الاستهلاك فى الحياة :

ما حكم الذين يضيقون بقيود الحياة المدنية اثناء الحـــرب ، من حيث أنصبة المواد التموينية ، وقيود الاضاءة ، وغيرها مما تنظمه الدولة للناس ؟

● ان شأن المؤمن هو عدم الافراط فى الطعـام والشراب · لأن هدفه

---

(١) الليـل : ٥ ـ ٧ ·

ليس حياة الأكل والشرب · وانما تحقيق المستوى الانســاني الفاضل فى ذاته ، وفى علاقته بالآخرين · وهذا يتطلب أن يسيطر على شهواته فى الأكل والشرب ، وفى كل ما تشتهيه النفس · ويروى أن رجلا كان يأكل كثيرا فأسلم فكان يأكل قليلا · فذكر ذلك للنبى عليه الصلاة والسلام ، فقال : « ان المؤمن يأكل فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » ·· ويريد من ذلك : أن شأن المؤمن القنــاعة · أمــا غير المؤمن ففيه الشره فيأكل كثيرا · وجاء قول القرآن الكريم فى وصف الكافرين : « **والذين كفروا يتمتعون ، ويأكلون كمــا تأكل الانعام** (أى فى دنياهم) **والنار مثوى لهم** » (أى فى آخرتهم) (١) ··

ولذا يطلب القرآن من الناس جميعا : عدم الاسراف فى الاستمتاع بالأكل والشرب وفيمــا عدا الأكل والشرب من متع الحياة المــادية فيقول : « **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** (أى مكان العبادة) **وكلوا ، واشربوا ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين** » (٢) · فرسالة الله لا تتجه الى الحرمان أو الى التضييق فى الاستمتــاع بمتع الحيــاة · ولكن تتجه فقط الى تحديــد هذا الاستمتاع ، بحيث يحول هذا التحديد دون ايذاء المستمتع بما يستمتع به ، وبحيث تبقى بعد استمتاعه : فضلة ينتفع بها الآخرون معه ، المحرومون من هذه المتع ·

● وما يقنن أثناء القتال ضد أعداء الله اليوم من مواد التموين فى حياة المدنيين ، وما يفرض من قيود على الاضاءة فى استعمالاتهم الخاصة ·· وغير ذلك مما يحس الانسان فى حياته اليومية : أنه شىء غير مألوف : فذلك أقل ما يتحمله المواطن وراء ميدان القتال · بل على العكس يجب أن يتخــذ المؤمن الآن من الحرمان فى شهر رمضان الذى نشب فيه قتال المؤمنين ضــد أعداء الله : فرصة لاستمرار التقرب الى الله فى حمــل النفس عــلى الصبر والتوجه بالدعاء الى المولى سبحانه بنفس راضية مطمئنة وقلب مؤمن مخلص فى ايمانه بالله فى تحقيق النصر الذى وعـــد به المؤمنين · وهو ســبحانه لا يستجيب لدعاء الداعى الا اذا التزم بما أوصى به الله · وقد أوصى بعــدم الاسراف ، كما فرض الحرمان كعبادة فى فترة زمنية محددة ، ليكون له أثره فى قبول التقنين عند الشدائد والأزمات فى أيام أخرى ·

● ولا أتصور الآن فى وقتنا الذى نشهد فيه معركة جيشنا البطل فى سيناء : أن أحدا من المواطنين يضيق صدره بمثل هذا التقنين ، أو بمثل هذه القيود على السير العادى للحياة اليومية ·

---

(١) محمد : ١٢ · (٢) الأعراف : ٣١ ·

● فهناك قيادة سياسية محنكة ،

● وهناك قيادة عسكرية حكيمة ،

● وهنـاك ايمان قوى يعمر قلوب جميع المقـاتلين لأعداء الله ، بحق الوطن وحق الله وهو رد الظالم الباغى ·

● وهناك وراء ذلك كله : شعب حر كريم ، يؤثر حريته وكرامته على ترف الدنيا ومتعها المادية ·

★★★

٨٩ ـ نصر الله للمؤمنين :

كيف ينصر الله المؤمنين على أعدائهم ؟

● ان نصر الله للمؤمنين مشروط بنصر المؤمنين لله · ونصر المؤمنين لله يتحقق :

أولا : بتدريب النفس على التضحية فى سبيل الله وفى سبيل المصلحة العامة · وطريق التضحية بالنفس ، أو بالمال ، أو بهما معا ، هو التزام أداء العبادات الثلاث : الصلاة ، والصوم ، والزكاة · اذ بالصـلاة يؤثر المصلى : الله على الدنيا ، وبالصوم : يتحمل الصـائم الحرمان الـذى فرضه هو على نفسه ، وبالزكاة : يتعلم كيف يعطى المال لغيره وهو حر مختار ، وفى غيـر مقابل · واذا كانت الصلاة تضعف قيمة الدنيا فى النفس ، والتشبث بها : فان الصوم والزكاة يضعفان فيها أنانية الذات ، وبالتالى يقويان معنى المشـاركة والتعاون مع الغير ، وان كان فى سبيل ذلك الحرمان من المتع المادية ، واخراج ما هو عزيز على النفس وهو المال ، فى سبيل الآخرين دون انتظار لشىء ما ·

وثانيا : بالاعداد المادى القوى · وهـو اعداد الـكم ، والنوع ، وفن القتال وضروبه واعداد الخبرة ، والعلم ، واعداد الحيطة والحذر · وقد جاء هذا الاعداد فى قول الله تعالى فى سورة الأنفال : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل** (أى سـخروا كل امكانياتكم فى الاعـداد · وهى امكانيات : اقتصادية وعسكرية ، وسياسية ، وعلمية ، واستخبارية) **ترهبون به عدو الله وعـدوكم** (أى بحيث يكون اعدادكم لعدوكم وعـدو الله مصـدر

ارهاب له ، فضلا عن أن يكون فى واقع أمره : مصدر ابادة ، اذا ما التحم القتال) » (١) ٠٠ وقد جعل الله : الحديد ، كمصدر القوة ، مساوقا فى القيمة لكتاب الله فى هدايته ، حين يقول فى سورة الحديد : « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره** (أى باتباع هداية الله ، وحسن استخدام الحديد فى القوة والمنافع الدنيوية) » (٢) ٠٠

وثالثا : بالوقوف على الخصائص النفسية لطبيعة الأعداء ٠ وقد تكفل القرآن ـ على سبيل المثال ـ بتسجيل : روح الفردية والأنانية التى تتمكن من نبى اسرائيل ٠ وهى روح لا تقدم على القتال الا فى ظل تفوق فى الاعداد والتحصن ، ولا يتجمع أفرادها الا فى الظاهر فقط ، ولا تقوم الألفة الصادقة بين بعضهم بعضا ٠ وقد سجل ذلك فى قوله تعالى فى سورة الحشر : « **لا يقاتلونكم جميعا** (أى اليهود مجتمعين) **الا فى قرى محصنة ، أو من وراء جدر** (أى عند التفوق فى الاعداد والتفوق فى الأمان) ، **بأسهم بينهم شديد** (أى قوة الخصومة فيما بين بعضهم بعضا شديدة وعنيفة) **تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى** (ومن أجل هذه الخصومة الفردية القوية لا يجتمع اليهود فى واقع الأمر ولا يتكتلون فيما بينهم الا فى ظاهر الحال فقط) » (٣) ٠٠ وهى صفات تدفع المؤمنين الى رد اعتدائهم فى قوة وفى غير خوف ، من جانب ، وفى الوقت نفسه تجعل هؤلاء اليهود يتهيبون القتال اذا علموا أن مقاتليهم أكثر منهم عدة فى القتال ٠

● فاذا تجمعت هذه العوامل الثلاثة للمؤمنين كان النصر نتيجة مسلمة لهم ٠ وهنا يكون نصر الله لهم ٠ على معنى : أن ارادة الله قد اقتضت أن يرتبط النصر الحاسم بتكامل هذه الجوانب الثلاثة فى جيش المحاربين من المؤمنين ٠

وفى غزوة بنى النضير حول المدينة سلم اليهود بعد حصار المؤمنين لديارهم ٠ اذ اعتقدوا أن الموت لاحق بهم حتما ، بسبب الكثرة من المؤمنين التى أحكمت حصار ديارهم ٠ وكان استسلامهم نصرا من الله للمؤمنين عبر عنه فى قوله فى سورة الحشر أيضا : « **هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم** (وهم يهود بنى النضير) **لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله** (عن طريق المؤمنين واعدادهم

---

(١) الأنفال : ٦٠ ٠ (٢) الحديد : ٢٥ ٠
(٣) الحشر : ١٤ ٠

المؤمنين المفاجيء) **وقذف في قلوبهم الرعب** (بسبب هذا الحصار) **يخربون** لحصارهم) **فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا** (تشير الآية الى حصار **بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين** (كناية عن الاستسلام والهزيمة) » (١) ٠

فما ينسب الى الله هنا يقصد به ارادته التى تتمثل فى ربط النصر بالاعداد له حسبما يتجلى فى كتاب الله ٠

★★★

٩٠ ـ العشرون من المؤمنين يقتلون مائتين ؟ :

ورد فى القرآن الكريم : أن العشرين من المؤمنين يقتلون مائتين ٠ كيف يتم ذلك ؟٠

● ان ما يشير اليه السائل قد جاء فى قول الله تعالى فى سورة الأنفال : « **يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال** (أى ادعوا المؤمنين الى قتال الأعداء) **ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا** (أى ويجب أن لا يتهيب المؤمنون قتال أعدائهم ٠ لأن هؤلاء الأعداء يقفون بادراكهم عند حد متع الدنيا المادية ، ولا يرون فى الحياة الانسانية قيما عليا يضحون بهذه المتع فى سبيل بقائها ٠ فهم حريصون كل الحرص على حياتهم الشخصية ، وأموالهم ، وأولادهم : يحافظون عليها قبل الوطن ، وقبل الكرامة البشرية ، وقبل المعاونة والنجدة لمن هو فى حاجة الى معاونة من الضعفاء ٠ ولذا : المؤمن الصابر يندفع بايمانه فى قتال أعدائه ، لا تعوقه نفس يحرص عليها ، ولا مال يفقده أو يبذله فى سبيل الله ، ولا ولد أو أهل يتردد فى شأن القتال من أجل رعايتهم ٠ ومن كان شأنه على هذا النحو ان واجه حريصا على الحياة ، أو على الدنيا على العموم : يتفوق عليه فى القتال تفوقا يبعد المماثلة بينهما بعدا كبيرا ٠ حتى ليكون المؤمن وحده عندما يصبر أقدر على مقاتلة عشرة من أعدائه ٠ وهذا طبعا عندما تكون عدة المؤمن ليست أقل كما ولا نوعا من عدة عدوه) **بأنهم قوم لا يفقهون** » (٢) (وعدم التوازن فى القتال بين المؤمن الصابر الذى تسيطر عليه روح التضحية ، وعدوه الذى يتمكن منه حب الذات ، يرجع الى أن هؤلاء الأعداء يقفون بتفكيرهم عند حد المحسوس المادى المشاهد ، كالأطفال ،

---

(١) الحشر : ٢ ٠ (٢) الأنفال : ٦٥ ٠

ولا يستخدمون عقولهم فى تقييم الحياة الانسانية ، حتى يروا ويدركوا : أن العلاقات الانسانية فى الأمة أسمى وفوق المبادلات المادية الفردية ٠٠ وأن الوطن الذى يضم الجميع أولى بالمحافظة عليه من منزل الفرد الواحد ٠٠ وأن حياة الكل مقدمة على حياة البعض ٠

ولأنهم يقفون بتفكيرهم عند حد المحسوس لا يصلون الى الايمان بالله وحده الذى توحى هدايته فى كتابه بالمحافظة على هذه القيم العليا ، والقتال فى سبيلها ، ورد الاعتداء عليها كلما تتكرر العدوان) ٠

● وعدم التوازن فى القتال بين المؤمن الصابر ، وعدو الله المحب لذاته والحريص على متعه المادية ، بحيث يمكن للأول القدرة على أن يغلب فى القتال عشرة من أعدائه هو معجزة الايمان ، أو هو ارادة الله التى تتمثل فى القوانين الاجتماعية التى تحكم الطبائع البشرية ٠ فارادة الله فى كونه : تتحقق فى مبادىء عامة وقوانين كلية لا تتخلف عنها الطبيعة البشرية بحال ٠ ومن هذه المبادىء العامة والقوانين الكلية : أن روح التضحية فى المقاتل عامل حاسم فى هزيمة العدو الأنانى ، الجبان ، المتردد ، عند التساوى فى عدة القتال والاعداد له ٠ والمعادلة التى جاءت فى هذه الآية الكريمة : « **ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة ، يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون** » (١) ٠٠ هى نتيجة لهذا المبدأ العام ، وتصور لذلك ارادة الله وتعطى الدليل أيضا على أن الله أيد المؤمنين بنصره ٠ لأنهم وفقهم أولا الى الايمان به ٠ ومن ثم كان ايمانهم : الطريق الى روح التضحية : بالنفس والمال ، ثم الى النصر على أولئكم الأنانيين الماديين ٠

★★★

٩١ ـ الايمان ـ والنصر :

يقولون : ان الايمان بالله اذا توفر فى صدور المقاتلين أتوا بالمعجزات ، وأن الدنيا اذا تمكنت من نفوس أعدائهم كانت الهزائم حتما من نصيبهم ، مهما ظاهرتهم القوة المادية فما رأى الدين ؟

● نعم : يدعو القرآن الكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وكذا كل وال عام للمسلمين بعده ٠٠ الى يوم البعث ـ أن يحرض المؤمنين على القتال ، دفعا للعدوان والاعتداء من أعدائهم ان وقعا عليهم ، ويعلنه تأكيدا للنصر عليهم ٠٠ ان طاقة المؤمن القوى فى القتال بسبب ايمانه تساوى قوة

---

(١) الأنفال : ٦٥ ٠

عشرة من أعدائه · لأن الاعداء للمؤمنين الذين يباشرون الظلم ، والصد عن سبيل الله وهو سبيل الحق ، ويأخذون الربا وقد نهوا عنه ويأكلون أموال الناس بالباطل : لا يرون الواقع الانسانى ولا يفهمون ما ينبغى أن يخطط فيه للمنفعة المتبادلة والمصلحة العامة بين الناس جميعا ، بدلا من السلوك اللاانسانى واللاأخلاقى · فيقول تعالى : « **يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا ، بانهم قوم لا يفقهون** (أى لا يدركون الطريق الأقوم للنصر الحقيقى) » (١) ··

وهذا الذى يعلنه القرآن عن طاقة المؤمن فى القتال : رهن فقط بقوة ايمانه وصبره وتحمله على مشاق القتال أثناء مقاتلة عدوه · والا : من يخف ايمانه من المؤمنين انفسهم فى مواجهة العدو ، لا تبلغ طاقته هذا المدى الذى يحدده القرآن ، بل ربما يؤثر الفرار من القتال على الثبات فيه · وقد وقع ذلك للمؤمنين فقط على عهد الرسول عليه السلام فى يوم من أيام قتالهم مع الأعداء ليكون عبرة لهم ، وسجله كتاب الله فى قوله : « **لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة** (أى عندما كان ايمانكم قويا) **ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين** » (٢)·

● ونعم ـ أيضا ـ ان الدنيا اذا تمكنت من نفوس الأعداء كانت الهزائم حقا من نصيبهم مهما ظاهرتهم القوة المادية · لأن مثل هؤلاء يعيشون لأنفسهم ولذواتهم فقط · لا يعرفون الا سلامتها ، والبحث عن متعها : « **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام** » (٣) ·· فهم لا يعطون من أنفسهم لأوطانهم ، كما ليست لديهم قيم عليا يضحون فى تحقيقها بالنفس والمال ، أو على الأقل بمتعة النفس ورفاهية المال · ومن لا يكون مستعدا لاعطاء وطنه من نفسه يؤثر الهرب والفرار عندما يواجه القتال ، ويسلك طرق الحيلة للفكاك من ميدانه · وهذه الظاهرة تمثل قانونا من قوانين الحياة البشرية التى لا تتخلف باختلاف العهود والأجيال · وفى ذلك يقول القرآن الكريم : « **ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار** (أى كان من شأنهم الفرار من القتال) **ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا** » (٤) (أى لا يجدون بعد ما جبلوا عليه فى طبيعتهم من الفرار فى القتال : سندا من شىء آخر : من تدريب رفيع على القتال ·· ومن وفرة المعدات النافذة فى القضاء على الأعداء ·· ومن اعلان

---

(١) الأنفال : ٦٥ ·
(٢) التوبة : ٢٥ ·
(٣) محمد : ١٢ ·
(٤) الفتح : ٢٢ ·

المساندة من الأقوياء الماديين الآخرين · لأن النصر فى القتال لا يرتبط فقط بمعدات الحرب ووسائله · وانما قبل ذلك بمن يحرك هذه المعدات ويدفع بها الى مواجهة عدوه · فاذا اختفت ارادة المقاتلة ، وحلت محلها ضرورة الهرب والفرار ، وقاية للذات ومحافظة على سلامتها ، كانت الهزيمة حتما) · « سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » (١) (أى ولهذا : ارتباط النصر بقوة الايمان التى تتمثل فى التضحية بالذات وارتباط الهزيمة بحب الذات ·· كان قانونا يحكم أوضاع البشر ويمثل ارادة الله فى مواجهة بعضهم بعضا) ·

***

٩٢ ـ صلة رمضان بنصر المؤمنين :

ما صلة رمضان بانتصار المؤمنين على أعداء الله :

● فى رمضان من السنة الثانية من الهجرة انتصر المسلمون فى غزوة « بدر » ، شمال المدينة ، وقد كان المسلمون قلة ولكنها قلة تفوقت على الأعداء الكثيرين بايمانها ·

وفى رمضان من السنة الثامنة من الهجرة أيضا انتصر المسلمون فى فتح مكة ، وقد كانوا كثرة اذ ذاك ، ولكن لم تفارقها قوة الايمان ، ولا رحمة المؤمنين بالله ·

وكان نصر المؤمنين فى بدر : بداية نصر لهم على أعدائهم الماديين ·· كما كان النصر فى فتح مكة خاتمة نصر لهم على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام · وبهذا النصر الثانى أعيدت الكعبة لأمارة المؤمنين وحدهم ، ورجع المهاجرون الى أوطانهم وأهلهم ، وآمن المؤمنون على استقرارهم فى ديارهم بمكة وحرم دخولها على غير المؤمنين · وسوف لا يلحقهم أذى أو ضرر ، يهاجرون بسببه مرة أخرى ، كما هاجروا منها من قبل الى المدينة ، أو يثرب ·

● ولكن لرمضان صلة أخرى بانتصار المؤمنين على أعداء الله · وهى أن رمضان فى صومه يؤهل المؤمن الى تحمل المشاق عند القتال ·· ويذكره بالله جل شأنه الذى يتقرب اليه بالصيام كما يتقرب اليه بالجهاد فى سبيله ،

---

(١) الفتح : ٢٣ ·

وهو سبيل رد الظلم والعدوان ، لافساح المجال فى حياة الانسان لعيشة أفضل · وهى عيشة المطمئن المكرم ، على نحو ما كرمه الله فى خلقه ·

فالصوم عندما فرض على المؤمنين لم يفرض عليهم كعقوبة ، لأنه يقوم على الحرمان مما تشتهيه النفس · وانما فرض للتدريب على الصبر وتحمل الشدائد والأزمات ، عندما تصيب الانسان فى غير رغبة منه فى وقت من الأوقات · وكما أن الجندى فى اجادته لحمل السلاح ، وحسن استخدامه اياه ، فى حاجة الى التدريب ، ومعاودة التدريب المرة بعد المرة الأخرى فى حياته التى يعيشها ، كذلك هو فى حاجة ـ وربما فى حاجة أشد ـ الى تدريب الذات على الحرمان من المشتهيات ، وتكرار هذا التدريب ، حتى يكون أكثر استعدادا فى حياته المقبلة ، على تقبل الحرمان لو فرض عليه ·· وتحمل المشقة لو واتته مكرها ·

كما فرض الصوم لتكوين ارادة قوية لدى الصائم · وقوة ارادة الصائم تبدو فى أنه هو الذى يباشر الصوم ، وفى الوقت نفسه يراقب سير الصوم لدى ذاته · فهو الصائم ، وهو الرقيب كذلك على الصوم · ونجاح المقاتل فى قتاله لا يتوقف على اشتراكه فى القتال مع زملاء له · وانما قبل المشاركة فى القتال : أن يكون هو المراقب لأدائه القتال مع المشاركين له · أى أن يكون الباعث على القتال لديه باعثا ذاتيا ، يقبل عليه فى عزم وتصميم ، وليس مساقا أو مكرها على أداء نصيبه فيه · وما تقوم به الذات عن اختيار وتقبل ارادى لابد أن يكون له أثره الايجابى فى حياة المباشر له ·

فشهر رمضان كان شهرا مباركا على عهد الدعوة الاسلامية : فى قيام مجتمعها ·· وفى استرداد موطنها ·· وفى تأمينه من عدو الله الى يوم الدين ·

وهو بما يقع فيه من صيام يتصل بعزيمة المقاتل ، وبدربته على احتمال المشقة والصبر على مكاره القتال ·

★ ★ ★

٩٣ ـ واجب القرية نحو ابنائها المحاربين :

فى قريتنا عدد كبير من الجنود الذين لهم شرف الاشتراك فى عبور القنال وتحرير الأرض · فما واجب أهل القرية حيالهم وحيال اسرهم ؟

● ان القتال ضد الصهيونيين فى اسرائيل هو فى واقع أمره قتال

فى سبيل الله ... فالصهيونيون يقاتلون فى سبيل الطاغوت . والطــاغوت هو الشيطان ، أو هو الاعتداء على القيم الانسانية كلها . وقد أمر المؤمنون بالله أن يقاتلوا أولياء الشــيطان ، كمــا أعلنــوا : أن كيد الشيطان وعداوته ضعيفة لا تقف أمــام قتــال المؤمنين : « **الذين امنوا يقاتلون فى ســبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا** » (١) .

ان هؤلاء الصهيونيين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة . أى أنهم يتنكرون للمبادىء الانسانية فى سبيل الدنيا وسبيل التوسع فى السيطرة ، وســبيل تحصيل ماديات الحياة بأى طريق . وقد فرض على المؤمنين قتال هــؤلاء تخلصا من شرورهم ومفاسدهم وأطماعهم : « **فليقاتل فى سبيل الله : الذين يشرون (٢) الحياة الدنيا بالآخرة** (أى الذين لا يتركون الآخرة فى سبيل الدنيا . وترك الآخرة هو كناية عن ترك مبادىء الرسالة الالهية لحياة انسانية فاضلة ، وهى تلك المبادىء التى توصل الى جزاء الآخرة ، مع ايثار الطغيان بالقــوة المادية على الآخرين الذين لا يملكونها . وهى قوة المال ، والعتاد ، والاعداد)، **ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما** (وهو أجــر الدنيا بالنصر على هــؤلاء الطغــاة .. وأجر الآخرة بالجــزاء الأوفى من الله) » (٣) .

● وقد نوهت الآية هنا بأجر المجاهد عند الله . وهو أجر لا يعــادله أجر مــادى فى الدنيا . ولكن مــع ذلك فقد جعــل الاسلام للمقاتلين أربعــة أخماس الغنائم التى يغتنمونها فى الحرب ضد أعداء الله توزع بينهم . لأنهم هم الذين يتحمــلون العبء الأكبر فى نصر المؤمنين ، بدمــائهم ، وأيمانهم ، وشجاعتهم .

ومع جزاء الله فى الآخرة للمقاتلين المجاهدين فى سبيل الله ، ومع حقهم فى غنائم الحرب : فانه يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى رواية زيد بن خالد ، أنــه يقول : « من جهز غازيا (أى من أعد مجاهدا فى ســبيل الله بوسائل الحرب والقدرة على القتال ، وتحمل نفقة ذلك) فقد غزا (أى فكأنه شارك فى الغزو والقتال) ومن خلفه فى أهله بخير (أى قام بما يجب نحو أهل المجاهد فى بلده : من رعاية ، وحماية ، ومساندة مادية وانسانية

---

(١) النســاء : ٧٦ .

(٢) يشرون : أى يبيعون ، وشرى وباع يستعمل أحدهما فى مكان الآخر أحيــانا .

(٣) النساء: ٧٤ .

معا) فقد غزا (أى فكأنه شارك فى الغـزو والقتال فى ميدانه) » ونتيجة هذه المشاركة : أن للمساعد أجـرا عند الله لقـاء ما يقدم من معاونة فى تسـليح المقاتل واعـداده بالـزاد والملابس التى تقيه الحـر والبرد ، وأخطار آلات التدمير ، أو لقاء ما يقدم من رعاية وحماية أدبية ومادية لأهله الذين تركهم وراءه ٠

وهكذا : للمقاتل لرد العدوان وتحرير الأرض التى تعلو عليها كلمـة الله :

(١) جزاء عند الله ،

(٢) وجزاء فى غنائم الحرب ،

(٣) ورعاية لأهله فى بلده ، من أولئكم الذين لم يذهبوا الى الحرب ، ويريدون أن يكون لهم ثواب القتال ٠

والاسلام اذن يدعو المواطنين المؤمنين بالله الى أن يساندوا أسر المقاتلين اليوم فى ميدان القتال ، ويقدموا لهم الرعاية بأموالهم والحماية لهم من كل سوء يتوقع ٠

***

٩٤ ـ دور من لا يستطيع مباشرة القتال :

ما هو الدور الذى يجب أن يؤديه من لا يستطيع مباشرة القتال ، ومن ليس لديه مال فى الاسهام فى نصر المؤمنين على أعداء الله ؟

● الجهاد بالمال ٠٠ وبالنفس ، أو بكليهما فى سبيل الله واجب عينى على كل من يستطيع بالنفس وبالمال ٠ ومعنى أنه واجب عينى : أنه يتعين على القادر على القتال ، وعلى المالك للمال أن يسهم مباشرة بنفسه ، وبماله فى نصر المؤمنين بالله ٠ والاسهام بهذا وبذاك هو التعبير عن ايمان المؤمن : « **لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهـدوا بأموالهم وانفسهم ، وأولئـك لها الخيرات** (وهى النصر فى الدنيا على الأعداء ٠٠ ورضوان الله لهم فى الآخرة) **وأولئك هم المفلحون** » (١) ٠

---

(١) التوبة : ٨٨ ٠

● ومن لم يستطع القتال ، أو لم يملك المال من المؤمنين تكون مساهمته في الجهـــاد :

أولا : بنصح القادرين من المؤمنين على اداء واجبهم ، نصحا خالصا لله ولرســوله ٠

وثانيا : بالكف عن سماع الاشاعات المغـرضة التى يروجهـا العدو ، وتحذير الآخرين منها ٠

وثالثا : بايثار المقاتلين في ميدان القتال بما يعينهم على اســتمرار قتال الأعداء حتى لا تكون فتنة ، وتقبلهم الحرمان في سبيل ذلك ٠ يقول الله سبحانه وتعـالى : « **ليس على الضعفاء ، ولا على المرضى ، ولا على الـذين لا يجـدون ما ينفقون حـرج** (أى ليست عليهم تبعة ولا مساءلة) **اذا نصحوا لله ولرســوله** » (١) (أى اذا قاموا بواجب النصح في سبيل الله ورســوله ، والنصح في سبيل الله هو ابعاد الضرر والأذى عن طريق المقـاتلين ٠ ويتمثل ذلك في حض القادرين على المشاركة في القتال ، وعلى بذل المال ، وابعـاد الشائعات المغرضة وتحمل الحرمان من أمور كـانت ميسرة لهم في حيـاتهم اليومية العادية) ٠٠

● وعلى ذلك فقلوب من لا يستطيعون الجهـــاد بالنفس ، وبالمال ، من المؤمنين ، يجب أن تشارك اخوانهم القادرين في ميـدان القتال ، أو على بذل العطاء : بالدعاء لهم بالنصر ، وباعلان فضلهم على كافة اخوانهم الآخـرين المشاركين لهم في الايمان : « **لا يستوى القاعـــدون من المؤمنين غيــر أولى الضرر ، والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم ، فضل الله المجاهـدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما** » (٢) ٠



٩٥ ـ الصراع الطبقي لحل المشاكل الاجتماعية :

هل ينكر الاسلام الصراع الطبقي كحل لبعض المشاكل الاجتماعية ؟ :

● الاسلام لا يعرف قبلية ، ولا تفرقة عنصرية أو شعوبية ، ولا طبقية ، ولا طائفية ٠ ولذا كانت دعوته هى دعوة التوحيـد ٠ أى هى الدعوة الى الله وحده ، فوق الوجود كله ٠ وصفاته تعالى هى « المثل العليا التى يجب على الانسان المؤمن به أن يسعى في عبادته اياه : أن يحاكيها في حياته ويتقـرب منها بالاقتداء بها ٠

---

(١) التوبة : ٩١ ٠ (٢) النساء ٩٥ ٠

والرباط الـذى يربط به بين المؤمنين جميعا هو رباط الانســـــانية فى مستواها الواضح أو بما يسميه القرآن الكريم : بحبل الله ، كما جاء فى قول الله تعالى : « **واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفـرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء** (أى عن طريق القبليـة والشـعوبية) **فألف بين قلوبكم** (عن طريق الايمان بالله وحده) **فأصبحتم بنعمته اخوانا** (فى الايمـان وفى مستوى الانسانية واعتبارها) » (١) ٠

والأخوة فى الايمان والانســانية هى أخوة المحبة المتبـادلة ٠٠ وأخوة التعاون والتضـامن ٠ واذا فرقت الخصـومة بسبب من الأسباب بين اثنين فيجب أن يعودا الى هذه الأخوة ليعالجوا منها أسباب الخصـومة والقتال ، ان وقع بينهم يوما ما ٠

● والصراع الطبقى هو خصومة بين مجموعتين فى المجتمع نشأ عن انكار مجموعة لحقوق مجموعة أخرى فى الحياة الانســانية الكـريمة وعن حقد ثانيتهما لأولاهما بسبب الفجوة الاقتصادية بينهما ، أو بسبب ما يسمى باستغلال أرباب العمل للطبقة العاملة فى كدها وعملها ٠

وكلما تغاضى أرباب العمل عن انصاف الطبقة العاملة ، كلما زاد حقد هذه الطبقة عليهم ، وكلما مارست من أسباب التقويض والتخريب لمصـالحهم ما يعود عليهم بالضرر الكبير ، وكلما لا ترى الا التضييق عليهم فى الحيـاة والعمل على تجميدهم ان لم يكن على افنائهم ٠ ونهاية الصراع الطبقى اذن كحل لمشكلة العمال هو افناء أرباب العمل وتخليص المجتمع منهم ٠

● بينما الاسلام يحل مثل هذه المشكلة بالتذكير بالأخوة بين المؤمنين : « **انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم** » (٢) ٠٠ وكذلك بتوفير الاعتبار البشرى لكل فرد فى المجتمع ٠ ومن أركان توفير هذا الاعتبار البشرى احترام حقه فى الحياة الانسانية الكريمة : « **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن** » (٣) ٠

● وبالأخوة والمحبة ، وليس بالحقد ٠٠ وبالبناء والتعاون فيه ، وليس بالتخريب والتقويض : يحل الاسلام مشـاكل مجتمعه ٠ ولذا ينكر ما يسمى بالصراع الطبقى ، لا لأنه فقط يتخذ الحقد طريقا ،بل لأنه مع ذلك يرى الغاية تبرر الوسيلة ٠

---

(١) آل عمران : ١٠٣ ٠ (٢) الحجرات : ١٠ ٠
(٣) الحجرات : ١١ ٠

الفصل الخامس

في مشاكل الحضارة المعاصرة

٩٦ ـ امام مسجد يسىء الى جاره :

يشكو مواطن باحدى المحافظات ، اذ يقول :

لى جار هو امام مسجد ، يحقد على ، ويسعى فى تعطيل مصـالحى • ويرمى القذارة أمام بيتى وفى داخل فنائه • وأنا لا أستطيع مقاومته ، كما لم يستطع أن يفعل كبار أسرته ضده شيئا ، على الرغم من كثرة شـكواى اليهم •• فماذا أصنع ؟ •

● امامة المسجد •• وعلاقة الجوار القـريب اذا اجتمعتا فى شخص واحد أوجبتا عليه : أن يكون على الأقل غير معتد على واحد من أهل قـريته وجار من جيرانه • وبالأخص اذا كان من جيرانه الأقربين • فامامة المسجد قدوة صالحة فى السلوك والمعاملة قبل أن تكون حركات خاصة فى الـركوع والسجود فى الصلاة • والجار مطلـوب منه فى الاسـلام : أن يكون محسنا لجيرانه • على معنى : أن تكون معاملته لهم متسمة بالحسن ، فضـلا عن أن تكون بعيدة عن الايذاء •• فالله يقول : « **وبالوالدين احسانا وبذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، والجار ذى القربى** (أى الجار القريب أو الملاصق) **والجار الجنب** (وهو الجار البعيـد الذى يسمع النـداء اذا ارتفع صـوت النداء عليه من جاره) » (١) • فتجعل الآية هنا : الجـار بمنزلة الوالدين فى وجوب معاملته بالحسنى • وهى المعاملة الانسانية المهذبة • وفى الحديث الشريف : أن الرسول عليه السلام ينفى الايمان عمن يؤذى جاره ، ويتسبب فى غرره فيروى أنه قال : « والله لا يؤمن •• والله لا يؤمن •• والله لا يؤمن : قيل : من يا رسول الله ؟ قال : من لا يأمن جاره بوائقه (أى من استحل أذية الجار) » فاكرام الجار مؤكد بكل ممكن : من السـتر عليه •• ومسـاعدته بالمال ، أو بالرأى ، أو بالجاه ، أو بالسلام عند اللقاء ، وبالبشاشة فى وجهه •

---

(١) النساء : ٣٦ •

● وامام المسجد المشكو هنا : بحقده على السائل وبايذائه عن عمد ، بوضع القذارة أمام باب منزله ، ويرمى الطيور الميتة فى فناء هذا المنزل ـ كما يشكو الشاكى ـ لا يكون مخالفا لتعاليم القـرآن ، وسنة الرسـول عليه السلام . فحسب ، فيما جاءت به من الاحسان للجار ، وابعاد الأذى والضر عنه ، ومن معاونته ماديا وأدبيا ٠ وانما يكون غير انسانى ٠٠ يكون أنانيا لا يحب الخير الا لذاته فحسب ، ويكره أن يكون هناك من أحد معارفه نظيرا له فى المعيشة والاستقرار فى الحياة ٠

انه يناقض رسـالته فى المسجد بما يشـاكس به جاره ٠ انه يتقمص شخصيتين : شخصية الداعى الى الخير ٠٠ وشخصية المباشر لفعل الشر فى الوقت نفسه ٠ انه غيـر صادق فيما يدعو اليه فى المسجد ٠ اذ أنه فى الحقيقة شرير وخبيث ٠

وأقارب هذا الامام الذين يقفون موقف المتفرجين من سوء معاملة قريبهم لجاره الضعيف ـ وهو الشاكى هنا ـ ليست لديهم مروءة المسلم ، ولا نخوة من يسعون الى نجدة جارهم عندما تطلب منهم النجدة ٠

ان الشاكى يقص شـكواه : انه كان فقيـرا ، وضعيفا ٠ ولكن بسعيه وجده فى الحياة استطاع أن يبنى بيتا صغيرا لنفسه ، وأسرته ، بعد أن كان يسكن فى كوخ حقير ٠ ومنذ أن سكن هو وأسرته فى هذا البيت الصغير يلقى العنت من الامام الذى يسكن أمامه ٠

أليس من بين أقرباء هذا الامام من يكون له قلب المسلم فيشارك فى دفع العدوان عن الشاكى : اذا أصبح المشكو منه هنا ليس لديه ضمير يحول بينه وبين العدوان على مستضعف : ليس له جاه ، ولا عائلة ، ولا شوكة اطلاقا فى مواجهة أسرة الامام وأقاربه ٠

المسلم من سلم الناس من يده ولسـانه ٠٠ فلا يعتـدى بيده ، وقوته ، وعصبيته على ضعيف أو مستضعف ٠ ولا يعتـدى ببذاءة لسانه ، وباشـاعة السوء ، وبالوشاية على غيره من الناس ٠

● كن أيها المعتدى على جارك القريب مسلما فقط قبل أن تكون اماما للمسلمين فى مساجد الله ٠ فالله لا يقبل امامتك ، ولا اسلامك ، اذا كانت يدك ملطخة بالقذارة ترمى بها على جارك الضعيف ٠

ـ ساعده ، بدلا من عدوانك عليه ٠ شـاركه فى الفـرح والمسرة بمنزله

الجديد الذى أقامه بكده وعرقه ، بدلا من أن تسبب له الحزن والغم والانطواء على نفسه بحقدك عليه وحسدك له ٠

وأنت أيها الشاكى دع أمرك لله ٠ فهو وحده الذى سيفرج كربتك : « فان مع العسر يسرا ٠ ان مع العسر يسرا » (١) ٠ هو قول الله الأحـد الجبـار المهيمن ٠

* * *

٩٧ ـ السماح بنشر كتب الالحاد :

تسال سيدة باحدى المحافظات :

أولا : لماذا يسـمح بنشر كتب الالحاد والكفـر فى مواجهة المارين فى مجتمعنا الاسلامى ؟

وثانيـا : هل لابد أن يكون ايمان المؤمن عن بحث وتفكيـر ، وليس عن تقليـد ؟

وثالثا : هل يجوز سماع القرآن فى أى مكان بالمنزل ؟

ورابعا : ما رأى الدين فى غناء الأغانى الدينية ، مع العلم بأن الغناء لا يسمعه أحد فى بعض الأحيان ، وقد لا يسمعه الا بعض الأخوات ؟ ٠

● أما عن السؤال الأول وهو السماح بنشر كتب الالحاد والكفـر فى مواجهة الشباب فى مجتمعنا الاسـلامى فان القرآن نفسه يسجل معارضـة المعارضين لدعوة الرسول محمد عليه السـلام ، مع التعاليم التى أوحى بها الله اليه ٠ أى فان كتـاب الله يجمع بين دفتيه : تعـاليم السـماء من جهة ، واتهامات الأعداء لهذه التعاليم ، والرد عليها من جهة أخرى ٠ فسورة الطور مثلا تنفى اتهام هؤلاء الأعداء للرسول عليه السـلام بأنه : كاهن ومجنون ، وبأنه شاعر يكذب ، ويتقول على الله مالا يقوله ، فى قوله سبحانه :

---

(١) الشرح : ٥ ، ٦ ٠

« فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ٠

أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ٠ قل تربصوا فانى معكم من المتربصين ، أم تأمرهم أحلامهم بهذا ، أم هم قوم طاغون ؟ ٠

أم يقولون تقوله ، بل لا يؤمنون ٠ فليأتوا بحـــديث مثـــله ان كانوا صادقين » (١) ٠٠ ولكى يتضح نفى هذه الاتهامات تناولها القـرآن بالعرض أولا ٠ واذن المهم : أن يسمح فى مجتمعنا الاســـلامى برد الاسلام على كتب الالحاد ، والكفـــــر اذا ما نشرت وواجهت المارين فى كل مكان ٠ اذ قد مر بمجتمعنا الاسلامى فى فترة من الفترات: أن منع نشر الكتاب الاســلامى فى مواجهة الالحاد والشيوعية ، بينما أتيحت الفرصة لغيره فى نشر الهجـوم عليه ، وبث الافتراءات المضللة ضده ٠

والاســـــلام لذلك لا يخشى المعارضـــة لأنه يعلم أنها تقوم على الهوى والمصلحة الذاتية ٠ بينما مبــادئه هى مبــادىء الطبيعة البشرية الخالصة ، تتلاءم مع توجيهها فى كل زمان ومكان ٠

● وأما قضية الايمان فلا شك ان ايمان المؤمن عن اعتقــاد قائم على البحث والتفكير فى هذا الوجود المشاهد ، أقوى وأفضل من الايمان بالوراثة أو التقليد ٠ وهناك معيار يدل على الايمان فى نفس المؤمن جاء به القــرآن وجاءت به السنة الصحيحة ٠ فالقرآن يقول :

« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمـــانا وعلى ربهم يتوكلون » (٢) ٠٠ فالمعيار هنـــا هو الاحساس النفسى العميق بجلال المولى سبحانه عندما يسمع ذكره ، وبزيادة الارتبــاط به عندما تتلى آياته ٠ ويروى فى السنة الصحيحة : « لا يؤمن أحـدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ٠٠ أى لا يكون ايمان المرء صادقا الا اذا خفت أنانيته ، وأصبح يقر بالوجود المشترك له ولغيره من المؤمنين ، ويحب الخير لهم كما يحبه لنفسه ٠

واذن العبرة فى النهاية بهذه الظاهرة ، عند الحكم على ايمان المؤمن : أهو قوى أم ضعيف ٠

---

(١) الطور : ٣٠ ـ ٣٤ ٠ (٢) الأنفال : ٢ ٠

● وعن السؤال الثالث ، وهو حكم الاسلام عن المكان الذى يجوز فيه سماع القرآن بالمنزل ، فان قول الله تعالى : « **واذا قرىء القرآن فاستمعوا له ، وأنصتوا ، لعلكم ترحمون** » (١) ·· يفيد أن الاستماع للقرآن ، عندما يتلى ويقرأ ، يجب أن يوصل الى تدبر معناه ، والعمل بما جاء فيه ، أملا فى رضاء الله ورحمته · وهذه الغاية من الاستماع للقرآن لا تتوفر الا فى مكان هادىء ، بعيد عما يشغل الذات بأمر نفسها ، فلا يجوز الاستماع مثلا الى القرآن عن طريق الراديو فى المرحاض ، أو فى الحمام ، لأن الذات مشغولة بأمر نفسها فى أى منهما ، فضلا عن الجو الخاص بهما مما لا يتناسب قطعا مع قداسة كتاب الله ·

● وعن السؤال الرابع والأخير عن رأى الاسلام فى الغناء بالاغنية الدينية فى مجلس خاص ، أو فى وحدة للانسان المغنى ، فان بعض العلماء يرى جوازه اذا زاد فى محبة الله ورسوله ، بل ويراه مطلوبا أيضا لأنه عندئذ ليس ملهاة تتلهى بها النفس · وقد جاء فى حديث صحيح : « ان كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل ، الا رميه بقوسه ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، فانهن من الحق » ·· اذ التدريب على رمى القوس يساعد على دقة التصويب فى الجهاد فى سبيل الله · وكذلك تأديب الفرس على الكر والفر · أما ملاعبة الأهل ــ وهم الزوجة والأولاد ــ فهى مشاركة فيما يدخل عليهم السرور ويوطد بينهم العلاقات ·

★★★

٩٨ ــ شيوع الصور الجنسية بين المراهقين والمراهقات :

يسأل : مواطن باحدى الشركات عن :

(أ) شيوع تناقل الصور الجنسية بين المراهقين والمراهقات ، وأخطارها على مستقبل الشباب ·

(ب) ثم عن علاج ذلك فى مجتمعنا الاسلامى ·

● ان السائل وقد كان من الذين يتناقلون هذه الصور ويتأثرون بما يشاهدونه فيها ويباشرون عادات سيئة تحت تأثيرها ، يصف خطرها عليه

---

(١) الأعراف : ٢٠٤ ·

وكيف حطمت حياته ومستقبله وتهدد الآن حياة ثلاثة ابناء له جاء بهم فى وقت أزمته وشدته الحاضرة ، وهو فى سن السادسة والثلاثين الآن · ويمارس العادات السيئة تحت تأثير هذه الصور منذ تسعة عشر عاما ، رغم انه متزوج وله هذه الأولاد الثلاثة · وفى وصف هذا الخطر يقول :

« الناس صنفان : موتى فى حياتهم ، وآخرون ببطن الأرض أحياء ·· وفى سن المراهقة ومنذ تسعة عشر عاما ، كانت الصور الجنسية الحيوانية العفنة والتى يتداولها الشباب الآن بصورة شبه علنية ·· كانت وراء فشلى فى الحياة ، وكانت الداء القبيح الذى جعل ربيع عمرى يشيب صغيرا وذبلت وروده ·· فأصبحت الحياة كئيبة مفعمة بسلسلة من : اليأس والضياع ، والانطواء ، والفقر فى رؤية طريق النور » ··

ويستمر فى وصف اضطراب حياته بسبب ادمانه تداول « الصور الجنسية فيذكر : « اكتفيت بالاعدادية لعدم قدرتى على مواصلة العلم ، ويهزل الجسد ، ويصبح ضعيفا شاحب الوجه ، والشعيرات البيضاء ظهرت بوضوح ـ وعمره لم يتجاوز الستة والثلاثين عاما ـ ومن أين تأتى البركة فقد فشلت فى مشروعين : أحدهما فى مجال التصوير ·· والآخر فى محل للرسم الزيتى والبراويز · وهى من احدى هواياتى التى أنعم الله على بها ، وتزداد قائمة الديون والأقساط ·· وثلاثة أطفال محرومون من وجبة أقل من المتوسط ويزداد العذاب · والضمير يلهث فى اضطراب واعياء ، والندم يمزق مشاعرى ، وقلبى يتألم ، والداء الخبيث لم يرحمنى ·· ويتكرر الندم ، وآخرها رسالتى لك ، فلا تحتقرنى ، فقط اضطربت نفسى كثيرا ، وها أنا أقاوم الداء » ··

وقد آثرت نقل هذا الوصف من رسالة السائل · لأنى وجدت فيه ترجمة صادقة لحالة النفس التى تأثرت برؤية الصور الجنسية التى يتبادلها الشباب فى سن المراهقة والتى راجت تجارتها فى الوقت الحاضر · فأوجدت لديه عادات سيئة ، لم يلغها زواجه ولا انجابه الأولاد الثلاثة · وهنا الخطر ·

● كما وصف صاحب السؤال الآثار السلبية التى يتعرض لها المتداول لهذه الصور الجنسية ، يقترح من وجهة نظره علاجا يخفف على الأقل من شيوع خطره فيقول :

« أوصيك أن توصى الآباء ·· أن يتابعوا أبناءهم ، ويعلموهم دينهم صغارا حتى يكونوا فى مأمن مما أصابنى ·· ولا تعجب فأنا واحد من أسرة مسلمة وطيبة ، ولكنه حدث !!

وأنا خسرت الكثير بسبب هذا الداء الخبيث ، ويعلم الله ورسوله : أنى اقاوم وسأقاوم حتى لا أموت ضعيفا مستسلما لأسلحة الشيطان ، وسأبدأ من الصفر بتوجيهكم » هلا فكرتم فى برنامج تدعون فيه الشباب الذى تورط مع الشيطان ليكتب اليكم · فما أحوج الضعفاء لكم · والشباب المتسيب الذى لا يسمع غير الأغانى ·· فاذا كان القرآن صالحا لكل عصر فلابد أن تقف البرامج الدينية لتمشى بنفس القوة التى تزحف بها هذه الموجات الرهيبة » ·

● وما يقترحه صاحب السؤال جدير بالاعتبار كذلك ·

واذا كان لنا أن نعلق : فاننا نقف قليلا عند توصية الآباء بتعليم الدين لأبنائهم وهم صغار · فان تعليمهم يكون :

أولا : بتعويدهم عادات حسنة تتفق مع هداية الله ·· بتعويدهم الصدق فى القول والرواية ·· والثقة بالنفس ·· وأداء الواجب نحو الوالدين وأفراد الأسرة ·· ورعاية حقوق الجوار ·· وتجنب الألفاظ البذيئة فى الحديث ·· والرفقاء السوء ··

ثانيا : بالتدريب على الصلاة فى سن مبكرة ، وبالمداومة على استصحاب الأبناء الى المسجد ، والمشاركة فى صلاة الجمعة ·

ثالثا : بالتدريب على الصيام حين يتحملون الصوم ·

والتدريب على هاتين العبادتين من شأنه أن يدفع الصغار الى الاحساس باليقظة الذاتية التى تجعل من هذا الاحساس رقيبا على تصرفاتهم · وانسان خال من اليقظة الذاتية هو انسان ليست له قوة ذاتية للسير فى طريق التوجيه السليم ·

والقدوة الحسنة لدى الوالدين لها الدور الأول فى تكوين العادات الفاضلة ·· وتجنب ظهور الخلاف والشقاق بينهما امام الأولاد جزء رئيسى فى هذه القدوة ·

والله الموفق ؟

★★★

٩٩ ـ الاغراءات واثرها على السلوك :

فتاة من القاهرة تحكي :

أن عمرها الآن سبعة عشر عاما ، وأنها وقعت تحت تأثير الاغراءات المادية في الملبس والمظهر ، فاختلست من محل متواضع لأبيها هو عماد نشاطه في التجارة ، ثمانية جنيهات ، كي تشترى بهذا المبلغ ما يجعلها ذات مظهر حسن بين صديقاتها ، كما تقول :

وبعد أن اختلست المبلغ تيقظ ضميرها فأنبها كثيرا ، ثم ساءت حالتها النفسية من كثرة ما تفكر فيه من غضب الله عليها ٠

وتقترح أن ترد المبلغ بعد أن تدخر الأربعة جنيهات التى انفقتها منه ٠ وتسأل : هل سيحاسبها الله على ما فعلت ؟ وهل ما فعلته يعد سرقة ؟ ٠

● ان ما فعلته هذه الشابة فى مقتبل عمرها يعد من الظواهر السائدة الآن فى مجتمعاتنا الاسلامية المعاصرة ، بعد أن كادت المادية تطغى على اتجاه الحياة فيها ٠ فالشابة ـ وكذلك الشاب ـ تقع تحت اغراء المفاتن المادية ، وتحاول أن تقلد صديقاتها أو زميلاتها فى العمل أو فى الدراسة : فى الملبس وفى المظهر ، رغم أنه ليس بيدها ما تحقق به رغبتها فتعمد حينئذ الى ما عمدت اليه هذه السائلة هنا ٠٠ تعمد الى الاختلاس من مال أبيها أو أمها أو أخيها ، وقد يكون المال رقيقا ، وقد يكون حال الأسرة فى حاجة ماسة الى القليل منه ٠ وقد تنزلق فى سبيل التقليد وتحقيق رغباتها فى المظهر الى ما تسىء اليها وأسرتها معا ٠ ولكنه عامل التقليد وعامل الخضوع الى الاغراء بالمظاهر الخادعة والبراقة فى حياة الناس اليوم ٠

وربما هذه الشابة السائلة من القليلات اللاتى لهن ضمير يتيقظ ويؤنب على الزلة قبل فوات الأوان ٠ ومثل هذا الضمير يحول دون استمرار مباشرة الخطأ ، ويضع حدا فاصلا بين خطأ ارتكب فيما مضى ، وعدول عنه الى ما يرضى الله في المستقبل ٠ ولذا فهى تذكر أنه ساءت حالتها النفسية لما أوقعت فيه نفسها من حرج بين ما يغضب الله والأهل من جانب وما يلبى رغبتها فى التقليد لزميلاتها على حساب أخلاقها ومستقبلها من جانب آخر ٠

وأذ تقترح أن ترد باقى المبلغ الذى اختلسته بالاضافة الى الجزء الذى انفقته بعد أن تدخره ، فان اقتراحها هذا يؤكد براءتها النفسية وصدقها مع نفسها وأسرتها وفى الوقت نفسه يعبر عن تدينها ورجوعها الى الله ٠

أمــا أن الله سيحاسبها على ما فعلت فالــرأى أنها كانت منــدفعة تحت تأثير الاتجاه المادى فى حياتنا الآن · فالشيطان كان وراء ما فعلت · وليس شيطان الانسان سوى هواه · ومال أبيها فى المحل الذى يتجر فيه لم يكن فى « حرز » بالنسبة لها ، كما يشــترط الفقهــاء فى معنى السرقة · بل كان فى متناول يدها وأخوتها · فهو ما لا احتياط فى حفظه ، وانما هو سائب بالنسبة للأسرة · ويرجع الأمر فى حفظه الى الأمانة المتوفرة فى كل فرد من أفرادها · وهذه التى وقعت تحت تأثير الاغراء والتقليد وأخذت من مال أبيها ما أخذت ··· هى أمينة فى ذاتها · ولكنها كما ذكرت « اندفعت » وان كان اندفاعها استمر عدة مرات فى فترة طويلة · ولكن ندمها وتأنيب ضميرها ، وخوفها من الله ، ··· واصرارها على رد الجزء الباقى معها يشفع لها خطأها عند الله ، وعند الأسرة كذلك ·

وحل مشكلتها : أن تكاشف اباها وأسرتها بما فعلته ، وأن تعتذر عما وقعت فيه من خطأ ، وأن ترد المبــلغ البــاقى معها · وعلى الوالد أن يقبــل اعتذارها ، وأن يعفو عنها ، وأن يرد لها اعتبارها فى الأسرة كعضو فيها · وبذلك تكسب هدوءها النفسى واطمئنانها ، كما تتعلم من أن الوقوع تحت اغراء المظاهر الخادعة قد يؤدى الى الانحراف فى السبيل السوى ·· وقد يؤدى الى الضياع · ويتعلم الوالد : أن يتحسس رغبــات أولاده وبناته وأن يستجيب لبعضها فى حــدود امكانياته المالية ، ويقنع من لا يستطيع الاستجابة لرغبته منهم بمنطق الواقع ، ومشاركته فى المسئولية · والمشاركة فى المســئولية هى أن يكشف لأولاده مدى امكانياته ويجعلهم أصحاب الرأى معه ·

وهذه الطريقة تجعل من الأولاد فعلا حراسا على مصلحة الأسرة ككل ، كما تجعلهم يزهدون فى كثير من متطلباتهم ويعيشون عيشة واقعية فى دائرة امكانياتهم ، وهى الامكانيات التى لدى ذويهم وأهلهم ·

ان الحياة المادية التى يعيشها العالم اليوم تهز الانسان فى خلقه · وقد تهزه فى ايمانه · وحيرة الشباب الآن انه لا يستطيع أن يوائم بين ما يطلب له فى توجيهه توجيها سليما ، وما يضغط عليه فى محيطه من مغريات هــذه الحيــاة المادية · والواجب من جانب الأمهات والآباء أن يقفوا بجانب أبنائهم من الشباب والشابات ولا يتركوا لهم حيرتهم تصل بهم الى اليأس ، أو تدفعهم الى الانزلاق · فاذا ما شرح الآباء والأمهــــات للشــــباب والشابات : أن الامكانيات المتاحة لهم لا تساعد الا على تربيتهم واعدادهم للكفــاح فى أول درجة من درجات سلم هذه الحياة ، وعليهم هم وحدهم أن يستقلوا ليحصلوا على امكانيات جديدة · وقد تكون وفيرة لديهم · وعنــدئذ يكون الفضــل فى الحيـــاة التى يتطلعون اليهــا : لهم وحــدهم دون آبائهم وأمهاتهم ، على أن

الامكانيات الجـــديدة لا تصـلح فى ذاتها بغير ايمان بالله وبغير سلوك فى طريقه • فالامكانيات المادية بغير قيم انسانية وروحية لا تتحرك عندما يطلب منها الحركة ، وستظل بغير ارشاد وتوجيه حتى يدفعها الايمـان •• اذا ما شرح الآباء والأمهات للشباب والشابات الحياة على هذا النحو أمكن لهم أن يدركوا المشاكل • وادراك أى مشكل والوقوف على محيطه مرحلة من مراحل حـله •

* * *

١٠٠ ـ الزواج بالمواهبة :

احدى السيدات تقص ما يلى :

ان اخاها أحب فتاة ، وتعاهدا معا على الزواج • فقال لها بالموهبـة أنت زوجتى على سنة الله ورسوله • وقالت هى كذلك • على أن يكون كل شىء بينهما مباحا ، عدا ما يكون بين الزوجة وزوجها • وحلفا على ذلك • وتسأل : هل هذا حرام أم حلال ؟• وهل كان الزواج بالموهبـة على عهـد الرسول ؟• وهل لم يزل للآن ؟•

● كثر السؤال عن « المواهبة » فى مجال العلاقة بين الرجل والمرأة • كأن يقول الرجل : بالموهبة أنت زوجتى على سنة الله ورسوله • وتقول هى كذلك : بالموهبة أنت زوجى على سنة الله ورسوله !!

ويستخلص كثيرون من زواج الموهبة على هذا النحو : أن كل شىء جائز بين الرجل والمرأة بعد ذلك ، ماعدا ما يكون بين الرجل والمرأة منذ الدخـول بها وزفافها اليه : فرؤية ما زاد عن الوجه والكفين من أى منهما للآخر جائز ! والمداعبة جائزة ! والملاعبة جائزة كذلك !•• وغير ذلك ، ماعدا الاتصـــال الجنسى المألوف •

واذن « بالمواهبة » فى مفهوم الكثيرين تكون هناك ثلاث مراحل فى علاقة الرجل بالمرأة ، والمرأة بالرجل :

أولاها : الخطبة • وهى مرحلة لا تمتد فيها صلة الاثنين بعضهما ببعض الا فى نطاق ضيق وهو نطاق الرؤية المحدودة ، والحديث معــا ، فى وجود بعض محارم المرأة •

وثانيتهما : من وجهة نظر من يقولون : « بالموهبـة أو بالمواهبـة » •• تجاوز حدود الخطبة بكثير الى ما يشبه الزواج الى حد كبير ، وان لم يكن الزواج نفسه •

وثالثها : الزواج المعروف شرعا · وهو العقد الذى يعطى للرجل والمرأة حق اطلاع كل منهما على سر الآخر · فليس بينهما محرم ، الا فيما يوصل الى ضرر لأحدهما ·

● جاء الاسلام بالخطبة · وجاء الاسلام بالزواج المعروف · ووقع فى تاريخ الجماعة الاسلامية : أن عمر رضى الله عنه عرض ابنته حفصة على كل من عثمان وأبى بكر رضى الله عنهما ، ثم خطبها رسول الله عليه الصلاة والسلام · كما يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم : أن امرأة جاءته وعرضت نفسها عليه فخفض فيها النظر ، ورفعه ·

ولكن المواهبة ، أو الزواج بالموهبة ، أمر جديد طارىء على الاسلام · وبدعة ابتدعها « هوى » الانسان المعاصر ، كى يستمتع كل من الرجل والمرأة بالآخر على نطاق أوسع من الخطبة وأقل قليلا من الزواج ، دون رقابة من ضمير أو ايمان صحيح بالاسلام ودون مسئولية عليه · وربما ابتدع الرجل الزواج بالموهبة وأشاعه ، خداعا للمرأة وتلبيسا عليها ، وتيسيرا للاستمتاع بها فى غير حرج لديها ·

● ان الأصل فى الهبة أن يتمحض بها طلب الثواب فى الآخرة · وتطلق الهبة بالمعنى الأخص على ما لا يقصد له بدل · فهى تمليك بلا عوض ·

والمواهبة أن يهب انسان : انسانا آخر شيئا ، فى مقابل أن هذا الآخر يهب الأول شيئا كذلك · فهى مبادلة الهبة ·

أما أن يهب الانسان نفسه لانسان ، مقابل أن يهب هذا الانسان نفسه أيضا للواهب الأول : فذلك أمر جديد على معنى : الهبة ، والمواهبة · فموضوع الهبة التبرع دائما أى أن يتبرع الانسان بشىء لانسان آخر ، يدخل به السرور على نفسه ·

واذن الزواج بالموهبة ــ كما يقال ــ ليس له كيان شرعى · لأن الزواج عقد قائم على مهر ، وايجاب وقبول ، وولاية من عصبية للزوجة ، وشهود · والمرأة اذا وهبت نفسها للرجل تخلت عن المهر وحقها فيه · لأنها تبرعت بذاتها عندئذ · والزواج بدون مهر غير جائز · يقول القرآن الكريم فى سورة النساء : « **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** » (١) ·· ثم كون الانسان يتبرع بذاته اهدار لآدميته وانسانيته · كأنه عديم القيمة البشرية ·

---

(١) النساء : ٤ ·

● ان علاقة الرجل بالمرأة عن طريق « المواهبة » علاقة آثمة • والمواهبة اذن تحلل حراما مبغوضا عند الله • والمرأة بعد المواهبة لم تزل أجنبية عن الرجل • والرجل بعد المواهبة ليس محرما لمن وهبت نفسها له •

ولم تكن هذه المواهبة على عهد الرسول عليه السلام فى المجتمع الاسلامى • فقد تخلص هذا المجتمع من جميع أنواع الأنكحة فى الجاهلية واستبقى منها عقدا واحدا هو عقد الزواج المألوف • ومقدمته هى الخطبة المعروفة • ويجوز لولى المرأة أن يعرض على رجل يرى فيه الصلاحية : أن يزوجه ابنته أو أخته • ولكن أن تقول المرأة لرجل : زوجتك نفسى بالموهبة ، ويقول الرجل لها : زوجتك نفسى بالموهبة ، ثم يعاشر أحدهما الآخر عيشة تقترب كثيرا من معاشرة المرأة للرجل فى عقد زواج شرعى صحيح : فهذا باطل ، ويراه الاسلام معصية •

★★★

١٠١ ـ ادمان رب الأسرة على الخمر ، وسوء العلاقة بين أفرادها :

تذكر احدى السيدات من القاهرة :

انها كانت يتيمة الوالدين وربيت عند خالتها ولم ترسلها الى مدرسة • وعندما كبرت زوجتها من ابن زوجها • ولها منه الآن : أربع بنات وولد •

وتقول انها فيما مضى قد انحرفت ولكنها عادت بفضل الله عليها الى الطريق الصواب • وانها تؤدى الآن ما يجب عليها من فرائض نحو الله • وتشكو من أن زوجها كان فيما مضى يتناول الخمر بكمية قليلة ، وفى كل يوم • وساء خلقه وأصبح لسانه لا ينطق الا بالشتائم والسباب والاهانة البالغة لها ولأولادها ، على مسمع من الجيران • وانها لا تكاد تطيقه فى المنزل ولا تود أن تراه اطلاقا ، بسبب هذه الشتائم والاهانات المتكررة والتى لا تنقطع •

وقد فكرت فى الطلاق منه • ولكنها تفكر فى الأولاد أيضا بعد طلاقها •• وهو لا يقتر عليها بالمال • ولكنها تقول ان المال ليس كل شىء • وتسأل : ما هو الحل ؟

● مشكلة هذه السيدة التى تسأل عنها هنا ـ هى مشكلة ادمان زوجها الخمر • ليست لديها مشكلة بسبب المال • اذ يبدو أنها لاتلقى صعوبة فى

الحصول على المال · وربما عدم وجود صعوبة فى الحصول على المال هـو الأمر الذى يسهل لزوجها الشراب ، بجانب العادة التى تأصلت فيه فأصبح مدمنا عليه · عندما جاء الاسلام بتحريم الخمر مع لعب القمار فى قوله تعالى : « **انما الخمر والميسر ، والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » (١) ·· لم يكن متشددا ، ولم يكن كارها للانسان أن يستمر فى استمتاعه بالشراب ، كما كانت هى العادة ، وكما تكون ، فى العهـود المادية · وانما كان موضحا للانسان فى حيـاته طريق الفـلاح ، وطريق الضياع · فطريق الفلاح يقوم على تجنب الخمـر ، قليلهـا وكثيرها على السواء · اذ هى رجس أى شر وقبح ، بالنسبة للشارب نفسه وبالنسبة أيضا لعاشرته · فى أسرته أو فى جواره ومعارفه · هى شر على الشارب لأنهـا تتمكن : اذا أدمن عليها ، من التأثير على جهازه العصبى واخراجه من دائرة التـوازن الى دائرة الخوف والاضطراب · فشارب الخمـر يخشى ظـله ، ويسيطر عليه الخلل والقلق والاضطراب · ومن هنـا كانت شتائمه وبذاءة لسانه ، واهانته المتكررة ، التى تقصها السائلة فى سؤالها هنا فى رسالتها ، لهـا ولأولادها ·

المدمن على الشراب يرى الحياة كلها مظلمة · ومن أجل ذلك يتشـاءم دائمـا ولا يعرف الأمل فى صحوته اذا أفاق من غيبته ، يسعى الى أن ينسى حياته الواقعية ليعيش بتناوله الشراب فى عالم الخيال · هو محطم النفس ، ضعيف الارادة ، فلا ينجـز ما يفكر فيـه ولا يستمر فى الانجاز اذا ما شرع فيـــه ·

ان تناول الخمر من عمل الشيطان · والشيطان لا يوحى الا بالشر ، لأنه يسخر هو الانسان ، فى غير قيد أو ضابط ·

والاسلام اذ يحرم الخمر يعلق أملا ، ليس كبيرا ، على نجاح المدمن عليها فيقول : « **لعلكم تفلحون** » ·· لأن العادة على الشراب قد ملكت عـلى المدمن كل جوانب نفسه وأفسدت عليه مركز الرقابة ، وهـو العقل · فأصبح مشوشا لا يرى رؤية واضحة ·

● هناك الآن مراكز طبيعية لعلاج المدمنين على الشراب بالخصوص · وهناك أيضا بجانب العلاج البدنى لهولاء عـلاج نفسى · ومادام لدى زوج السائلة مال : يستطيع أن يزور بعض هذه المراكز العلاجية · أما الوعظ فلا

---

(١) المائدة : ٩٠ ·

يفيده فى هذه المرحلة · ربما فى مرحلة قادمة بعد أن يعود اليه الوعى ورشد العقل تدريجيا ، وبعد أن تبتعد عنه سلبية الارادة ·

والطلاق الذى تفكر فيه السائلة ليس علاجا للمشكلة ، كما ترى هى ايضا · ليس فقط لمستقبل الأولاد وانمـــا كذلك وفاء للزوج والوالد · فهو الآن مريض بادمانه على الشراب · انه هيكل انسان فقط ، يتحرك بالغريزة الآن · وقد لا يمكنه غدا : التحرك بها أو بغيرها ·

واحدى الوسائل فى معـالجة المدمنين على الشراب فى المراكز الطبية العلاجية هو اكراه المدمن على التقليل بالتدريج من تعاطى الخمر ·· الى أن يمنع عنه تمامـا تحت مراقبة دقيقة وقوية · فهـل تستطيع أسرة السائلة أن تفعل ذلك الآن مع ربها ، وهو الزوج والأب هنا ·

انه قدر الأسرة ·· فلتتحمل الأسرة قدرها فى صبر ، وفى دعاء الى الله تعالى لينقذها من هذا البلاء ·

ولعل الشبـاب يسمعون هذه القصـة المؤلمة المبكية لرب أسرة يتسبب بادمـانه على الشراب : فى تعـاسة نفسه وشقاء أسرته ، بدلا من السعى فى اسعادهـا واسعـاد نفسه بالاتزان والرشـد فى التفكير ، وبالسلوك السوى والعلاقة المهذبة فى صلته بأولاده ·· وأم هؤلاء الأولاد وزوجته كذلك ·

انه الانسان : يشقى اذا ضل ، ويسعد اذا التزم هداية الله فى المعاملة والتوجيه ، والسلوك · أن الله غنى عن العالمين · والناس جميعا هم فى حاجة اليه ·· فى حاجة الى هدايته فى رسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم · وقد حرم : أم الخبائث وجعل شارب الخمر كعابد الوثن ·



١٠٢ ـ معنى الروحية :

ما معنى الروحية ؟ وهل تطلب التقشف والانصراف عن متع الحياة ؟

● ليست الروحية انصرافا عن متع الحياة ، ولا تقشفا أو سلوك طريق الحرمـان · ان الروحية هى المعـانى الانســانية ، أو القيم الانســانية بين الناس ·· هى التعاون ، والتعاطف والتآخى ، والتواد ·· هى مساعدة القوى للضعيف ، والثرى لصاحب الحاجة ، والعالم للجاهل ، والصحيح للمريض··

هي أداء المسئولية والرعاية : مسئولية الزوج نحو زوجته والأب نحو أولاده ، ومسئولية الزوجة نحو زوجها ، والأم نحو أولادها ، والأولاد نحو أبويهم ٠

ولتحقيق هذه المعانى الانسانية ، أو لتحقيق « الروحية » يطلب من الانسان أن لا يقف عند الجانب المادى فيه وحده ٠ يطلب منه أن لا يقف عند حد شهوته وأهوائه ويحقق مطالب الذات وحدها ٠ يطلب منه أن لا يكون انانيا ٠ يطلب منه أن يعيش لنفسه ولغيره ٠ والا لا يستطيع تحقيق هذه المعانى الانسانية ، أو الروحية ٠ أى لا يستطيع عندئذ أن يحقق التعاون ، والتواد ، والتآخى ، والتعاطف ، ولا أن يحقق مسئوليته ورعايته نحو زوجه وأولاده ، وأسرته ٠

والسبيل الى الحد من الأنانية ، لابقاء مجال للغير ، هو عدم الاسراف فى متع الحياة المادية ٠ هو عدم الاسراف فى حب المال ٠ لأن الاسراف فى حبه يؤدى الى تكديسه ومنع منفعته عن الآخرين ، كما قد يؤدى الى حرمان الآخرين ، أو استغلالهم استغلالا سيئا ٠ هو عدم الاسراف فى حب الأولاد ٠ لأن الاسراف فى حبهم قد يكون سببا فى الطغيان بهم ٠ هو عدم الاسراف فى الأكل والشرب ، ومعاشرة النساء ٠٠ الخ ٠

والاسلام جاء ليطلب الروحية ، ويحقق قيمها ومعانيها فى الانسان ، وبين الناس جميعا ٠ وليطلب فى سبيل تحقيقها : عدم الاسراف فى متع الحياة الدنيا ، وليس تحريمها : **« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا ، واشربوا ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين ٠ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق »** (١) ٠

● وهناك اتجاه آخر فى حياة الناس ، يؤمن « بالذات » وحدها ٠ يؤمن بمصلحتها ومنفعتها وحدها ، ولو على حساب الآخرين : حساب شقائهم أو حرمانهم ٠ يؤمن بأن الذات هى مركز سعى الانسان ، والهدف فى حركته ٠ ومن أجل ذلك لا يرى اشراك الآخرين فيما للانسان من متع مادية فى حياته ، ويقصرها جميعا على ذاته ، وسلوكه نحو الآخرين هو سلوك المقتنص للمنفعة ، وليس سلوك المساعد أو المتعاون ٠٠ هو سلوك الذى يعبد طريقه فى الحياة على مصالح الآخرين ٠٠ هو سلوك الذى يرى قيمته فى تحقيق هدفه ولو كانت الوسيلة لذلك : فقدان كرامته ، أو كرامة أهله وأسرته ٠

---

(١) الأعراف ٣١ ، ٣٢ ٠

وهذا الاتجاه الأخر في الحياة ينكر على الروحية اعتبارها • لأن الروحية وما تطلبه من حب الانسان لغيره كحبه لنفسه : تصور عقبة في طريق النفعية الأنانية • ولهذا كانت الروحية أمرا مكروها ، يجب أن يحطم ، أو ينال منه على الأقل ، في سبيل الأنانية •

ومن هنا كانت خصومة عنيفة بين هذا الاتجاه الأناني ، وبين الروحية • وقد قدم بعض أتباع الروحية ما يمكن أن يوجه ضدها ، فقد طالب هذا البعض في سبيل تحقيقها : بالتقشف والحرمان من متع هذه الدنيا الى درجة العزلة والرهبنة ، كما أنكر على هذه المتع المادية قيمها ورأى فيها صورا للشر أو الشيطان • فحمل ذلك وأمثاله أصحاب الاتجاه المضاد للروحية على تشويها والنيل منها • ولكن الروحية هي الانسانية في أجلى صورها •

★★★

١٠٣ ـ صلة الحضارة الانسانية بالدين :

الى أى مدى ترتبط الحضارة الانسانية بالدين ؟

● حضارة الانسان في تاريخ البشرية تعبر عن اسهامه :

١ ـ في تقدم التفكير ،

٢ ـ وفي تقدم الوجدان ،

٣ ـ وفي تقدم العمل الارادي •

● والتقدم في التفكير هو التقدم في ضوابط العلاقات البشرية بين الأفراد في مجتمع أو بين المجتمعات بعضها ببعض ، أو في تقنينها ، بما يضمن لها أستهداف التعاون وابعاد الخصومات والشحناء • والقانون ، والفلسفة ، والاجتماع ، من جوانب هذا التفكير •

والتقدم في التفكير أيضا هو التقدم في حسن استغلال الثروات الزراعية ، والحيوانية والمعدنية ، وحسن السكنى والايواء ، ويسر النقل بين الأمكنة المختلفة • ويدخل في حسن استغلال الثروات : تصنيعها ، والافادة منه في تكثير الكم ، أو جودة النوع • والهندسة بفروعها المختلفة : النظرية والتطبيقية ، والاقتصاد ، والتنظيم : تعد من فروع هذا التفكير • والعلوم جميعها تعبر عن التفكير الحضارى للبشرية •

● والتقدم فى الوجدان هو التقدم فى تنمية العواطف البشرية . بما يجعل أواصر القربى بين الأفراد فى الانسانية : هدفا يحرص عليه كل فـرد فى نظرته للآخر · والأخلاق والأدب يصوران جانبين رئيسيين من جوانب هذا التقدم الوجدانى الحضارى ·

والتقدم فى العمل الارادى يكون بالحفاظ على حصيلة التفكير والوجدان الحضـاريين فى تاريخ البشرية . والافادة منها فى مراجعة القائم وتهـذيبه لمصلحة البشرية عامة · والحرب قد تتعين وسيلة من وسـائل المحافظـة على هذا التراث الحضارى · وتغيير نظام الحكم فى المجتمع قد يكون كذلك احدى وسائل هذه المحافظة ·

فالحضـارة الانسـانية ادن عمـل انسانى يستهدف تحقيق المستوى الانسانى ، والاعتبار الانسـانى فى الحياة والمعيشة . بين الأفـراد . وبين الشعوب على اختلاف بينها فى العنصر أو اللغة ·

● والاسـلام بعقيدته فى وحـدة الألوهية ·· وبمبـادئه فى التشريع وضبط العلاقات بين الأفراد ·· وبوصاياه فى انماء التعاطف والتآخى بين الأفراد ·· وبدفعه على صـيانة القيم الانسـانية التى تكون المستوى الرفيع للانسانية ، ولو عن طـريق القتـال ·· وبحمله على السعى فى سبيل الرزق وجعله فى مستوى العبادة عند الله . لا يستهدف فقط تحقيق المستوى الانسانى والاعتبار الانسانى فى الحياة والمعيشة · وانما يستهدف تحقيق هذا المستوى على أساس : أن الذى رسم معالمه موجود أحد . فوق الخطأ . والنقص والتأثر بأى عامل · وهو الله، جل جلاله ·

وعبادة الله يبتدىء منها المؤمن به فى اسهامه بما يعود على البشرية من خير وبما يجنبها صعوبات الانحراف والعبث والفسـاد . أو الوقوع فى سلوك دون المستوى الانسانى ·

ان العـلوم التى يأتى بهـا التفكير الحضـارى لكى تؤدى الى تحقيق المستوى الانسانى فى الحياة والمعيشة فى حاجة الى الايمان بالله ، الذى هو أساس الدين · لأن التقدم العلمى أو التقدم الحضارى قد يستهدف الجانب المادى دون الجانب الانسانى · وعندئذ لا يستبعد أن يوجه ضد الانسانية ، وليس فى سبيل تحقيق مستواها ·

والدين اذن مصدر رئيسى للحضارة الانسـانية · والتقـدم الفكرى ،

والوجدانى والارادى للانسان ، يسهم قطعا فى اظهار معالمها · ولكن الأمان من سقوطه فقط اذا ابتدأ من الايمان بالله ·

***

١٠٤ ـ القــرآن غيبى :

يتردد فى حديث الجدليين : أن القرآن غيبى · فهل معنى ذلك أنه ليس موضوعيا يقدم الهداية للانسان فى كل وقت ؟

● وصف القرآن فى حديث الماديين بأنه غيبى يشير الى « الوحى » ·· والى أن هذا الوحى نزل به الملك من عند الله · والله ، والملك كلاهما لا يرى ولا يشاهد للانسان · فمصدر القــرآن غير محســوس ، وبالتالى لا يخضع للاختبار والتجربة · أى لا يخضع الى معــرفة : أنه صــدق أو غير صدق ، حسب المقياس التجريبى المادى · وطالما لا يتمكن الانسان من اختبار صــدقه ماديا ، فعلى الأقل يتوقف فى الايمان به ·

● ولكن فات هذا المنطق الحسى ، أو المادى : أن القرآن ككتاب يتحدث عن توجيه الانسان فى الحيــاة ، فى السلوك الفــردى ، وفى العــلاقات بين الأفراد بعضهم مع بعض ، يمكن أن يقيم موضوعيا · على معنى أن ينظر فيما جاء فيه من توجيه للانسان ويفصل فيما اذا كان هذا التوجيه موضــوعيا ، صالحا للانسان حسب طبيعته البشرية وحسب ما يحكمها من خصائص ، فى كل جيل ، ولكل جنس وشعب ·

فهو موضوع للتقييم ، ككل مصدر توجيه · ولا يحد من قيمته عنــدئذ أنه وحى من عند الله ، طالما ستترك قضية الوحى جانبا ، الى ما بعد اتمــام تقييم موضوعه ·

توجيه القرآن جاء على أساس أن الطبيعة البشرية ليست طبيعة مفردة · أى ليست طبيعة مادية فقط · فاذا كانت خلقت من تراب ، ثم من نطفة من ماء مهين بعــد ذلك ثم تحولت الى علقـــة ، فمضغة ، ثم الى طفــولة ، فرشد ، فشيخوخة ، فوفاة ، كما جاء فى قول الله تعــالى : « يا أيها النــاس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم ، ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد

الى أرذل العمر ، لكيلا يعلم من بعد علم شيئا » (١) ٠٠ فان هذه الطبيعة نفسها زودت بالادراك وبالعقل مع ذلك ، كما يحكى قول الله تعالى فى سورة الانسان : « انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج (أى نطفة مادية مختلطة من الذكورة والأنوثة ،وهذا هو الجانب المادى) نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيرا»(٢) (أى صاحب ادراك عقلى عن طريق السمع والبصر كاقوى حاستين من حواس الانسان الخمس ، وهذا هو الجانب العقلى فى الانسان ٠ وجعل له العقل كى يختير به : أيسير فى حياته وفق منهج انسانى أم ينزل دونه فيساوق الحيوان) ٠٠ وكانت دنيا الانسان من أبناء آدم على غرار الجنة التى عاش فيها آدم وحواء ، قبل خروجهما منها ، والتى ستكون نعيما للطائعين ، هى عالم متع مادية متنوعة ٠ ترك للانسان أن يستمتع به : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين ٠ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة » (٣) ٠٠ والتقييد بعدم الاسراف فى الاستمتاع بالمتع المادية فى حياة الانسان هو الموضوع للاختبار ، هل سيكون الانسان انسانيا فى سلوكه ان التزمه ، أو غير انسانى فى السلوك ان تجاوزه ٠ ورسالة التوجيه فى القرآن هى اذن فقط لتوضيح آثار الاسراف ، وآثار عدم الاسراف فى الاستمتاع بهذه المتع ، على الانسان وعلى البشرية معا ٠

والقرآن اذن ليس توجيه عزلة عن الحياة المادية ، وليس توجيه انتقاص من مادياتها طالما لا تكون مصدرا للطغيان ، والعبث ، والفساد ، الناشىء عن الاسراف ٠ ولكنه توجيه لكى يبقى الناس جميعا فى علاقة انسانية ٠

● فوق هذا التوجيه فان القرآن سجل أخطاء سياسة كمسالة الأسرى ، وأخطاء الدعوة كالاعراض عن بعض الضعفاء من المؤمنين ، التى وقعت من الرسول عليه صلوات الله وسلامه كما سجل الشائعات المغرضة والسيئة ، التى تتصل بأهل بيته عليه السلام ٠ مما هو معروف فى قصة الافك ٠ والقرآن لا يسجل ذلك الا اذا كان موضوعيا ، فوق العوامل الشخصية والحزبية ٠ ويكفى فى قيمة أى توجيه انسانى وفى اعتباره البشرى العام لدى الناس جميعا : أن يكون فوق العوامل الشخصية والحزبية ٠ أى فوق ما يفرق الناس ٠ وبذلك تكون صلاحيته الموضوعية صلاحية للبشرية من حيث هى بشرية ، وليس لشعب ، أو طائفة ، أو حزب ومجموعة من الناس ٠

★ ★ ★

---

(١) الحج : ٥ ٠ (٢) الانسان : ٢ ٠
(٣) الاعراف : ٣١ ، ٣٢ ٠

١٠٥ ـ الدين ـ وعقار تطويل العمر :

قرأنا أن علماء احدى الجامعات الأمريكيـة يعملون على انتاج عقـار يطيل عمر الانسان الى مائتى سنة ٠٠ فما رأى الدين ؟

● ليس من العلمـاء ـ ولا من أى من النـاس ـ من يدعى بأن فلانا سيموت عند سن معينة ، أو أن أجله سينتهى فى يوم كذا ، وفى الدقيقة كذا ، وانما اجل الانسان معلوم لله وحده ، واذا حل انتهى ولا يؤخر اطلاقا : « **ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر . لو كنتم تعلمون** » (١) ٠٠ « **هو الذى خلقكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا اشدكم ، ثم لتكونوا شيوخا** (وهذا هو التطور الطبيعى والعـادى للانسـان) **ومنكم من يتوفى من قبل** (أى من قبل أن يكون طفلا ، أو من قبل أن يبلغ أشده ، أو من قبل أن يصل الى الشيخوخة) **ولتبلغوا اجلا مسمى** (لا تتجاوزونه اطلاقا) **ولعلكم تعقلون** » (٢) ٠٠

فاجل الانسان سر من أسرار الله وحده ، لم يحاول الانسان ولا يستطيع أن يحاول معرفته وتحديده ٠

اما تقدم العلم من أجل صحة الانسان ، أو من أجل وقايته من الامراض فذاك أمر بشرى لا يتجـاوز دائرة المحاولة والتجـريب ، وقد يستفيد بعض الناس فى صحتهم من أمر هذه التجارب ٠ وقد لا يستفيد البعض الآخر منها ، واستفادة بعض الناس منها لا يقال عنها : انها أطالت اعمـارهم ، أو انهـا حالت دون انتهـاء الأجل ، وكل ما يقال فى شانها : انهـا وقتهم مـن بعض الأمراض ، أو خففت عنهم اضرارها فقط ٠

واذا كان الانسـان لا يعلم أجل الانسـان ، ومتى ينتهى ، فانه لا يعلم بالضرورة أن التقدم العلمى يضيف الى عمره : زيادة ، ما كان يبلغها لو لم ينتفع بمنجزاته وتجاربه ٠

وكما أوضح القرآن الكريم السير العادى لحياة الانسان من أنه يكون : نطفة فعلقة ، ثم يولد طفلا ، ثم يبلغ وضعه المتكامل ، ثم يصير الى الشيخوخة ٠٠ فالفناء : فان العالم فى تقديره لهذه المراحل قد يضع استخدام تجاربه فى الوقاية من الأمراض التى هى بحكم عـدم اليقظة أو بحكم عـــدم التمكن ـ

---

(١) نوح : ٤ ٠ (٢) غافر : ٦٧ ٠

لسبب من الأسـباب ـ من اتقـائها ، قد تصيب الانسان ، ويترقب لفتـرة الشيخوخة أن تكون فى هذا الانسان ـ الذى هو تحت الرعاية الصحية ـ أطول عندئذ ، وبهذا يتصـور أن عمره العـادى قد زاد عما لو لم يكن تحت هـذه الرعاية ٠

ولكن هل هناك ضمان لطول فترة الشيخوخة عند من يعنى بوقايته من امراض هذه المرحلة ؟ ربما تتوفر لديه الصحة الجيدة ، ثم ينتهى اجله حسبما هو مقرر فى علم الله ٠

فرق بين استمتاع الانسان بصحة جيـدة او بصحة افضـل ، أن عنى بالوقاية وانتفع بالتجارب العلمية فى المحافظة على صحته ، وبين اطالة عمره عن طـريق الوقاية والمحافظـة على الصحة ، لا احد يدرى متى ينتهى عمـر الانسان ؟ ٠ ولكن كثيرين يعرفون : متى تكون صحة الانسان افضل فى أيـة فترة من فترات تطوره ٠

★ ★ ★

١٠٦ ـ المرأة العاملة ـ والزواج :

مشكلتى هى مشكلة كل الشبان ، وهى الزواج والأسرة ، فقد عينت فى الحكومة باجـر ليس من الهين توفير مهـر منه ، ثم لو امكن ما هى السبيل لنفقات اسرة ؟ اللهم الا التزوج بموظفة ٠ فى هذه الحالة يعيش الزوج طول حياته مرهف الحس مقيد القدرات ويكون البيت مجـردا من مغانى السـكن والاستقرار وتربية الاولاد ٠ فهل عندكم حل مقبول ومعقول ؟

● السائل فى سؤاله يثير ثلاث مشاكل :

(أ) مشكلة الدخول المحدودة للافراد ٠

(ب) مشكلة المهر ٠

(جـ) مشكلة الزوجة عندما تعمل خارج المنزل ٠

● صاحب الدخل المحدود فى نظر الاسلام هو ذلك الذى يبـذل طاقته فى العمل وفى السعى من اجل الرزق ، ومع ذلك لسبب من الاسباب خارج عن ارادته هو كنقص فى نكائه ٠٠ او عـدم توافر امكانية عمل آخـر له فى مجتمعه : ينقص دخله عن نفقاته ٠ وهذا يعرف بالمسـكين ٠ فالمسكين ليس

عاجزا عن العمل ، وليس متواكلا على الآخرين ولا راغبا فى البطالة · وانما انسان لديه طاقة على العمل : قد تكون هذه الطاقة محدودة بصفات ذاتيـة لا ارادية · ومن أجل ذلك يكون دخله من عمله لا يكفيه فى الانفاق على نفسه وأسرته · ومثل هذه الطاقة المحدودة بصفات ذاتية : تساوى الطاقة المقيـدة بارادة خارجة عن الذات · فدخلها عندئذ يقصر عن أن يفى بحاجة الشخص ، أو هو والاسرة معه ·

والمساكين مصرف من مصارف الزكاة الثمانية يتكفل بيت المال ـ وهو الدولة فى حاضرنا ـ بتغطية حاجاتهم فى المعيشة ·

والزكاة ليست ضريبة · وانما هى عبادة وقربى الى الله ، تقـــر على ما يملكه المسلم بنسب مختلفة تصـل أقصى نسـبة منها الى عشرين فى المائة ٢٠ ٪ وهى تلك النســبة التى تجب على مال الركاز · والركاز هو الثـروة المعدنية المدفونة تحت الأرض كالبترول والمناجم والمعادن كلها ·

● والمهر فى الاسلام ليس ثمنا ولا مقابلا لمتعة وقتية ، انما هو منحة وعطاء خالص من الرجل يعبر به عن رغبته الأكيدة فى الزواج بمن يرد أن يقتــرن بها · فهو أقــرب الى الرمز منه الى المال المقتنى ، أو الشىء المادى صاحب القيمة المتعارفة بين الناس · والشافعى يجوز الزواج على أن يعلم الرجل المرأة بعض القرآن · وهو يستند فى هذا الجواز الى حديث صحيح ·

● أما عمل الزوجة خارج منزل الزوجية فلا يخفف من مسئولية الزوج عن الانفاق عليها · فالزوج مسئول عن نفقة الزوجة · وان كانت غنية ·· وان كانت تعمل بأجر مجز · وعملها عندئذ هو على حساب زوجها وأسرتها ·

وعلى أية حال ·· لا تسئل الزوجة ـ فى نظر الاسلام عن أية مشاركة ـ فى نفقات الأسرة · بل ما تنفقه هى على ملابسها وزينتها مسئول عنه الزوج ، وان كانت هى من صاحبات الملايين · لأن مســـئولية الزوج عن النفقـة ركن أساسى فى قيادته للأسرة وتوجيهه الى ما يصـــون كيانها ويديم الاســتقرار فيها ·· : **« الرجال قوامون على النســاء بما فضــل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم »** (١) ·

---

(١) النساء : ٣٤ ·

والاسلام بعد ذلك ليس مسئولا عن الغلو فى المهور ٠٠ ولا مسئولا عن عدم الاستقرار فى بيت الزوجية عندما تخرج الزوجة للعمل ٠٠ ولا مسئولا عن عدم تغطية الدخول المحدودة لنفقات الأسرة ٠ لأنه لم يسأل الرأى فى مجتمعاتنا الحاضرة ٠

★ ★ ★

١٠٧ ـ الزواج ـ واختلاف العادات فى الشعوب :

انى مسلمة وغير مصرية ، أقيم مع أهلى بمصر ، خطبنى شاب مصرى ، كفء مستقيم وأبى لا يوافق لأنه ليس من جنسى ، وحينما اناقشه يقول : لا كلام للبنت فى الزواج ٠ فما الرأى ؟ ٠

● الاسلام لا يعرف بين الناس جميعا حجابا من الشعوبية ٠٠ أو القومية ٠٠ أو القبلية أو الأسرة ٠٠ الاسلام يعرف فقط خصائص الانسانية فى الانسان كمميز لانسان عن آخر ٠ وجاء القرآن الكريم لهداية الناس وتوجيههم نحو هذه الخصائص . والوقوف عندها والتمييز بين شخص وآخر على أساس منها ٠ ويعبر القرآن عن هذه الخصائص بكلمة واحدة ٠ هى كلمة التقوى فى قول الله تعالى : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** (أى لم نجعلكم اقواما مختلفة وأصحاب السنة والوان متغايرة لينكر بعضكم بعضا ٠ وانما ليقبل بعضكم على بعض بالتعارف والتواد والتعاون) **ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » (١) ٠٠

وفى شرح صاحب التقوى جاء قول الله تعالى : « **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه : ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وأتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء ، وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا** (أى فى ايمانهم) **وأولئك هم المتقون** » (٢) ٠٠ فجعل من صفات المتقى : الايمان وحب اعطاء المال للضعفاء وأصحاب الحاجة ٠٠ والمداومة على الصلاة ٠٠ واخراج الزكاة فى مصارفها ٠٠ والوفاء بالعهد ٠٠ والصبر وقت الازمات والشدائد ٠ وهى صفات تبعد عن الانسان : الانانية وحب الذات ٠٠ وتشير الى الوفاء وقوة الاحتمال والشعور بالمسئولية ٠

---

(١) الحجرات : ١٣ ٠

(٢) البقرة : ١٧٧ ٠

● أما رأى البنت فيمن تتزوجه فالسنة الصحيحة عن رسول الله صلى عليه وسلم تطلب لولى أمرها اذا كانت بكرا أن يأخذ رأيها ، وسكوتها عندما تستأذن هو تعبير منها عن هذا الرأى . ودخول ولى البنت فى عقد زواجها انما هو لمساندتها فى الاختيار الصحيح للزوج حسب تقديره . فهو عادة أولى الناس بمصلحتها والحرص عليها .

وولى أمر السائلة هنا ان انتقص المصرى ولم يره كفأ لابنته لأنه مصرى .. فهو عنصرى .. وبالتالى يلتبس عليه رأى الاسلام بما تراه الشعوبية .

ان رسالة الاسلام رسالة انسانية ، وليست عربية ولا أعجمية .. هى تستهدف : أن توجه الانسان الى الخصائص الانسانية وحدها : « **واعتصموا بحبل الله جميعا** (أى بهدايته فى كتابه ، وهى للانسانية وحدها) **ولا تفرقوا** (لتعودوا كما كنتم وكما تعودتم : قبليين .. او شعوبيين .. أو أسريين .. او قوميين) **واذكروا نعمة الله عليكم** (اى بهداية القرآن لكم نحو التوجيه الانسانى العام) **اذ كنتم اعداء** (عن طريق التمسك بالقبلية والأسرية من قبل) **فألف بين قلوبكم** (أى الآن بالايمان بالله وبهدايته) **فأصبحتم بنعمته اخوانا** (وهى نعمة الهداية أو التوجيه نحو الصفات الانسانية فى الانسان وحدها) » (1) ..

وولى الأمر الآن مخير ان يكون مسلما .. او يبقى شعوبيا عنصريا ..

***

١٠٨ ـ حدود الخطبة فى العلاقة بين الرجل والمرأة :

تمت خطبتى لسيدة بموافقتنا وموافقة الأهل .. هل من الجائز ان نتبادل القبلات مع ان عقد القرآن اتفق على ان يكون عند الدخول ، كما هى العادة . فما الحكم ؟

● الخطبة فى الاسلام تبيح النظر والمحادثة بين الطرفين . ولكنها لا تبيح القبلة أو المعانقة مثلا . لأن هدفها ان تتيح الفرصة للرجل والمرأة معا فى أن يتعرف كل منهما على الآخر .. يتعرف على ملامحه وشكله .. وعلى

---

(1) آل عمران : ١٠٣ .

صوته ·· وعلى منطقه فى حديثه ·· وعلى اتجاهه فى الحياة : أهو انسانى فى تفكيره ومعاملته أم شحيح بخيل مادى فى تصرفاته · ووقت الخطبة يعد وقتا لتكوين كل طرف حكمه ورأيه فى الطرف الآخر ، من حيث قبول عشرته ، أو عدم قبولها ·· من حيث تلاؤم الطباع أو عدم تلاؤمها ·

ومن النظر ·· ومن الحديث ·· يستطيع الرجل وتستطيع المرأة أن تدرك نوع الاحساس الداخلى ، ونوع العاطفة التى تدفع الى اللقاء بالطرف الآخر ، أو ترفض اللقاء به · وهذا قدر كاف فى اتمام عقد الزواج ، أو العدول عن عقده كلية ·

● واذا ظهرت بعد ذلك – أى بعد ان يتم عقد الزواج – عيوب أو نقائص لم تكشف عنها رؤية كل طرف للآخر اثناء الخطبة ·· أو محادثة ايهما للثانى وتضرر بها احدهما ، فللمتضرر منهما حق فسخ عقد الزوجية · وفسخ العقد معناه : اعلان بطلانه عن طريق القاضى للنقص الذى صاحبه · وفسخ العقد شىء يختلف عن طلاق الزواج ··· أو اختلاع الزوجة وافتداؤها ·

فعدم اللياقة البدنية أو الطبية فى المعاشرة الزوجية ·· والتدليس والخداع فيما اعطى من معلومات عن الزوجة او الزوج وكان من شانه ان يلحق ضررا بأيتهما : من الأسباب التى يقوم عليها حق الفسخ لعقد الزوجية ·

فعقد الزوجية كأى عقد آخر بين طرفين يجب أن يبعد عنه احتمال الضرر والخداع عند قيامه · فان جد الضرر بعد قيامه فللزوج أن يطلق ، وللزوجة أن تفتدى بما لا يزيد عن صداقها ·

● ورأى الاسلام فى الخطبة وما تبيحه للرجل والمرأة مرتبط برأيه فى عقد الزوجية فى قيامه ·· واستمراره ·· ورأيه لذلك كل لا يتجزأ ·

والعرف الذى يبيح للرجل أن يقبل خطيبته اثناء الخطبة وقبل عقد الزواج أو يبيح له منها أكثر من ذلك ، هو عرف يقوم على نظرة أخرى الى الزواج · وهى ان عقده عقد أبدى لا طلاق فيه · قد يقع فى العلاقة بين الزوجين انفصال بدنى ، ولكن الموت وحده الذى يفرق بينهما · نعم قد تطور هذا العقد الآن فى المجتمعات التى تأخذ به وأصبح يجوز الفرقة فيه بالطلاق · ولكن تكلفة اجراء الطلاق وارتباطه برأى القاضى يجعل منه هدفا ليس من السهل تحقيقه · وعدم سهولة تحقيقه هو الذى يدفع الى تكوين العرف بممارسة الرجل مع خطيبته اثناء الخطبة ما لا يبيحه الاسلام فيها · يضاف

الى ذلك جو الحياة المادية القائم الآن · وهو جو يميل الى التحلل من القيود ، واشباع الغرائز والسعى الى تحقيق المصالح الذاتية وحدها ·

والاسلام برايه السابق يتمسك بالمستوى الانسانى فى صـلات الناس بعضهم ببعض وبالأخص بين الرجل والمراة ــ ويبيح المتعة المادية بينهما ان ارتبطت هـذه المتعـة بالمسـئولية عن عواقبها ونتائجها ، مسـئولية صريحة ومعروفة للآخرين ··

* * *

١٠٩ ــ حبوب منع الحمل ــ وتعقيم الزوجـة :

انى زوجة وعمرى ثمان وثلاثون سنة ، وعندى ثلاثة اطفال · وحبـوب منع الحمل تضرنى جدا ، وتسبب لى آلاما كثيرة · وقد اقترح زوجى اخيرا ان اعمل عملية تعقيم لضمان عدم الانجاب · فهل اقدم على العملية ؟

● لعملية التعقيم ــ التى تسال عنها السائلة هنا ــ جوانب عديدة :

الجانب الأول : هو الجانب الطبى · اى الجانب الذى يفصل فيـه طبيب يوثق فيه : فى خبرته ، وفى مشورته ·

الجانب الثانى : هو الجانب النفسى · أى هو ذلك الجانب الذى يتضـح منه اثر هذه العملية على نفسية الزوجة · اذ انه سيدور فى خاطرها عـدة تساؤلات عن مستقبلها فى حالة : ما اذا توفى عنها زوجها وهى لم تزل فى سن انجاب الأولاد ؟ ··· او اذا ما توفى احد اطفالها الثلاثة ؟ ·· او ما اذا طلقت وتوفر لها زوج آخر ؟ ·

الجانب الثالث : هو الجانب الدينى · أى رأى الاسلام ، بعد ما ينكشف اثر الجانبين السابقين · ورأى الاسلام فى ذلك مرتبط ارتباطا وثيقا فى الحل والحرمة بالنتائج الايجابية والسلبية لما يقرره الطب فى هذه العملية ، او لما يظهر من الأثر النفسى خاصا بها ·

فاذا قالت الخبرة الطبية الأمينة بان لهذه العملية على السائلة آثارا جانبية تضرها مستقبلا كان رأى الاسلام بتحريم اجراء عملية التعقيم لها · واذا كانت هذه العملية من الجانب النفسى ستحدث اضطرابا وقلقا فى نفسية السائلة فكذلك رأى الاسلام لا ينصح عندئذ باجرائها لها ·

● أما تضرر السائلة من تناول اقراص منع الحمل فالأقراص بعينها يمكن أن يكون لها بديل غير مضر · ويمكن عدم تناول اقـراص مطلقـا ، مع استخدام وسائل اخـرى لا يتعين على الزوجـة السائلة استخدامها · بـل مباشرة بعضها تعود على الزوج وحده · والاطباء أو الخبراء فى تنظيم النسل أدرى بالوسائل التى هى اقل ضررا من غيرها ·

على أن عمليـة التعقيم اصبحت فيما اقرأ ايسر للرجل منها للمـرأة · وعلى صاحب الرغبة من الزوجين فى الوقوف بالنسل عند حد معين أن يتحمل هو شخصيا اجراء تنظيمه ويضمن من جانبه بما يحقق الهدف ·

● وأخيرا فلا ننسى أن صنع الانسان فى حياته هو لا يذهب اطـلاقا بارادة الله فى هذه الحياة · اذ ارادة الله فى النهاية هى التى تحدد ما لكل انسان من طاقات ، ومن أموال ، وأولاد · والقرآن يذكر قول الله تعالى فى التعبير عن ارادته سبحانه فيما يتعلق بالأولاد فى سورة الشورى :

« لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ،

يهب لمن يشاء اناثا ،

ويهب لمن يشاء الذكور ·

أو يزوجهم ذكرانا واناثا ،

ويجعل من يشاء عقيما ،

انه عليم قدير » (١) ··

***

١١٠ ــ التقدمية الماركسية ــ وتقدم العلم والصناعة :

هل التقدمية التى تدعو اليها بعض النظم المعاصرة هى تقدمية العـلم والصناعة ؟

● التقدمية التى تدعو اليها بعض النظم المعاصرة هى اغفـال التراث الدينى والفكرى والثقافى للشعوب والمجتمعات ، أو محوها تماما · والاتجاه

---

(١) الشورى : ٤٩ ، ٥٠ ·

بعد ذلك نحو زعامة الفكر الماركسى . والأخذ بمبادئه وحده · وتصف بالرجعية التمسك بالقيم الدينية وبالعادات والتقاليد ·

وقوام التقدمية الماركسية اذن هو الانفكاك عن الماضى فى علاقات الاسرة والاقارب والجوار ، والتحرك فى السلوك بعيدا عن الاخلاق السائدة للمجتمع وعن مبادئها فى ترابط الناس بعضهم ببعض · ثم النظر بعين الاعتبار الى الصراع الطبقى كمبدأ اجتماعى حتمى والى أن الوسيلة تبرر الغاية كمبدأ أخلاقى ، والى أن الدين مخدر للشعوب كمبدأ عقيدى ·

● وتقدمية العلم هى تقدمية البحث التجريبى فى مجالات الطبيعة والاختبارات المادية بينما تقدمية الصناعة هى تطور التطبيق الصناعى لنتائج البحوث التجريبية الطبيعية والمادية والبحث العلمى والتطبيق الصناعى لنتائجه كلما كانت حركتهما مستمرة كلما دل ذلك على سيرهما فى طريق التقدم ·

وتفيد البشرية من التقدم العلمى والصناعى ان اتجه به القائمون عليه الى خير الناس ، لتخفيف المرض ، والحرمان ، والجهل بين الشعوب · بينما التقدمية فى النظام الماركسى لا يفيد فيها الا أرباب النظام وحدهم . على حين تخسر البشرية حضارتها الانسانية ، بمقدار ما تكسب هذه التقدمية من أعداد وبلدان ·

● والاسلام يدعو الى العلم والى الصناعة . عندما يقدر القرآن قيمة الحديد وأثره فى حياة الانسان ، بالتعبير عنه فى قول الله تعالى « **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، ان الله قوى عزيز** » (١) ·

وفى وصف الله لذاته فى آخر الآية بأنه قوى عزيز . ما يفيد : إنه سبحانه يقدر القوة ، والعزة ، والمنعة ، ويدفع اليها الانسان فى حياته كى يعيش حرا بايمانه ، محافظا على كرامته كانسان · ويرى أن القوة المادية هى فى الحديد بجانب منافعه الأخرى فى حياة الانسان . ولا يستطيع الانسان أن يستخلص فائدة الحديد ولا أن يكون قويا به الا بالعلم المتطور المتقدم · أما القوة المعنوية فيراها فى هداية الله · وقد جاء التعبير عنها فى أول

---

(١) الحديد : ٢٥ ·

الآية نفسها فى قوله تعالى : « لقد أرسلنا رسـلنا بالبينات ، وانزلنـا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » (١) ٠

★★★

١١١ ـ العداوة بين الدين ـ والماركسية :

تنشط فى الايام الأخيرة بعض الجماعات لاقناع الناس بأن الماركسية لا تعـادى الدين ٠٠ فهل هذا صحيح ؟

● المنهج المرسوم للدعوة الماركسية هو ما يسمى بالمرحلية ٠ اى تسلك طريقها الى الدعوة مرحلة بعد أخرى ٠ فهى تضع يدها فى يد عدوها اللدود اذا اقتضى صـالح الدعوة التعاون معه فترة من الوقت ، فى الحـرب أو فى السلام على حد سواء ٠ وما وقع فى الحرب العالمية الثانية، وما يقـع الآن فى مجال ما يسمى بسياسة الوفاق يعطى الشاهد على هذه المرحلية ٠

ومن أسسها النظرية والتطبيقية تداؤها بالعلمانية ٠ أى تداؤها بفصل الدين عن الدولة ٠ وهذا قدر مشترك بينها وبين عدوها الرأسمالية ٠ ولكنهـا تسير خطوة أبعـد فى هذا الفصل من الرأسمالية ٠ وهو اعلانها ما يسـمى بـ « الالحاد العلمى » والالحـاد العـلمى هو الاتجـاه بكل الوسائل الممكنة لاستئصال جذور العقيدة الدينية فى المجتمع الماركسى : فى دائرة الشباب ، وفى دائرة التعليم ، وفى دائرة الثقافة ووسائل الاعلام وفى دائرة العـادات والتقـاليد ٠

ولكى لا تغضب الكثرة المتدينة ان وجدت فى مجتمع فرضت نفسها عليه : لا تواجه الدين بالنقد المباشر ، ولا بالكبت لما لا يضر نشره من تعاليمه كاحياء بعض كتب التراث ٠ بل تترك ذلك لمرحلة أخرى قادمة ، تاتى بعد مرحلة نقـد رجال الدين والتشهير بهم ، وتلفيق القصص والتهم التى تنسب الى بعضهم والسـخرية من أحاديثهم وتصرفاتهم بحيث تنعكس آثار ذلك كله عـلى الدين ذاته انعكاسا سلبيا غير مباشر ٠

و « الاشتراكية العلمية » تعبير يقصد منه ابعاد الدين كلية عن مجـال أى نشاط من أنشطة المجتمع ٠ وليس ابعاده فى رفق ٠ بل تسلط عليه حديث « الرجعية » فى غير انقطاع وبأسلوب التهكم والسخرية ٠

---

(١) الحديد : ٢٥ ٠

والماركسيون اذا ادعوا فى بعض المجتمعات أن الماركسية لا تعادى الدين أو اذا باشروا هم أنفسهم بعض عبادات الدين كالصلاة والصوم والحج ·· أو اذا استمعوا للقرآن الكريم ، أو طلبوا الاستماع اليه : فان ذلك شعار يخفون خلفه الوجه الحقيقى للماركسية فى صلتها بالدين ·

طريقان متباينان تماما : طريق الدين وهو طريق القيم الانسانية فى العلاقات ·· وطريق المادية ، وهو أساس الماركسية . ينكر الأخوة الانسانية والعلاقات الأسرية ، كما ينكر الله وجزاءه فى الدنيا والآخرة ·

***

١١٢ ــ موقف الاسلام من المال :

هل الاسلام رأسمالى . أم اشتراكى ماركسى . واذا لم يكن واحدا منهما ·· فما موقفه من المال ؟ ·

● الرأسمالية تقوم على الملكية الخاصة ، والمنفعة الخاصة للمال · فللفرد فى المجتمع أن يملك ما يشاء . وان يكن له وحده منفعة ما يملك ·· لا يشاركه غيره فى منفعته ·

ونظام الحكم القائم على حرية راس المال يترقب أن تكون هناك فى المجتمع فجوة واسعة فى الدخول . وفى توريع الثروة القومية · يترقب أن تكون هنا مجموعة ــ وهى قليلة العدد ــ من الأفراد فى المجتمع تتمتع بثروة كبيرة ، بينما هناك الأكثرية الغالبة تعيش على الكفاف · وهنا يتولد الحقد بين القلة والكثرة ، أو بين اصحاب الثروة الطائلة واصحاب الحاجة أو الدخل المحدود · وعن الحقد يكون التباغض والتخاصم ·

● والاشتراكية الماركسية تقوم على الغاء الملكية الخاصة ، وبالتالى على الغاء المنفعة الخاصة للمال · فالمال يملكه المجتمع ككل ، ومنفعته تعود على الجميع · والاشتراكية الماركسية تفترض فيمن يباشر المال العام فى تنميته واستثماره أن يباشره بروح المالك له اى يباشره بروح الحرص والمحافظة عليه ، فضلا عن روح الترفع والبعد عن الاساءة اليه بصورة ما ·

ولكن هذا الافتراض يواجهه واقع التطبيق · وهو واقع يحدده التواكل من جانب ، والانتهازية من جانب آخر بدافع الأنانية · ومؤدى التواكل والانتهازية هو الضياع للمال العام · بالاضافة الى تجميد الطاقات الفردية والحيلولة بينها وبين أن تزاول نشاطها فى تكثير المال أو فى استخدامه فى خدمات عامة ·

● والاسلام ليس رأسماليا ·· ولا اشتراكيا ماركسيا · أى لا يقوم على الملكية الخاصة والمنفعة الخاصة للمال ، ولا على الغاء الملكية الخاصة وتجميد طاقات الأفراد ·

وانما هو ينظر الى المال :

أولا : على أنه ملك لله ، والانسان مستخلف عليه ·

ثانيا : على أن المالك للمال اذا دخل المال فى ملكيته الخاصة فان منفعته ليست للمالك وحده ، وانما له ولغيره من أصحاب الحاجة فى المجتمع · والانسان المالك يتصرف فى ملكه ، طبقا لروح الاستخلاف عليه ·

وبناء على ذلك : يرى الملكية الخاصة ، مع المنفعة العامة للمال · ويتفادى بذلك سلبية الرأسمالية ، وسلبية الاشتراكية الماركسية ·

يدعو الفرد الى السعى لتحصيل الرزق ، ولا يتوقف عن هذا السعى الا لأداء العبادة ·· : « **يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ـ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » (١) ·

ويوجه الفرد الى أن منفعة المال للمالك له ولغير المالك له على السواء : « **والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء** » (٢) ··

* * *

١١٣ ـ المادية ـ والاسلام :

نسمع الحديث كثيرا عن المادية ، وانها ضد الروحية ·· فهل من أجل ذلك تتعارض مع الاسلام ؟

● المادية هى اتجاه فى الحياة يؤمن بالدنيا وحدها وينكر الآخرة ·· ولا يحرم ما حرم الله ورسوله ، والمادى هو ذلك الانسان الذى يستحل لنفسه

---

(١) الجمعة : ٩ ، ١٠ ·   (٢) النحل : ٧١ ·

فى الحياة سفك الدماء فى سبيل تحقيق هدفه ، ويرى على وجه العموم : أن الغاية تبرر الوسيلة ٠

والمادية هى صنو الجاهلية التى وردت فى القرآن ٠ وجاء فى وصف الجاهليين قوله تعالى :

« كلا بل لا تكرمون اليتيم ٠

ولا تحاضون على طعام المسكين ٠

وتأكلون التراث أكلا لما ٠

وتحبون المال حبا جما » (١) ٠٠

فالقرآن الكريم يصف هنا الجاهليين بالأنانية ٠ أى بالتفكير فى الذات وحدها ، ولو كان على حساب الآخرين ٠ فيصفهم بعدم العطف على اليتيم ٠٠ وبعدم معاونة صاحب الحاجة وهو المسكين ٠٠ ويمنع الضعفاء وهم النساء والصغار ، من حصولهم على حقهم فى الميراث وبحبهم الشديد للمال وافتتانهم بجمعه ٠ فهم يعيشون للذات وحدها ٠

كما يصفهم بأن غايتهم فى الدنيا هى الاستمتاع بالمتع المادية وحدها فى غير حيطة فيقول : « **والذين كفروا يتمتعون ، ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم** » (٢) ٠٠ ولحرصهم على الدنيا وحدها يحرصون على تشويه رسالة الله ، ويصدون الآخرين عن اتباعها ٠

« الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ٠

ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، أولئك فى ضلال بعيد » (٣) ٠

● أما الروحية فهى القيم الانسانية التى تقوم عليها الروابط بين الأفراد فى الأسرة وفى المجتمع على السواء ٠ هى روابط المحبة ، والمودة ، والتعاون ، والمشاركة ٠٠٠ والاعتراف بالمساواة فى الاعتبار البشرى ، ورعاية أصحاب الحاجة ٠٠ الى غير ذلك من المعانى التى تصور المستوى الانسانى ، فى العلاقات بين الناس بعضهم ببعض ٠ والمادية ٠٠ والروحية : اتجاهان متقابلان ، أحدهما وهو المادية لا انسانى ٠٠ والآخر وهو الروحية : انسانى ٠

---

(١) الفجر : ١٧ ـ ٢٠ ٠ (٢) محمد : ١٢ ٠
(٣) ابراهيم : ٣ ٠

● ورسالة الاسلام تقوم على التبغيض فى المادية ، وانكار اتجاهها فى حياة الناس بينما تحرص كل الحرص على الترغيب فى الروحية ، وفى خلق جو انســــانى يعيش فيه النــاس بعضهم مع بعض · واذ يقول الله تعــالى : « الر ، كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ، باذن ربهم الى صراط العــزيز الحميد » (١) ·· فانه يقصـد بالنور وبصراط العــزيز الحميد : المستوى الانسانى فى العلاقات بين الناس ، بينما يقصد بالظلمات طريق الجاهلية أو المادية ·

★★★

١١٤ ــ الغش فى الامتحانات :

ما حكم الغش فى الامتحانات ؟ ·

● مؤدى الغش فى الامتحانات أن يحصــل المغشش على مستوى فى التقدير أعلى لا يحصل عليه بجهده الفــردى ، وبذلك ينال من الحق ما ليس له أهلا · وهذا الحق الذى يناله بغير استحقاق يساعد فى الوقت نفسه على تفويت حق لشخص آخــر معه · وبذلك ينال من لا يستحق ·· ويحــــرم من يستحق · والظلم كما يتجسد فى حرمان صاحب الحق من حقه ، يتمثل ايضا فى اعطاء غير صــاحب حق : حق غيــره · والغش فى الامتحان اذن قوامه الظلم والاعتداء · وهو لهذا جريمة اجتماعية يشترك فيها المغشش نفسه ومن قام بمســـاعدته على الغش من زمــلائه أو من المراقبين عليه فى اجــــراء الامتحان ·

وضحية هذه الجريمة اثنان : المغشش ذاته ، لأن ما يحصل عليه بطريق الغش يظل أمرا غير ذاتى له · اى يظل وهما او سرابا لا يفيد منه فى واقع أمره شيئا بل ربما يكون سببا فى ضرر له يظهر بالتدريج فى حياته المقبلة · فمثلا : ماذا يكون وضع طالب التحق بكلية الطب ، بعد أن حصل على مجموع الثانوية العامة لا يستحقه بجده ، وسلبه عن طريق الغش من غيره ، ممن هو صاحب الحق فيه ؟ انه لا يتخلف فى دراسته فحسب · بل ستلازمه خيبة الأمل فى دراسته العالية بوجه عام ·

أما الضحية الثانية : فهو ذلك الذى سلب منه حق التقدير لو لم ينتقل منه هذا الحق بطريق الغش الى آخر معه · وهو ضحية على معنى : أنه يجب

---

(١) ابراهيم : ١ ·

عليه أن يجتاز بعض الصعاب فى سبيل تحقيق هدفه · فمثلا : قد يكون مستواه فى التقدير ـ لو لم يقع ظلم الغش فى الامتحانات ـ يتيح له أن يحصل على منحة دراسية من الكلية يمكن أن يساعد بها نفسه ويخفف من أعباء أسرته · ولكن وقوع الغش حرمه من هـذه المنحة ، وجعله يسير ولو لعام واحـد فى طريق غير معبد تماما ولو من الوجهة الاقتصادية ·

والغش فى الامتحانات بما ينتهى اليه من نتـائج هو سـلب لحق من صاحبه ، كسرقة المال من مالكه والمنتفع به · بل هو أدخل فى معنى الجريمة . لأنه يتعلق بأمر نفسى وهو قيم الأفراد ومستوياتها فى الدراسة والتحصيل · وربما يمس هذا التقييم الخاطىء ـ بناء على الغش فى الامتحانات ـ مستقبل المجتمع نفسه فى تولى من لا يصـلح للولاية بذاته لأن المجتمع قد خـدع بما أعلن له من تقدير فى معاهده وكلياته ·

وهذه الجريمة : « الغش فى الامتحانات » اذا كان لها من ضحايا ، وهم المجتمع ، والمغشش ، ومن أخذ منه الحق من زملائه ، فصاحب الجريمة فى الدرجة الاولى هو من تولى الغش أو تستر عليه ·

***

١١٥ ـ نظرة الاسلام الى الزنا :

بعض الإتجاهات فى المجتمعات المعاصرة لا ترى فى الزنا مبررا للطلاق أو لأى عقاب لمن يباشره ، بينما الاسلام يرى فيه جريمة اجتماعية · ولذا يطلب فى قول الله تعالى : « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (١) : أن يحضر بعض المؤمنين تنفيذ الحد على جريمته · الا تنطوى نظرة الاسلام على عنف يميل بها الى البعد عن الانسانية ؟ ·

● يرى الاسلام فى الزنا جريمة اجتماعية ، لأنه اعتداء على الأنساب ، بعد كونه ينطوى على امتهان المرأة · والاعتداء فيه على الانساب يرجع الى ضياع النسب للاولاد الذين هم ثمرته · فالولد فيه لا يعرف اباه ، وان عـرف أمه ، وقد يجهلها كذلك ان هى تخلصت منه بعد ولادته لجهة ترعى الاطفال غير الشرعيين · وأولاد النسب غير المعـروف يصاحب نموهم فى المجتمع احساس بالنقص ، ورغبة فى الانتقام من المجتمع ذاته · ومن أجل ذلك قلما يحملون معهم اتجاها ايجابيا لصالح المجتمع · ولمحبة الآخرين فيه ·

---

(١) النور : ٢٠

● أما امتهان المرأة فلأنها تتحول عن طريق الزنا الى سلعة ، أو الى مصدر متعة مادية ، وقتية ، مطلوبة للرجل . وعندئذ تفقد فى ذاتها كـرامة الانسان وروحه التى تسهم فى ايجابيات المجتمع وبنائه وتماسكه .

والمجتمع يريده الاسلام أن يكون موفور الكرامة . لا يحس بعض أفراده بنقص ذاتى تجاه البعض الآخـــر ، ولا تترسب فى نفوسهم عقـــد الحقـد والكراهية للآخـرين والانتقـام منهم . وانما جميعا يجب أن يكونوا كالبنيان المرصوص لا تشذ فيه لبنة عن أخرى فى صقلها وتهذيبها .

● واذا كان الاسلام ينظر الى الزنا كجريمة اجتماعية ، ويشرع لـه الحد المعروف الذى قد يراه البعض بأنه ينطوى على غلظـة ، فالاســلام لم يشرع هذا الحد الا بعد أن رخص للانسان تعدد الزوجات فى قول الله تعالى : « **وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النســاء مثنى وثلاث ورباع** » (١) .. ويقولهنا الزمخشرى فى تفسيره الكشاف : لما نزل النهى عن اموال اليتامى فى الآية السابقة على هذه الآية : « **وآتوا اليتـامى اموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا اموالهم الى اموالـكم انه كان حوبا كبيرا** » (٢) .. تحرج الناس من الولاية على أموال اليتامى ، بينما كانوا لا يتحرجون عن الـزنا . فقيـل لهم : ان خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع .

فلكى يمنع اذن الاسلام الزنا لما له من هذا الخطر على المجتمع رخص بتعدد الزوجات . والرخصة عادة لا يباشرها الا صاحب حاجة ملحة . ومن المبادىء العامة فى الاسلام ان يترك تقدير الحاجة الى الشخص ، اعتمادا على خشيته من الله كمؤمن ولأن تعدد الزوجات رخصة كبديل مشروع عن الزنا قيد بالعـــدل بين الزوجات فى آية الترخيص نفسها : « **فان خفتم الا تعـــدلوا فواحدة** » (٣) ..

وهكذا : اذا باشر المؤمن جريمة الزنا كان كمن سرق مال الغير دون ان تكون له حاجة الى سرقته . أما اتجاه بعض المجتمعات المعاصرة الى اعفاء الزنا من اعتباره جريمة فقد يكون لأن الاذن بالزواج هناك مرهون بواحـدة فقط ، ولأن الفـراق بين الزوجين ان تم فعلى درجة كبيـرة من الصعوبة .

---

(١) النساء : ٣ . (٢) النساء : ٢
(٣) النساء : ٣ .

والطبيعة البشرية حتما تأخذ طريقها أن اضطرت الى ذلك وهى التى تحـدد البديل عندئذ للأمر المكروه المحظور ٠

* * *

١١٦ ـ السحر ـ والعـادة السرية :

يسال مواطن من احدى المحافظات ـ عن أمرين :

الأمر الأول : ما حكم ممارسة العادة السرية ؟ ٠

الأمر الثاني : ما هو الأمر الذى يبطل فعـل السحر ، حيث ان اقاربه يعوذون برجال من الجن للكيد منهم ، وايذائهم ٠

● أما عن الأمر الأول : وهو حكم الشرع فى ممارسة العادة السرية . فيتوقف هـذا الحكم على ما يراه الاطبـاء وعلماء النفس فى ممارستها من ضرر ٠ وعلى قدر الضرر يكون الحكم بالحرمة أو الكراهة فى الاقدام عليها ٠

ولكن ماذا يفيد الحكم بالحرمة أو بالكراهة يقال لمراهق وقع تحت تأثير ما يراه من تبرج ، وخلاعة ، واستخفاف بالقيم الانسانية فى سلوك الانسان المعاصر ، ان في الشارع ، أو على البحر ، أو على شاشة التليفزيون ، أو فيما تنقله الاذاعة من قصص وتمثيليات ؟ ٠

حكم الله فى ممارسة العادة السرية ينفع اذا قيل لمن يؤمن بالله ويخشى عصيانه من المراهقين والمراهقـات ٠ ولذا فالاساس الأول لتوجيه الشـبان والشابات هو تكوين الخشية من الله فى نفوسهم عن طـريق سليم ، على أن ينقى المحيط الذى يعيشون فيه من مصادر الانحلال والفوضى ٠

ولا يقل أثرا فى حيـــاة الشبان والشابات فى التزام المنهج السـلوكى الصحيح : فهمهم للحرية الفـردية على أنها ليست انطـلاقا للذات نفسها ٠ فمسئولية الفرد توجب عليه اذن أن يبعد الضرر المؤكد أو المحتمـل عن ذاته وان كان يستمتع بمقـدماته ٠ وعن الشعور بهـذه المسئولية يمكن أن لا يلجأ الانسان للعادة السرية اذا علم أنها تنطوى على ضرر لذاته ٠

وبجانب الخشية من الله ، وتكوين الشعور بالمسئولية عن حفظ الذات من تدميرها كوسيلتين من وسائل الوقاية من ممارسة العادة السرية : يجىء

شغل الفراغ لدى الشبان والشابات . بما يثمـر فى تطويرهم ويبعـدهم عن الانحـراف أو أضرار العـادات السـيئة . وشغل الفـراغ يكـون مثـلا : بالرياضة البدنية الجادة . وبالقراءة الهادفة فى كتب التاريخ وترديد كتـاب الله . وبهواية الرسم والموسيقى ، مما من شأنه أن يكون البدن ، ويعود الفكر على التنظيم . وينمى فى النفس القيم والمثل الانسانية ويخلق فيها ملكة الذوق والجمال .

● وأما عن الأمر الثانى وهو : كيف يبطل الانسان فعل السحر ، فاذا عرف أن : مصـدر السحر مصـــدر خبيث ، وأن النفس الشريرة هى التى تمارسه ، وعرف بجانب ذلك أن أثره لا يصل الى المسحور الا بمشيئة الله . « **وما هم بضارين به من أحد باذن الله** » (١) .. اذا عرف هذا ، وذلك ، فان ابطال أثره يكون بالاستعانة بالله سبحانه . وقد جاء فى سورة الفلق : « **قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق ، ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات فى العقد . ومن شرحاسد اذا حسد** » (٢) .. وهو ما يوضح الطريق الى ابطاله عندما يقول : « **ومن شر النفـاثات فى العقـد** » .. وهو أن يلجأ الانسان الى الله ، ويدعوه بأن يعينه على الوقاية من شره .

وتأكيد الله بأن السحرة لا يضرون أحدا بسحرهم الا باذن الله يزيل من الطريق أمام المؤمنين بالله . العقبات التى يقيمها الاعتقاد فى الخـرافات . والاعتقاد فى الخرافات هو الاعتقاد بأنه يوجد فى الكون عدا الله ما يؤثر فى حياة الناس بالنفع أو الضرر . اذ طالما أن ضرر السحرة هنا مرهون بمشيئة الله فلا فعل لموجود سواه . وعلى المؤمنين ألا يعتقدوا الا فى الله . وعليهم كذلك اذا تحـداهم بعض الأشرار من أصحاب النفوس الخبيثة بأى نوع من أنواع الدجل أن يركنوا لله وحده ويستعيذوا به من تحدى هؤلاء . والله معهم .. ولا شريك له فى ملكوته .

★★★

١١٧ ـ العادة السرية أيضا :

يسأل طالب بالصف الأول الثانوى باحدى المدارس ـ عن حكم الله فى العادة السرية ومباشرتها ، وهل تلك المباشرة حـرام أم حـلال ؟ واذا كانت حراما فكيف ينال الانسان رضاء الله ؟ .

● العادة السرية تنشأ عن الرغبة الجنسية . وعجز الراغب عن سلوك

---

(١) البقرة : ١٠٢ .
(٢) سورة الفلق .

الطريق الطبيعى واستخدام اليد فى تحقيق تلك الرغبة . والمباشر لهذه العادة يرهق نفسه فى استحضار صورة الشخص الآخر فى خياله ، ويحرص على بقائها فيه الى أن يفرغ من رغبته ، ولديه الحرية فى أن يكرر هذه العادة عدة مرات فى اليوم طالما يقدر على ممارستها ·

واذا كانت هذه العادة تنطوى على ارهاق نفسى ، وتكرارها فى حرية يزيد من هذا الارهاق فانها على الأقل غير مقبولة عند الله · اذ هى وأن كانت لا تنطوى على اعتداء على حرمة شخص آخر ، وعلى حق المجتمع ، كالزنا مثلا ، فان فيها مساسا بنفس الانسان ، الذى يباشرها ، عن طريق التركيز فى التخيل واستحضار صور الآخرين استحضارا ذهنيا ، مما قد ينشأ عنه ضعف فى طاقات الانسان العقلية ·

فاذا ضم الى هذا السبب سبب آخر يتأكد من جانب الاخصائيين بضرر هذه العادة على الاعصاب أو على بعض أجهزة البدن ، فان مباشرة العادة السرية عند من يتعرض لهذا الضرر بأقوال أهل الخبرة من المؤمنين ، يكون حراما · لأنه يوصل الى ضرر · وحل تصرفات الانسان مرتبط ارتباطا وثيقا بعدم جلب الضرر للذات ، أو الاضرار بالغير ·

وربما يميل بعض الفقهاء الى تسمية العادة السرية « بزنا اليد » قصدا الى التنفير منها وابعاد الشباب فى سن المراهقة عنها ·

وخير للشباب أن يبتعد أو يبعد نفسه عن أن تثار لديه الغريزة الجنسية فى هذه المرحلة من حياته ، بتوجيهه الى ممارسة الرياضة البدنية ، وترغيبه فى صوم التطوع ، وفى قراءة كتب الدين والتاريخ ·



● **ويسأل مدرس باحدى المحافظات :**

عن حكم الله فى طلاق زوجة لم يدخل بها تعجل فى اختيارها فعقد عليها ، ثم اتضح له : انها ليست كفؤا له ، ويخشى أن تسيطر النفرة على حياتهما الزوجية لو دخل بها ·

● يفهم من رسالة السائل ــ كما يعبر هو ــ أنه متردد فى الاختيار · والمتردد تجذبه عادة عدة عوامل فى اختياره · فاذا ركن الى عامل من هذه

العوامل اليوم فى الاختيار . فـانه فى غده ينجذب الى عامل آخر ليحـاول التغيير وينصرف عما صمم عليه بالأمس · وهكذا ·· لا يتروى فى بحثه ، ولا يتعمق فى استخلاص النتائج ·

وفى الوقت ذاته يشعر المتردد بضعف فى نفسه · وربما يسيطر عليه مركب النقص بالنسبـة لغيره · ومن يسيطر عليه مركب النقص يرضى مـن الآخرين بالأقل منهم أول الامر فاذا حصل عليه سعى الى تغييره ·· الى ما هو أفضل منه ·

ولذا ليس هناك عند السائل ضمان لو طلق الزوجة التى عقد عليها ولم يدخل بها حتى الآن : أن يختار شريكة حياته اختيارا يوفر له الطمأنينة معها فى مستقبل هذه الحياة ·

أما حكم الشرع فى تطليق زوجة لم يدخل بها زوجها لكراهيته لها فى نفسه فجـائز ولا حرج فيه · لأن تطليقهـا عندئذ لا يمثل اعتداء عليها . ولا ينطوى على قصد الاضرار بها : « **وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته** » (١) ·· بل ربما يكون فى الطلاق خير للزوجة ببعدها عن تردده : اذ تردد الزوج فى الحياة الزوجية يفقده القيادة فى الأسرة التى تسندها اليه هذه الآية الكريمة : « **الرجال قوامون على النساء بمـا فضل الله بعضهم على بعض** » (٢) ·· ففضل الرجال على النساء هنا هو فضل الارادة ومواجهة المسئولية فى عزم وتصميم · ويوم أن تكتشف الزوجة فى زوجهـا ضعف الارادة . والتردد ، تكتشف بالأحرى تعاستها فى حياتها الزوجية ·

★★★

---

(١) النساء : ١٣٠ ·

(٢) النساء : ٣٤ ·

محتويات الكتاب

الموضـــوع	الصفحة
المقدمــة	٣

الموضـــوع	الصفحة

الفصل الثانى : فى الأسرة

(٧٣ ـ ١٥٤)

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الفصل الثالث : فى محيط التقاليد

(١٥٥ ـ ١٩١)

الموضـــوع	الصفحة

الفصل الرابع : فى محيط العمل ـ والمال

(١٩٣ ـ ٢١٠)

الفصل الخامس : فى مشاكل الحضارة المعاصرة

(٢١١ ـ ٢٤٩)

الموضـــوع	الصفحة

للمؤلف : فى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم

أولا تفسير : السور المكية :

١ ـ سورة النساء

٢ ـ سورة الأنعام

٣ ـ سورة الأعراف

٤ ـ سورة يونس

٥ ـ سورة هود

٦ ـ سورة يوسف

٧ ـ سورة الرعد

٨ ـ سورة ابراهيم

٩ ـ سورة الحجر

١٠ـ سورة النحل

١١ـ سورة الاسراء

١٢ـ سورة الكهف

١٣ـ سورة مريم

١٤ـ سورة طه

١٥ـ سورة الأنبياء

١٦ـ سورة المؤمنون

١٧ـ سورة الفرقان

١٨ـ سورة الشعراء

١٩ـ سورة النمل

٢٠ـ سورة القصص

٢١ـ سورة العنكبوت

٢٢ـ سورة الروم

٢٣ـ سورة الصافات

٢٤ـ جزء عم

رقم الايداع بدار الكتب ٣٧٩٩
الترقيم الدولى ٥ ـ ٧٣١٧ ـ ٩٧٧

تطلب من مكتبة وهبة : ١٤ شارع الجمهورية ـ عابدين ـ القاهرة
تليفون : ٩٢٧٤٧٠

هذا الكتاب

- « **رأى الدين ٠٠ بين السائل ٠٠ والمجيب ٠٠ فى كل ما يهم المسلم المعاصر** »

- يعرض الكتاب فى أسلوب سهل مبسط ٠٠ كثيرا من مشـــاكل الحياة الانسانية المتنوعة فى مجتمعنا الاســـلامى المعاصر ٠٠ التى قلما لا يصادف الناس بعضا منها ٠

- ويبدى الرأى فيما يعرضه على أساس أن « **القرآن منهج حياة** » للمستوى الفاضل ٠٠ فى سلوك الانسان ٠ ســواء كان بينه وبين ربه . أو بينه وبين الناس ٠٠ فى معيشته . ومعاملاته . وتصرفاته ٠٠ وأنه يمكن لكل انسان **يؤمن به** أن يطبقه فى حياته . فى سهولة . ويسر . وبدون حاجة الى « **شيخ** » ٠٠ أو « **شفيع** » ٠٠

- وأنه يربأ **بكتاب الله ـ كمنهج حياة** ـ للانسان السوى ٠٠ أن يكون مجالا للشعوذة والدجل ٠٠ فيجيب . فيما يجيب به : عن الاعتقادات الخاطئة ٠٠ فى الخرافة ٠٠ والقوى الخفية ٠٠ كمصدر ـ للنفع والضرر ـ تدفع الانسان أو تعوقه عن العمل والحركة ٠٠

- وأنه فى اختيار أسـلوب ـ **السؤال ٠٠ والجواب** ـ يقصد الى التحـديد . وضبط القول . وتوضيح الصـــورة التى تنتقل للقـارىء ـ عما جاء فى الســـؤال ٠٠ والجواب معا ٠٠

- ويعنى بالتمييز بين العادات الدخيلة . أو المستـوردة ٠٠ والأخـرى المستوطنة والتى تحولت الى عادات غير إسـلامية . ليدرك جمهور المسـلمين وعامتهم هـذا التمييز ٠٠ وتوجيه الاسلام الصحيح ٠٠

- وبين يدى القارىء ـ الآن ـ **الجزء الثالث من هذا الكتاب** ٠٠ بعد أن صدر منه ـ من قبل ـ **الجزأين الأول والثانى** . اتماما للفائدة ٠٠

- **ومؤلف الكتاب** : عالم جليل ٠٠ أسـتاذ متخصص يجمع بين الثقـــافة الاسلامية الواسعة . والثقافة الغربية الواعية ٠٠ له مكانته وأصـالته فى الفكر والعلـوم الاسلامية والقرآنية . وصاحب « **التفسير الموضوعى للقرآن الكريم** » وله العديد من مؤلفاته القيمة . التى أثرت المكتبة الاسلامية ٠٠ وله خبراته وتجاربه العلمية ٠٠ فى مؤسسات العلم والبحث . وأجهزة الثقافة والتوجيه ٠٠ ورحلاته المتعددة ٠٠ شرقا وغربا ـ هو خير من يرشدنا الى ـ « **رأى الدين** » ٠٠

- ويسر « **مكتبـــة وهبـــة** » أن تقوم بنشر هذا الكتـــاب ـ لتعـرف الأمة الاسلامية « **رأى الدين ٠٠ بين السائل والمجيب ٠٠ فى كل ما يهم المسلم المعاصر** » ٠

وبالله التوفيق ؟

